تراث الشيخ الأوحد

شيخ المتألهين الأوحد
الشيخ أحمد الشيخ زين الدين الأحسائي
١١٦٦هـ - ١٢٤١هـ
أعلى الله مقامه

تقديم

توفيق ناصر البوعلي

تحقيق ومراجعة
مجموعة من الفضلاء

شرح المشاعر

الجزء الرابع

مؤسسة الإحقاقي

© جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية
١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م

تراث الشيخ الأوحد ٢٣

تقديم

توفيق ناصر البوعلي

- اسم الكتاب .... شرح المشاعر - الجزء الرابع
- المؤلف .... الشيخ أحمد الأحسائي
- الناشر .... مؤسسة الإحقاقي للتحقيق والطباعة والنشر
- تحقيق ومراجعة .... مجموعة من الفضلاء
- الإشراف الطباعي .... الأميرة للطباعة والنشر

مؤسسة الإحقاقي
للتحقيق والطباعة
والنشر

الأميرة
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان
هاتف: ٠٢/٩٤٦١١٦١ - ٠٢/١١٥٤٢٥ - تلفاكس: ٠١/٢٧٦٩٨٨
http://www.Dar-Alamira.com
e-mail:info@dar-alamira.com

تراث الشيخ الأوحد

شيخ المتألهين الأوحد
الشيخ أحمد الشيخ زين الدين الأحسائي
١١٦٦هـ - ١٢٤١هـ
أعلى الله مقامه

تقديم
توفيق ناصر البوعلي

تحقيق ومراجعة
مجموعة من الفضلاء

الأوحد
موقع الأوحد
Awhad.com

شرح المشاعر

الجزء الرابع

مؤسسة الإحقاقي

بسم الله الرحمن الرحیم

اللهم صل علی محمد و آل محمد

كيفيّة علم الله تعالى بكلِّ شيء

قال : المشعر الثاني : في كيفيَّة علمه بكلِّ شيء على قاعدة مشرقية ، هي أنَّ للعلم حقيقة كما أنَّ للوجود حقيقة ، وكما أنَّ حقيقة الوجود واحدة مع وحدتها تتعلَّق بكلّ شيء ، ويجب أن يكون وجوداً يطرد العدم عن كلّ شيء ، وهو وجود كلّ شيء وتمامه ، وتمام الشيء أولى به من نفسه ، لأنَّ الشَّيء يكون مع نفسه بالإمكان ، ومع تمامه وموجبه بالوجوب ، والوجوب آكد من الإمكان .

أقول : قوله : (في كيفيَّة علمه بكلِّ شيء) فيه أحد محذورين :

إمَّا البطلان أو سوء الأدب .

فالأوَّل : إن أراد إثبات الكيفيَّة للعلم ، فإنَّ الكيفيَّة لا تجري على علمه تعالى إلَّا أن يُراد به العلم الحادث الذي هو الألواح الكليَّة والجزئيَّة من الإنسان ، والملائكة ، والحيوانات ، والنَّباتات ، والجمادات ، الذَّوات والصِّفات مطلقاً .

والثَّاني : إن أراد بها التَّفهيم في التَّعبير ، فإنَّه وإن جاز إلّا أنَّه

سوء أدب أن يعبّر عمَّا لا كيفيَّة له بالكيفيَّة مع ما في ذلك من الاشتباه على أكثر النَّاس ، حتَّى إنَّهم يستعملون ذلك غافلين عن محذوريّتها(١) لكثرة ما يسمعون من(٢) عبارات القوم بأمثال ذلك من غير توحّش ، ولو أشعروا لما نطقوا بهذه ، فإنَّه ربَّما يدخل بذلك في قوله تعالى : ﴿ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ ﴾(٣) فإنَّ القول بالكيفيَّة في علمه الذي هو ذاته كالقول بأنَّه تعالى جسم أو مركَّب ، ومراده في بيان الكلام في العلم بكلّ شيء .

ثمَّ اعلم أيضاً أنَّ العلم المبحوث عن كيفيّته كما يقول ، إن أراد به العلم الذي هو ذاته فهو بحث في اكتناه الذَّات ، وهو لا يزداد صاحبه بكثرة السَّير فيه إلّا بعداً من الحقّ والصَّواب ، ولا سبيل لأحد من الخلق إلى ذلك ، لا ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل(٤) ، فيجب سدّ الطَّريق إلى ذلك مطلقاً .

---

(١) في نسخة : محذورها .
(٢) في نسخة : عن .
(٣) سورة المائدة ، الآية : ٦٤ .
(٤) قال الصادق عليه السلام : (والله لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله ، ولقد آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بينهما فما ظنّكم بسائر الخلق ، إن علم العلماء صعب مستصعب ، لا يحتمله إلّا نبي مرسل أو ملك مقرب أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للايمان ، فقال : وإنما صار سلمان من العلماء لأنه امرؤ منا أهل البيت ، فلذلك نسبته إلى العلماء) أُصول الكافي : ١ / ٤٠١ ، وغرر الفوائد : ٤١٩ .

وإن كان أراد به العلم الحادث فيمكن البحث عنه والكلام فيه ، ولكن المصنف لا يريده ، بل ربَّما ما يقول بثبوته إلّا على طريقته في السنخ ، وهو مع هذا لا يريد ما نريده ، ويريد بالقاعدة المشرقيَّة ضابطة طريقته كما مرّ من أنَّ بسيط الحقيقة كلّ الأشياء ، وأنَّ معطي الشيء ليس فاقداً له في ذاته ، بل هو في ذاته بنحو أشرف ، وأنَّ العقل وما فوقه كلّ الأشياء كما ذكره في أوَّل هذا الكتاب بناءً منه على أنَّ العقل بسيط الحقيقة ، ولا يكون بسيطاً إلّا إذا كان غير مخلوق ، وإلّا فكلّ ممكن زوج تركيبيّ ومن اتّحاد المعقول بالعاقل ، والمعلوم بالعالم ، والمفعول بالفاعل ، والمجعول بالجاعل ، وهكذا .

وإنَّ هذه الضَّابطة مشرقيَّة ، أي وصلت إليه من إشراق واهب النُّور ، حتَّى انكشفت له هذه الحقائق التي سمعتَ بَعْضَها ، نسأل الله تعالى العافية عافية الدُّنيا والآخرة .

ومن أفراد تلك الضَّابطة المشرقيَّة ، أنَّ للعلم حقيقة كما أنَّ للوجود حقيقة ، ويريد بالحقيقة هنا في الموضعين الأزليَّة ، ولما تكلَّم كثيراً على الوجود كما مرّ حتَّى ثبت عنده أنَّ ما قرَّره ارتفع عنه الإشكال على كلِّ حال أخذ ينظر به العلم في نفسه وفيما يتفرَّع عليه من الأحكام .

قال : (وكما أنَّ الوجود حقيقة واحدة) وهذا يصحّ في الوجود الحقّ تعالى ، لا في مطلق الوجود كما يريده هو ، ليجعل

تلك الحقيقة الواحدة شاملة لوجودات[١] الخلائق كلّها فإنَّ هذا باطل ، ولهذا قال : (ومع وحدتها تتعلّق بكلّ شيء) وهذا باطل أيضاً ، لأنَّ الشَّيء الواحد البسيط إنَّما يتعلّق بالأشياء المتعددة بجهات متعدّدة ، وتلك الأشياء المتعدّدة إن كانت مصنوعة لتلك الحقيقة البسيطة كانت تعلّقاتها بتلك الأشياء المتعدّدة بأفعالها لا بذاتها ، وإن كانت غير مصنوعة لها كانت تعلّقاتها بتلك الأشياء بجهات لها متعدّدة ، وتلك الجهات غير الذّات البسيطة ، لأنَّ تلك مختلفة باختلاف المتعلّقات ، والذّات بسيطة لا اختلاف فيها ، ولو فرض أنَّ الجهات هي عين تلك الذّات كانت الذّات مختلفة متعدّدة . وهذا ظاهر .

قال : (ويجب أن يكون وجوداً يطرد العدم عن كلّ شيء) يعني أنَّ تلك الحقيقة التي هي واحدة وتتعلّق بكلِّ شيء يجب أن تكون وجوداً ، كأنَّه يشير إلى مخالفة السَّيِّد صدر على نحو النَّقض . يعني أنَّ الذي تصدر عنه الوجودات يجب أن يكون وجوداً ، ولو فرض أنَّ الذّات نائبة مناب الوجود في التَّحقّق لم تكن نائبة منابه في إحداث الوجودات ، فلو أحدث[٢] حينئذ أحدثت ذوات لا وجودات .

ثمَّ نقول : هذا الطّارد إذا سلّمنا أنّه وجود فهل يطرد العدم

(١) في نسخة أخرى : لوجود ذات .
(٢) في نسخة : أحدثت .

بنفسه أم بوجود ليس من ذاته ؟ بل محدث لا من شيء ؟ أم بوجود من ذاته متصل بذاته ؟ أم منفصل ؟ أم بوجود من ذاته غير متّصل ولا منفصل ، وليس بينه وبين الذَّات فعل ؟ فهذه خمسة احتمالات :

فالأوَّل : قد أبطلناه مراراً متعدّدةً في هذا الشرح وفي غيره ، وعند المصنف صحيح ، لأنَّه قائل بالسنخ ، وبالاشتراك المعنوي ، وبالوجود المطلق كما تقدم .

والثَّاني : صحيح عند أهل البيت عليهم السلام ، وأنَّ المطرود به العدم وجودٌ أحدثه الله تعالى بفعله لا من شيء ، وهو الحقّ ، لأنَّ الحقّ ما حقَّقوه ، والباطل ما أبطلوه ، والمصنف نصَّ على بطلانه ، بل ربَّما هو الباعث له على تأليف هذا الكتاب .

والثَّالث : يريد منه أنَّ لكلّ محدث منه تعالى جهة من ذاته تطرد عنه العدم بأن تكون وجوداً له ، وقد تقدَّم بطلانه ، لاستلزامه التَّعدّد والكثرة .

والرَّابع : باطل لاستلزامه التبعيض .

والخامس : باطل كما تقدَّم .

ويصحّ عند المصنف كما تقدَّم من القول بالوجود المطلق .

كيفية حَرق النُّور الإلهي للعدم الإمكاني

واعلم أيضاً أنَّ الوجود إذا فرض أنَّه يطرد العدم بنوره عن

الشَّيء الذي يشرق عليه نوره ، فكيف هذا النُّور يحرق العدم الإمكاني ولا يحرق غيره من جميع الأشياء ؟

وقد قال صلى الله عليه وآله : (**إنَّ لله عزَّ وجلَّ سبعين ألف حجاب من نور وظلمة ، لو كُشِف حجابٌ منها لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**)[(١)] انتهى .

وهذا الحديث الشَّريف صريح في أنَّ كلّ شيء وقع عليه نورُ وجهِهِ احترق ، لأنَّه إنَّما يحرق العدم ، بل يحرق كلّ شيء من عدم ووجود ، لأنَّ السِّوى يمتنع تحقّقه مع الحقّ تعالى ، وإنَّما يتحقَّق مع احتجابه عنه به .

وفي مستطرفات السَّرائر عن الصَّادق عليه السلام وقد سئل عن الكروبيين فقال : (**قوم من شيعتنا من الخلق الأوَّل ، جعلهم الله خلف العرش ، لو قُسِم نورُ واحد منهم على أهل الأرض لكفاهم**) (**ولما سأل موسى ربّه ما سأل أمر رجلاً من الكروبيِّين فتجلَّى للجبل فجعله دكّاً**)[(٢)] انتهى .

---

(١) عوالي اللآلي : ٤ / ١٠٦ ح ١٥٨ ، وبحار الأنوار : ٥٥ / ٤٥ و٧٣ / ٣١ ، وشرح أصول الكافي : ٤ / ١٢٩ ، والحكمة المتعالية في الأسفار : ٧ / ٧٨ ، وشرح الأسماء الحسنى : ١ / ١٣١ .
ورواه المازندراني في شرح أصول الكافي بلفظ : (٤ / ١٢٩) (**إن لله سبعين حجاباً من نور وظلمة لو كشفت لأحرقت سبحات وجهه كل من أدرك بصره**) قيل : (**سبحات وجهه جلاله وعظمته**) .

(٢) بصائر الدرجات : ٨٩ ح ٢ ، وبحار الأنوار : ١٣ / ٢٢٤ ح ١٨ .

وذلك لأنَّ ذلك الرجل لمَّا تجلَّى للجبل بأن ظهر له منه نوره وأشرق عليه فاحترق الجبل وتقطَّع ثلاث قطع : قطعة انبثت في الهواء وهو الذر(١) الذي يُرى من الكرة(٢) ، وقطعة ساخت في البحر فانبثَّت فيه كالهباء ، وقطعة ساخت في الأرض فهي تهوي حتَّى قيام السَّاعة .

ونور هذا الرجل جزء من سبعين جزءاً من نور السّتر ، والسّتر أثر فعله تعالى ، فكيف يشرق عليه ـ أي على شيء ـ الشيء منه تعالى ويبقى له اسم أو رسم ، فضلاً عن كونه يتحقَّق بذلك ، إلّا أن يجعل شيئيته إنَّما هي لنفس تلك الحصَّة الواجبة .

وأمَّا أنَّ تلك الحصَّة من الواجب إذا وقعت على الشَّيء طردت عنه العدم وتحقَّقت ذاته بتلك الحصَّة ، ولا يكون ذلك إلّا بين الحوادث بعضها مع بعض .

وأمَّا بين الوجوب والحدوث فلا ، إلّا إذا جعل ذلك الشَّيء من الأعيان الثَّابتة في العلم الذي هو ذاته كما يقوله هؤلاء ، فإنَّها عندهم غير مجعولة ، وإنَّما كساها حلَّة الوجود ، فلم يكن مناف(٣) بينهما إلّا التَّركيب ، وهو سهل عندهم ، فإنَّهم يقولون :

---

(١) في نسخة : النُّور .
(٢) في نسخة : الكوّة .
(٣) في نسخة أخرى : منافياً .

لا يلزم منه التَّركيب لأنَّها كثرة في وحدة ، وقد مثَّلوا لهذا بالبحر وهو واحد ، ويشتمل على أمواج كثيرة كلّها موجودة بوجود البحر وبالصّوت والحروف ، وبالمداد والكتابة ، وبالماء والثَّلج ، وبالثوب المتلوّن بالأصباغ وأمثال ذلك .

وما أعجب هذه الأنظار الكليلة تفهم كلامه من غير لزوم كثرة ، وأيّ شيء أكثر من أمواج البحر ؟ وأيّ شيء أكثر من تكثّره ؟ وكيف لا يلزم انفعال وقبول والبحر إنَّما تكثّر بالريح وانفعل بها ؟ والوجود إنَّما هو في الأشياء على زعمهم كالخشب فإنَّه شيء واحد ووجود واحد ، فالباب والسَّرير والصَّنم فيها الخشب موجود من غير تغيير ، وهذه الكثرة لولا انفعال الخشب بالمشخّصات المختلفة لما وجد باب ولا سرير ولا صنم .

وقد ذكرنا هذا مراراً متعدّدة بعبارات دليل الحكمة لم أذكر شيئاً من دليل المجادلة بالَّتي هي أحسن لاستلزامه وضع المقدِّمات والقضايا الموهمة لإرادة المفهوم أو المعنى أو الرابطية ، وإنَّما أذكر عبارات بديهية ظاهرة مكرّرة مردّدة والله وليّ التَّوفيق .

ومن[1] وفَّقه الله فَهِمَ أنَّ ما يطرد العدم عن الأشياء لا يكون إلّا وجوداً محدثاً لا من شيء .

---

(١) في نسخة : فمن .

وأمَّا إذا فرض أنَّه تلك الحقيقة الحقّة الأزليَّة فإنَّه يطرد كلّ ما سواه إلّا إذا قيل بكونها فيه كما في الكلمات المكنونة لملّا محسن ، أو أنَّها صور علميَّة غير مجعولة كما في كتابه الوافي[١] ، سواء قيل بكونها في علمه الذي هو ذاته وأنَّها أعيان ثابتة ، أم بكونها معلّقة كتعلّق الظلّ بالشَّاخص ، فإنَّ هؤلاء كلّ شيء عندهم جائز .

وقوله : (وهو وجود كلّ شيء وتمامه) يعني به أنَّ تلك الحقيقة الأزليَّة هي مع وحدتها وجود كلّ شيء وتمامه ، لأنَّه قبل ظهور هذا الوجود عليه إنَّما هو مفهوم مطلق ناقص التَّحقّق ، لأنَّه مع نفسه ، أي في نفسه إنَّما هو محض إمكان وجواز ، إذ لا شيئيَّة له أصلاً إلّا بهذا الوجود ، وبه تمَّ ناقصه ووجب جائزه ، فيكون هذا الوجود أحقّ بالشيء بأن يكون له ومنه ومن نفس الشيء ،

---

(١) للمولى الجليل محمد بن مرتضى المدعو بمحسن الكاشاني . كان فاضلاً عالماً ماهراً حكيماً متكلماً محدثاً فقيهاً محققاً شاعراً أديباً ، حسن التصنيف ، له كتب منها : كتاب الوافي جمع الكتب الأربعة مع شرح أحاديثها المشكلة إلّا أن فيه ميلاً إلى بعض طريقة الصوفية وكذا جملة من كتبه ، وكتاب سفينة النجاة في طريقة العمل ، وتفاسير ثلاثة كبير وصغير ومتوسط ، وكتاب عين اليقين ، وكتاب حق اليقين ، وكتاب علم اليقين ، وكتاب الأصول الأصيلة ، وكتاب المحجة البيضاء في إحياء الأحياء ، وكتاب مرآة الآخرة ، وكتاب تسهيل السبيل بالحجة في انتخاب كشف المحجة لابن طاوس ، انظر أمل الآمل رقم ٩٢٥ .

لأنَّه بدونه إنَّما هو مع نفسه وليس شيئاً ، وإنَّما يمكن أن يكون بهذا الوجود شيئاً .

وكلامه هذا كسابقه مبنيٌّ على قواعدهم المنهدمة عندنا كلها بما سمعت مراراً ، ونزيدك بأن نقول : إنَّ الشَّيء إنَّما سمي شيئاً لأنَّه مُشاءٌ لله عزَّ وجلَّ كما سمعت من كلام أمير المؤمنين عليه السلام المتقدّم ، وذلك أنَّ الله عزَّ وجلَّ كان وحده ليس معه شيء ولا فيه شيء وذلك في الأزل ، والأزل ذاته ، وليس الأزل وقتاً أو مكاناً حلَّ فيه تعالى عن ذلك ، وهو الآن على ما كان ، ثمَّ خلق المشيئة بنفسها لا بمشيئة غيرها ، وهذا في السَّرمد ، وهو عالم الرّجحان ، وأمكن بها الإمكان الذي هو محلّ الممكنات والعمق الأكبر .

بيان المشيئة التكوينية والإمكانية

وهذه تسمى المشيئة الإمكانية ، وهي وما تعلَّقت به من الإمكانات هو العلم الذي لا يحيطون بشيء منه ، وبه كانت الأشياء كلها ممكنة غير مكوَّنة ، فإذا اقتضت العناية السَّرمديَّة تكوين شيء منها خلقه بمشيئته التَّكوينيَّة وهي وما تعلَّقت به من الأشياء المكونة هي المستثناة في قوله تعالى : ﴿ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾[1] وفيها وبها جميع

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٥ .

المكونات وفي الأولى[١] وبها جميع الممكنات قبل تكوينها وبعد تكوينها .

وفي الحقيقة الإمكانيَّة والتَّكوينيَّة شيء واحد ، وإنَّما اختلفتا باعتبار اختلاف متعلّقاتهما ، فالأشياء حقيقة أشياء ممكنة في رتبة الأولى مكنونة في رتبة الثَّانية ، فالأعيان الثَّابتة إنَّما هي في الأولى لا في ذاتِهِ ، تعالى ذاتُهُ عن السِّوى ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٢] فإذا أراد إظهار شيء ممَّا في الخزانة الأولى وإنزاله إلى الخزانة الثَّانية اخترع له مادَّة وصورة بالمشيئة الكونيَّة وخلقه فيهما ، فالشيء قسمان : شيء وجوده إمكانيّ وشيء وجوده كونيّ ، وكلّ منهما مُشاءٌ لله عزَّ وجلَّ وليس الإمكان أمراً اعتباريّاً ولا ذاتيّاً من نفسه ، ولا منقلباً عن وجوب أو امتناع ، بل أمكنه عزَّ وجلَّ فجعله شيئاً ممكناً ، ولم يك قبل ذلك ممكناً ولا مذكوراً بشيء ولا في شيء .

والشَّيئيَّة المدركة لا تكون إلّا بالإمكان أو بالكون ، ومحدث الكون هو محدث الإمكان .

وأمَّا الحكم على الشَّيئيَّة المدركة قبل التكوين بالمفهوميَّة احترازاً عن التَّكوينيَّة فهو قشري عاميّ يصلح[٣] أن تتعاطاه

(١) في نسخة : الأوَّل .
(٢) سورة الأعراف ، الآية : ١٨٧ ، وسورة يوسف ، الآية : ٢١ .
(٣) في نسخة : يحصل .

السوقة[1] لا العلماء الّذين يصفون أنفسهم بالرّسوخ في الحقائق العلميَّة ، فالوجود الكونيّ والوجود الإمكانيّ هما الطّاردان للعدم وإن كان الطّارد في الحقيقة هو معطيهما إلّا أنّه تعالى يُطرد[2] عن الأشياء بهما لا بذاته ، لأنَّ الأشياء تتلاشى في رتبة ذاته ، بل كلّ شيء في رتبة ذاته المقدَّسة مستحيل الذّكر والإمكان ، والتَّكوين لا يجري عليه حكم الجواز والإمكان ، لا في الخارج ، ولا في نفس الأمر ، ولا في الذّهن ، ولا في الفرض والاحتمال والاعتبار بوجه من الوجوه ، بل هو مستحيل عقلاً ونقلاً ، لا إله إلّا الله .

وأمّا في الإمكان الرَّاجح فهو راجح الثّبوت ، وفي الكون جائز الثّبوت وتمام الشَّيء الحادث هو الوجود الحادث ، سواء كان إمكانياً أم تكوينيّاً ، فإنَّ تمام الكتابة هو المداد لا الكاتب بأن يكون جزءٌ من جسمه تماماً للكتابة أو حركة يده ، إذ تمام الشَّيء هو السَّبب القريب له لا البعيد ، والقوم في مثل أقوالهم هذه ينادون من مكان بعيد .

وعلى ما بيّنا يكون ما به الإمكان أولى بالشَّيء ممَّا به التَّكوين لأنَّ ما به الإمكان لا يفارقه ، ويستحيل أن يفارقه بخلاف ما به التكوين .

---

(١) في نسخة : السوقيَّة .
(٢) في نسخة : يطرده .

وأمّا أنَّ الوجوب آكَدُ من الإمكان فإن أُريد بالوجوب الوجوب الذّاتي الأزليّ ، فلا يدخل تحت القياس والتّنظير حتّى يقال : إنَّه آكَدُ من الإمكان ، وإن أُريد به وجوب وجوده عند وجود علّته التّامَّة ، فالإمكان آكَدُ منه ، لأنَّ الوجوب بالغير يفارق بخلاف الإمكان ، فإنَّه لا يفارق الشيء الممكن حال كونه ، بل هو فيه قبل كونه ومع كونه وبعد كونه على حدٍّ واحد .

في أن علم الله حقيقة واحدة

قال : فكذا علمه تعالى يجب أن يكون حقيقة العلم وحقيقة المعلوم حقيقة واحدة ، ومع وحدتها علم بكلِّ شيء ﴿ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ ﴾[1] ، إذ لو بقي شيء من الأشياء لم يكن ذلك العلم علماً به ، لم يكن صرف حقيقة العلم بل علماً بوجه جهلاً بوجه آخر ، وصرف حقيقة الشَّيء لا يمتزج بغيره ، وإلَّا فلم يخرج جميعه من القوَّة إلى الفعل ، وقد مرّ أنَّ علمه سبحانه تعالى راجع إلى وجوده .

أقول : يريد أنَّ علمه تعالى يجب أن يكون حقيقةً واحدة ومع وحدة تلك الحقيقة يعني من حيث وحدتها تكون علماً بكلّ شيء ،

(١) سورة الكهف ، الآية : ٤٩ .

كما أنَّ حقيقة الوجود واحدة ، ومن هذه الحيثيَّة تكون وجوداً لكلّ شيء . هكذا رأى المصنف ، وقد أبطلنا دعواه في الوجود كما سمعت قبل هذا .

وستعلم بطلان رأيه في العلم ، فنقول : اعلم ـ أعانك الله ـ أنَّ أئمَّة الهدى عليهم السلام دائماً ينهون عن الكلام في ذات الله ، وأنَّ السَّائر في ذلك الطَّريق لا يزداد من الله إلّا بُعْداً وفي العلم إلّا جهلاً ، وهم قد شغلوا أوقاتهم في ذلك خلافاً لنهي أهل الحقّ عليهم السلام ، والكلام في علم الله الذي هو ذاته عين الكلام في ذات الله ، ومع هذا كلّه عنونُوا كلامهم فيه بالكيفيَّة كما قال المصنف في كيفيَّة علمه تعالى بكلّ شيء ، ونحن نتكلَّم في ذلك بالتنزيه لا بالتَّمييز والتشبيه كما قال جعفر بن محمَّد عليهما السلام .

فنقول : اعلم أنَّ المصنف لا يعني بالعلم الذي يتكلَّم فيه إلّا العلم الذَّاتيّ الذي هو الذَّات ، والبحث فيه ممنوع منه لا يفيد الباحث إلّا جهلاً .

والقول الحق فيه ما قاله سيِّد العارفين والعلماء والحكماء المتّقين جعفر بن محمَّد عليهما السلام ، قال : **(كان ربّنا عزَّ وجلَّ والعلم ذاته ولا معلوم ، والسمع ذاته ولا مسموع ، والبصر ذاته ولا مبصر ، والقدرة ذاته ولا مقدور ، فلمَّا أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم ، والسَّمع على**

المسموع ، والبصر على المبصر ، والقدرة على المقدور)[(١)] انتهى .

واعلم أنَّ بيان هذا بحيث يرتفع عنه الرَّيب ممَّا يطول فيه الكلام ، والعلَّة في ذلك مع دقَّته اعوجاج الأفهام ، ولولا اعوجاج الأفهام من كثرة الإصغاء إلى قول كلّ ناعق ، لكان بيانه سهلاً في قليل من الكلام ، وقد مثّلتُ له فيما مضى بما لا مزيد عليه في البيان حتَّى مَجَّهُ طبعي لكثرة التَّرديد .

ردّ الشيخ الأوحد على المصنف في علم الله

والحاصل : إنَّه تعالى علم كلّ شيء في مكانه ووقته حين كوَّنه وحين أمكنه ، وليس شيء منها في ذاته ليعلمه في الأزل ، وإنَّما هي مذكورة في أوقات وجودها وأمكنة حدودها ، ولا يصحّ أن يقال : إنَّه تعالى يعلمها في أزله ، لأنَّه ليس معه شيء منها ، ولا يصحّ أن يقال : إنَّه تعالى في أزله جهل شيئاً منها في أماكنها ولم يفقد في أزله العلم بها في أوقات وجودها وأمكنة حدودها حين كوَّنها ، وليس معه استقبال ، ولا ينتظر حالاً من أحواله ليقال : إنَّه كان لم يعلمها ، فلمَّا أوجدها علمها ، لأنَّ هذه صفة المستكمل

---

(١) توحيد الصدوق : ١٣٩ باب ١١ ح ١، وأصول الكافي : ١ / ١٠٧ ح ١، والبحار : ٤ / ٧٢ أبواب الصفات ، باب نفي التركيب ح ١٨ .

المستفيد من غيره ، وهو تعالى عالم بها قبل كونها كعلمه بها بعد كونها[١] .

بل نقول : إنَّه حين أوجدها في أوقاتها وأماكنها علمها ولم تكن له حالة لم تكن حاضرة في ملكه عالماً بها ، بل علمها حين أوجدها في أنفسها[٢] وعند خلقه قبل أن توجد في أنفسها وعند خلقه ، إذ ليس معه ماض ولا استقبال ، ولم يتجدَّد له شيء ممَّا له ، ولم يتغيَّر[٣] أحواله فيكون فاقداً وواجداً ، بل لم يزل في أزله واجداً لها في أوقاتها وأماكنها .

وهذا معنى قول الصَّادق عليه السلام : (**لم يزل الله ربّنا عزَّ وجلَّ والعلم ذاته ولا معلوم**) أي هو عالم لم يتجدَّد له ما لم يكن

---

(١) قال أمير المؤمنين عليه السلام : (. . **الله الواحد الأحد الصمد الذي لم تغيره صروف الأزمان ولم يتكأده صنع شيء كان ، إنما قال لما شاء أن يكون كن فكان ، ابتدع ما خلق بلا مثال سبق ولا تعب ولا نصب ، وكل صانع شيء فمن شيء صنع والله لا من شيء صنع ما خلق ، وكل عالم فمن بعد جهل تعلم والله لم يجهل ولم يتعلم ، أحاط بالأشياء علماً قبل كونها فلم يزدد بكونها علماً ، علمه بها قبل أن يكونها كعلمه بعد تكوينها ، لم يكوّنها لشدة سلطان ولا خوف من زوال ولا نقصان ولا استعانة على ضد مثاور ولا ندّ مكاثر ولا شريك مكايد ، لكن خلائق مربوبون وعباد داخرون** . .) .
توحيد الصدوق : ٤٣ ، باب التوحيد ونفي التشبيه ح ٣ .

(٢) في نسخة : نفسها .

(٣) في نسخة : تتغيَّر .

حاصلاً له ، ولا معلوم معه ، وإنَّما هي مع أنفسها وهو معها بعلمه الإشراقي ، ولم يكن معها بذاته .

وفي الحديث : (**كان الله ولا شيء معه ، وهو الآن على ما كان**)(١) لأنَّ من اختلفت(٢) حالاته فهو حادث ، ومن احتمل الزِّيادة احتمل النّقصان ، ولو كانت له حالة لم يعلمها ثمَّ علمها حين أوجدها كان فاقداً قبل الإيجاد وواجداً بعده ، بل لم يكن واجداً لها في ذاته أبداً وأزلاً ، ولم يكن فاقداً لها في ملكه أبداً وأزلاً .

والعلم الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إشراقيّ .

والعلم الذي هو ذاته علم ولا معلوم ، لأنَّ هذا العلم هو الله سبحانه ، وليس مع الله غيره ، كما أنَّ الوجود الذي هو ذاته وجود وليس معه غيره ولا فيه ، لا بتعلّق ولا بِانْبساط ، والأعيان الثَّابتة التي يدّعونها المصنف ومن هو قائل بهذه المقالة الشنيعة ليست في ذاته ولا في علمه الذي هو ذاته ، وإنَّما هي في خزائنه الإمكانية التي جعلها ممكنة بعد أن لم تكن مذكورة لا في العلم ولا في الاسم ، لأنَّ كلّ السِّوى في رتبة ذاته ممتنع عقلاً وممنوع نقلاً ، فأمكنها بمشيئته الإمكانيَّة ، وهو أوَّل ما ذكرت به في

(١) التوحيد : ٦٨ ح ٢٠، والكافي : ١ / ١٠٧ ح ٢ وفيه : (**ولا شيء غيره . .**) .
(٢) في نسخة : اختلف .

العلم ، فإنَّه العلم الإشراقيّ ، وهذا أوَّل مراتبه ولا أوَّل له في الإمكان ، وثاني مراتبه ما ذكرت به في الأكوان وما أمكن بمشيئته[١] الإمكانيَّة هي خزائنه التي لا تنفد ولا تنقص أبد الأمد وأمد الأبد ، ينفق منها كيف يشاء .

والعلم الإشراقيّ يوجد بوجودها ويرتفع بارتفاعها ، بل هو نفسُها ، وحيث وجد فهو موجود عند نفسه وهو عند الله ، وحيث يفقد فهو مفقود عند نفسه وهو عند الله ، لأنَّ ما دخل في ملك الله لا يخرج منه ، فالعلم الإشراقيّ لا يخرج عن ملك الله ولا يدخل في ذات الله ، وأوَّل مراتبه الإمكان وآخر مراتبه آخر مراتب الأكوان ، كلّ شيء بحسبه ، وكيف يخرج شيء عن ملكه وقبضته ؟ وإنَّما هو هو بملكه الذي هو الأمر المفعوليّ وبقبضته الذي هو (الَّتي هي) الأمر الفعلي .

فنحن[٢] نقول بقول المصنف الآتي بعد هذا بمعنى مرادنا لا بمعنى مراده ، وهو قوله : (فما عند الله هي الحقائق المتأصّلة التي نزلت هذه الأشياء منها منزلة الأشباح والأظلال) انتهى .

واختلافنا معه في هذا العند ، فعنده أنَّ هذا العند هو علمه الذي هو ذاته ، وعندنا أنَّ هذا العند هو ملكه من الإمكانات والأكوان ويأتي تمام هذا .

---

(١) في نسخة : بمشيئة .

(٢) في نسخة : ونحن .

وقوله : (إذ لو بقي شيء من الأشياء لم يكن ذلك العلم علماً به لم يكن صرف حقيقة العلم) على ظاهره صحيح ، لكنَّه قشري ، وعلى باطنه باطل .

أمَّا صحّته على ظاهره فظاهرة .

وأمَّا كونه قشريّاً فلأنَّه إنَّما يصحّ على ظاهر اللَّفظ ، ولو كان لُبِّيّاً لكان ظاهره وباطنه صحيحاً ، مع أنَّ باطنه باطل كما تسمع الآن ، لأنَّه إنَّما يفرض هذا فيما يكون المعلوم غير صادر عن فعل العالم .

وأمَّا إذا فرض أنَّه صادرٌ عن فعله فكيف يفرض أنَّه غير عالم به وهو صانع له ؟ ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ﴾(١) ، ولأنَّه إنَّما يفرض إذا كان العلم مغايراً للمعلوم .

وأمَّا ما قيل بالاتّحاد فما معنى الفرض حينئذ ؟ وإذا فرض أنَّه مغاير للمعلوم لزمه محذورات تنهدم بها أعظم قواعده .

وأمَّا أنَّه على باطنه باطل ، فلأنَّه يريد بالعلم الذي ذكره هو العلم الذَّاتيّ الذي هو الذَّات بدون مغايرة من جميع الوجوه ، وقد قرَّرنا سابقاً أنَّه علم ولا معلوم ، لأنَّ العلم لا بدَّ أن يكون مطابقاً للمعلوم ومقترناً به وواقعاً عليه ، فإذا أراد بالعلم المتعلق بالأشياء

---

(١) سورة الملك ، الآية : ١٤ .

هو الذَّاتي الذي هو الله سبحانه ، فإن فرضه مطابقاً للمعلوم لزم أن يكون مطابقاً للمعلوم كالجدار مثلاً ، وإن فرضه غير مطابق كان جهلاً ، وكذا حكم المقارن له والواقع عليه ، فلا يكون مطابقاً ولا مقترناً ولا واقعاً ، وإلَّا لزم الحدوث ، وإن لم يكن مطابقاً ولا مقترناً ولا واقعاً لزم الجهل ، فهذا معنى أنَّ باطن كلامه باطل .

ومثل قوله الذي تكلَّمنا عليه ، قوله : (فلم يخرج جميعه من القوَّة إلى الفعل) حرفاً بحرف في صحَّة ظاهره في بادي الرأي ، وفيما يرد عليه وفي بطلان باطنه .

وقوله : (وقد مرّ أنَّ علمه راجع إلى وجوده) يريد به أنَّ وجوده هو وجود كلّ شيء وعلمه إذا كان هو وجوده ، بناءً على عينيَّة الصِّفات كان علمه هو وجود معلومه ، أو وجود علمه وجود معلومه ، فلم يبق شيء لم يكن معلوماً له ، كما لم يبق موجود لم يكن موجوداً به .

وهذا المعنى وإن كان في نفسه صحيحاً إلّا أنَّه باطل بما قدَّمنا من عدم إمكان تقوّم الحادث بالقديم ، إذ لا يجتمعان في مكان لامتناع نزول القديم إلى الإمكان بذاته ، وامتناع صعود الحادث إلى القديم بذاته .

عِلمُ الله لا يشوبه عيبٌ أو نقصٌ

قال : فكما أنَّ وجوده لا يشوب بعدم ونقص ، فكذلك علمه الذي هو حُضُور ذاته لا يشوب بغيبة شيء من الأشياء ، كيف وهو محقق الحقائق ومشيّيء الأشياء ، فذاته أحقّ بالأشياء من الأشياء بأنفسها ، فحضور ذاته تعالى حضور كلّ شيء ، فما عند الله هي الحقائق المتأصّلة التي نزلت هذه الأشياء منها منزلة الأشباح والأظلال .

أقول : ربّما يتوهّم من كلامه في قوله في العلم (بغيبة شيء) أنَّه فارق بين الوجود والعلم ، ولكن كلامه بعد هذا وهو قوله : (فحضور ذاته تعالى حضور كلّ شيء) صريح في الاتّحاد ، لأنَّه يريد بالحضور هنا العلم ، وهو بعينه الوجود ، وكون العلم هو الحضور صحيح ، وكون الوجود هو الحضور صحيح ، إلّا أنَّ الحضور الذَّاتيّ شيء واحد وهو العلم ، وهو الوجود ، وهو السَّمع ، وهو الذَّات ، وهكذا إلّا أنَّه لا يكون حضور كلّ شيء ولا حضور شيء سواه تعالى ، سواء اعتبر كونه وجوداً أم علماً إذ لا يتّحد القديم بالحادث ، لأنَّ الحادث عدم ونقص ، والقديم لا يخرج في حال من الأحوال عن أزله ، والحادث لا يخرج في حال من الأحوال عن إمكانه ، ولا يجتمع الوجوب الذَّاتيّ مع الإمكان في حال من الأحوال .

وقوله : (فكما أنَّ وجوده لا يشوب بعدم ونقص) ينافي قوله : (فحضور ذاته تعالى حضور كلّ شيء) فإنَّ حضور ذاته وجوداً كان أم علماً إذا كان حضور كلّ شيء اتّحد القديم بالممكن ، وذلك مستحيل كما سمعت ، ودعوى إمكان هذا الاتّحاد بل وقوعه بناءً على أنَّ حقيقة الممكن حدود موهومة كما قال شاعرهم :

وَمَا النَّاسُ فِي التِّمثَالِ إلّا كَثَلجَةٍ
وَأَنتَ لَها المَاءُ الذي هُو نَابِعُ
وَلَكِن بِذَوبِ الثَّلجِ يُرفَعُ حُكمُهُ
ويُوضَعُ حُكمُ المَاءِ والأَمرُ وَاقِعُ(١)

وقال آخر :

كُلُّ مَا فِي الكَونِ وَهمٌ أو خَيَالُ   أَو عُكُوسٌ فِي المَرَايَا أَو ظِلَالُ(٢)

وأمثال ذلك باطلة نشأت من وساوس الشَّيطان .

وقوله : (كيف وهو محقّق الحقائق ومشيّئ الأشياء) صحيح ، ولكنَّه محقّق الحقائق بفعله بأن اخترع لها حقائق ووجودات لا من شيء ، وهو جاعل الأشياء بمشيئته كذلك ، بل لم يكن شيئاً إلّا بمشيئته بأن جعل لها شيئيات وحقائق بها كانت

---

(١) انظر شرح الأسماء الحسنى : ١ / ١٦٤ .
(٢) اللمعة البيضاء للتبريزي : ١١٠ .

أشياء ، ولم يكن تعالى محقّقاً (لها) بحقيقته ، ولا مشيّئاً لها بشيئيته ، بل بمشيئته جلّ أن يلابسه شيء ، أو يدانيه شيء ، أو ينسب شيء منه إلى شيء غيره ، أو ينسب شيء من غيره إلى شيء منه ، أو يكون بينه وبين شيء منه ، أو بين ما ينسب إليه وبين شيء غيره ربط أو نسبة ، أو مقارنة ، أو فصل ، أو وصل ، وتعالى عن جميع ذلك علوّاً كبيراً .

وقوله : (فذاته أحقّ بالأشياء من الأشياء بأنفسها) حقّ ، ولكن ليس على نحو ما قال وأراد ، بل على نحو ما نبّه عليه هو سبحانه في آياته مثل السِّراج ، فإنَّ الشُّعلة المرئية أحقّ بالأشعَّة المنبثَّة من الأشعَّة بأنفسها ، مع أنَّ الشُّعلة ليست آيةً للحقّ تعالى ، وإنَّما هي آية للوجه الباقي الذي يتوجَّه إليه الأولياء ، لأنَّ الشُّعلة المرئيَّة كما مرّ متعدّداً دخان قد كلَّسته النَّار الغائبة التي هي آية الرَّبّ الخالق بفعلها ، فانفعل الدُّخان عن فعل النَّار بالاستضاءة ، فهي بمنزلة القائم بالنسبة إلى فاعل القيام ، يعني أنَّ القائم اسم لفاعل القيام ، والقائم متقوّم من حركة إيجاد القيام التي فعل الفاعل ، ومن القيام الذي هو أثر تلك الحركة ، فتركب منهما اسم الفاعل ، وجميع الأشعَّة المنبثَّة متقوّمة بالقائم من جهة رُكْنَيْهِ ، تقوَّمت بركنه الأيمن ، أعني الحركة تقوّم صدور ، وبركنه الأيسر ، أعني الأثر الذي هو القيام تقوّماً ركنيّاً .

وليس بين الأشعَّة وبين النَّار تعلّق ولا ربط ولا شيء من أنواع

النَّسب ، وإنَّما الارتباط والتَّعلّق والسببية بينها وبين فعله ، فإن كانت النَّار وجودها هو نفس وجود الأشعَّة صحَّ ما يدَّعيه ، لكنَّ النَّار ليس بينها وبين الأشعَّة تعلّق بوجه إلّا أنَّ التعلّق لفعلها كذلك ليس بين ذات الله عزَّ وجلَّ وبين الأشياء تعلّق بوجه ، وإنَّما التَّعلّق بين فعله وبينها على نحو ما قرَّرنا ، فقد بطل قوله عند من صحَّ اعتقاده وصفى حسّه ولطف ، وهذا ظاهر ، وما أكثر ما أكرّر هذه المطالب النَّفيسة لمن عسى أن يتذكَّر .

وقوله : (فحضور ذاته تعالى حضور كلّ شيء) يريد لمَّا كان علمه راجعاً إلى وجوده ، يعني أنَّه صادقٌ عليه كما تقدَّم في بحث عينيَّة الصِّفات ، وكان وجوده حقيقة واحدة تتعلَّق بذاتها بكلّ شيء ، بحيث يكون حضور ذاته ، أي وجودها حضور كلّ شيء أي وجود كلّ شيء ، لأنَّ وجود ذاته تمام كلّ شيء كما تقدم ، كان علمه حقيقة واحدة تتعلق بذاتها بكلّ شيء ، بحيث يكون حضور ذاته ، أي علمها حضور كلّ شيء ، أي العلم بكلّ شيء .

ويلزم من هذا أنَّ علمه تعالى بذاته هو علمه بمخلوقاته ، فيلزم من اتّحاد العلم اتّحاد المعلوم والعبارة عن هذا اللّازم أنَّ مخلوقاته هم ذاته ، فيلزم بهذا من غير استنكار ولا استيحاش إلّا أنَّ ذلك على جهة الإجمال .

وكلامه بعد هذا ظاهر في ذلك حيث قال : (فما عند الله هي

الحقائق المتأصّلة التي نزلت هذه الأشياء منها منزلة الأشباح والأظلال) .

فنقول عليه :

تعليق الشيخ الأوحد على رأي المصنف في علم الله

أوَّلاً : إذا أثبت[١] في ذاته الحقائق المتأصّلة ، لأنَّ العلم بها عين العلم بذاته ، فالَّذي جعل[٢] بمنزلة الأشباح والأظلال هل هي معلومة له أم لا ؟ فإن كانت معلومة له فكلّها عنده لا حقائقها المتأصّلة خاصَّة ، فيتوجه عليه أن كلّ ما دخل في علمه في ذاته متّحد به ، سواء كان مثبتاً أم منفيّاً ، فممَّا ينتقض عليه دليله على قوله : بسيط الحقيقة كلّ الأشياء وغير ذلك ، وإن كانت غير معلومة له بطل قوله ، فكذلك علمه الذي هو حضور ذاته لا يشوب بغيبة شيء من الأشياء ، فإنَّه حينئذ يشوب بغيبة نصف الأشياء ، بل أكثر ، لأنَّ الفروع أكثر من الأُصول .

وثانياً : هل يجد تعالى في علمه الذي هو ذاته أنَّ في علمه الذي هو ذاته حقائق متأصّلة لخلقه أم لا ؟ فإن علم أنَّ في علمه وذاته حقائق غيره فقد علم أنَّه مركَّب ، لأنَّ تلك الحقائق هل هي

---

(١) في نسخة : ثبت .

(٢) في نسخة : جعله .

الذَّات ليس غيرها شيء أم هناك ذات فيها تلك الحقائق ؟ فإن لم يكن شيء إلّا تلك الحقائق تناقض قوله في سائر كتبه بأنَّ ذاته تعالى غير مجعولة بالذَّات ، وأنَّ تلك الحقائق غير مجعولة بالتَّبع ، وما بالذَّات غير ما بالتبع ، فيلزمُ التركيب على فرض أنَّ ليس شيء غير[1] تلك الحقائق وإن كان هناك ذات غير تلك الحقائق لزم التركيب أو كونه محلاً لغيره من الحقائق المتأصّلة ومن الأشباح والأظلَّة والأعراض ، ومن الأُمور الثَّابتة ، ومن الأُمور المتجدّدة المتقضية ، إذ لا يجوز أن يكون ليس عنده إلّا الثابتة المتأصّلة وما سواها ليس عنده ، فيكون غائباً[2] عنه ، فلا يكون العلم صرف حقيقة العلم .

وما أعجب ما يقولون من أنَّ علمه تعالى محيط بكلِّ شيء لا يعزب عنه شيء ، ويحصرون ذلك كلّه في الأُصول ، ويخرجون هيئاتها وجزئيَّاتها وأشباحها وتفصيلاتها وظواهرها وحدودها ومقاديرها وما أشبه ذلك عن ذلك العلم المطلق ، فنحن نعلم ما لا يعلم ، تعالى عن ذلك .

والحاصل : إنَّما أذكر هذه الأُمور بدليل الحكمة والموعظة الحسنة لا بدليل المجادلة بالَّتي هي أحسن لأُنبهك على هذه

---

(١) في نسخة : من .
(٢) في نسخة : غايبة .

الهفوات التي كانت عند أكثر النَّاس هي حقائق العلم وأسراره لم ينكرها من النَّاس أحد إلّا محمَّد وأهل بيته صلى الله عليه وآله ، والله ما كان بيني وبين المصنف وأتباعه بينونة ولا شيء يكره ، وإنَّما حَداني على ما كتبت إحياء دين محمَّد وآله صلى الله عليه وآله و﴿ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴾[1] .

في الصفات الكمالية

قال : المشعر الثَّالث : في الإشارة إلى صفاته الكماليَّة ، القاعدة المذكورة في عموم تعلّق علمه تعالى بالأشياء مطّردةٌ في سائر صفاته ، فقدرته مع وحدتها يجب أن يكون قدرة على كلِّ شيء ، لأنَّ قدرته حقيقة القدرة ، فلو لم تكن متعلّقة بجميع الأشياء لكانت قدرة على إيجاد شيء دون شيء آخر فلم تكن قدرته صرف حقيقة القدرة .

أقول : هذا كالسَّابق ، والكلام عليه كالكلام على السَّابق ، إلّا أنَّه يرد عليه شيء سبق منَّا جوابه والتنبيه عليه ، وهو ما يقولون بأنَّ العلم أعمّ من القدرة ، فإنَّ من جملة ما يتعلَّق به العلم ذاته والأُمور المستحيلة على زعمهم ، ولا تتعلَّق القدرة بذاته ولا بالمحالات .

---

(١) سورة هود ، الآية : ٣٥ .

ونحن أشرنا إلى الجواب فيما تقدم فراجعه ، فإنَّك لا تجده في كتاب غير ما كتبناه إلّا عادلاً عن الصواب .

الكلام في الإرادة وحدوثها وأنها غير قديمة

قال : وكذا الكلام في إرادته وحياته ، وسمعه وبصره ، وسائر صفاته الكمالية ، فجميع الأشياء من مراتب قدرته وإرادته وحياته وغير ذلك ، ومن استصعب عليه أنَّ علمه مثلاً مع وحدته علم بكلّ شيء . وكذا قدرته مع وحدتها متعلّقة بكلّ شيء ، فذلك لظنّه أنَّ وحدته تعالى ووحدة صفاته الذَّاتية وحدة عدديَّة وأنَّه تعالى واحد بالعدد ، وليس الأمر كذلك ، بل هذه ضرب آخر من الوحدة غير العدديَّة والنَّوعيَّة والجنسية والاتِّصاليَّة وغيرها ، لا يعرفها إلّا الرَّاسخون في العلم .

أقول : يريد أنَّ الكلام في سائر الصِّفات الثّبوتيَّة ، كالكلام في الوجود وفي العلم كما تقدَّم من عموم تعلّقه وأنَّ ذلك ـ أعني تلك الحقيقة المتعلقة ـ أولى بما تعلَّقت به من نفسه ومن غيره ، وأنَّ حضور تلك الحقيقة هي عين حضور ما تعلَّقت به كما مضى في الوجود وفي العلم .

وأنت خبيرٌ بما أوردنا عليه فيما تقدَّم في هذه الدَّعوى وبيّنّا

بطلان دعواه بدليل الحكمة ليس فيه شيء من دليل المجادلة بالَّتي هي أحسن ، لئلا يحصل الالتباس في المقدِّمات وفي الحمل والاشتباه في معاني المقدِّمات ، بين ما يراد منه المعنى بالمفهوم وبالعكس ، وبين المتأصل بالمنتزع وغير ذلك .

وبما قدَّمنا ينتقض ما ذكره هنا .

وهنا أشياء يحتاج في نقضها على شيء آخر غير ما ذكرناه هناك وإن كنَّا ذكرناه مفرّقاً في هذا الشرح .

ومنها قوله : (وكذلك الكلام في إرادته وحياته وسمعه وبصره) فإنَّ الإرادة على رأيه هو وأكثر القوم من المتكلّمين والحكماء المتألِّهين والصّوفيَّة وغيرهم قديمة ، وهي ذات الله ، وهي العلم الخاصّ بالمصلحة ، وليست العلم المطلق ، ومذهب أئمَّتنا عليهم السلام أنَّها حادثة ، وليس لله إرادة قديمة ، لأنَّ الإرادة لا تكون إلّا والمراد معها ، ولأنَّه تعالى لم يزل عالماً قادراً ثمَّ أراد ، لأنَّ إرادته إنَّما هي إحداثه لا غير ، لأنَّه لا يروِّي ولا يهمّ ولا يفكّر .

وقد روى الصدوق[1] في توحيده عن الرِّضا عليه السلام أنَّه

---

(١) هو الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه المشتهر بالصدوق .
ولد بدعاء الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه بقم المقدسة بعد سنة ٣٠٥ هـ
توفي بالري سنة ٣٨١ هـ ودفن فيها قرب السيد عبد العظيم الحسني .

قال : (**المشيئة والإرادة من صفات الأفعال ، فمن زعم أنَّ الله لم يزل مريداً شائياً فليس بموحّد**)[١] انتهى .

ومحاجّته مع سليمان المروزي كما في التَّوحيد وعيون أخبار الرِّضا والاحتجاج وغيرها ممَّا لا تنكر ، حتَّى إنَّه عليه السلام لم يترك لسليمان حجَّة ولا نوع احتمال[٢] .

ولا شكَّ أنَّ كلّ من له أدنى عقل يحكم بحدوثها من جهتين :

أدلة حدوث الإرادة

الأولى : إنَّ الله سبحانه قال في كتابه العزيز : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْآفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾[٣] .

وقال الصَّادق عليه السلام : (**العبودية جوهرة كنهها الرُّبوبيَّة**

---

(١) توحيد الصدوق : ٣٣٨ ح ٥ باب معنى البداء ، ومستدرك الوسائل : ١٨ / ١٨٢ ح ٢٢٤٤٩، ومختصر البصائر : ١٤٣ .

(٢) قال الرضا عليه السلام ، في الردّ على سليمان المروزي : (**هذا الذي عبتموه على ضرار وأصحابه من قولهم : إنَّ كلّ ما خلق الله تعالى في سماء أو أرض ، أو بحر أو برّ ، من كلب أو خنزير أو قرد ، أو إنسان أو دابة إرادةُ الله ، وإنَّ إرادة الله تحيَى وتموت ، وتَذْهَبُ وتأكل وتشرب ، وتنكح وتلتذ ، وتظلم وتفعل الفواحش ، وتكفر وتشرك ، فيبرأ منها ويعاديها ، وهذا حَدُّها**) بصائر الدرجات : ١٤٥ .

(٣) سورة فصلت ، الآية : ٥٣ .

فما فُقِدَ في العبودية وجد في الرُّبوبيَّة ، وما خفي في الرُّبوبيَّة أُصيب في العبوديَّة)[١] الحديث .

وقال الرِّضا عليه السلام : **(قد علم أُولو الألباب أنَّ الاستدلال على ما هناك لا يعلم إلّا بما هاهنا)**[٢] انتهى .

وفي الأبيات المنسوبة إلى أمير المؤمنين عليه السلام :

أَتَحْسَبُ أَنَّكِ جُرمٌ صِغِيرُ   بِأَحرُفِهِ يَظْهَرُ المُضْمَرُ
وِأنتَ الكُتِابُ المُبِينُ الَّذِي   وِفِيكَ انطَوَى العَالَمُ الأكبرُ

وغير ذلك ممَّا يدلُّ على أنَّ دليل هذه وأمثالها يوجد في الإنسان والَّذي تجد فيه نفسك أنَّ إرادتك حادثة ، فإنَّك قد تريد فتوجد إرادتك ، وقد لا تريد فتنفي إرادتك ، ولو كانت هي[٣] ذاتك لما أمكن نفيها مع وجود ذاتك ولو اعتباراً ، لأنَّك لو اعتبرت نفي شيء[٤] ممَّا هو أنت لم تقدر إلّا بملاحظة المغايرة ولو اعتباراً وتصوّراً ، أو اعتبار حيثيَّة ، وكلّ ذلك لا يتصوَّر في حق القديم تعالى ، مع أنَّك تقول : لم يرد الله ، قال تعالى : ﴿ أُوْلَتِكَ

---

(١) مصباح الشريعة : ٧، وتفسير نور الثقلين : ٤ / ٥٥٦ ح ٧٧، والأصول الأصيلة للفيض : ١٩٣ .
(٢) توحيد الصدوق : ٤٣٨، وعيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ / ١٥٦ .
(٣) في نسخة : هذه .
(٤) في نسخة : الشيء .

﴿ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ ﴾[١] وقال تعالى : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ ﴾[٢] فكيف تكون هي ذاته وهي تُنْفَى وتثبت ؟

ولا يصحّ أن يقال : إنَّ هذه إرادة الأفعال وهي لا شكَّ حادثة ، ونحن إنَّما نريد ونعني بالقديمة التي هي ذاته الإرادة القديمة .

لأنّا نقول : أنتم تتكلَّمون بما تفهمون وتعقلون أم بما لا تفهمون ولا تعقلون ؟ فإن كان بما لا تفهمون ولا تعقلون فأمسكوا ، فإنَّ العاقل لا يتكلَّم فيما لا يعقل على أنَّكم كيف تصفون ما لا تفهمونه وتحكمون (على) ما لا تعقلونه ، وإن كان بما تفهمون ، فالإرادة إنَّما هي طلب الفعل أو نفس الفعل لأنَّها ميل الذَّات إلى جهة مطلوبها .

فإذا فرضتم أنَّ الإرادة قديمة فما معنى أراد الله ذاته فكما أنَّك تقول : علم ذاته وسمع ذاته فما معنى أراد ذاته ، يعني أحب نفسه ، أو أراد أن يكون هو إيّاه ، أو يكون سميعاً وبصيراً وعليماً ، فكان ما أراد بإرادته ، أم أراد ما لم يدخل في قدرته أم أراد ما كان .

وإذا فرضتم أنَّ الإرادة في الأزل تتعلَّق بما في الحدوث

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ٤١ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ١٨٥ .

كالعلم ، فإن كان الميل هو التعلّق الحادث بحدوث المتعلّق ، فذلك حادث وإن كان الميل في الأزل والتعلّق والمتعلّق في الحدوث ، قلنا هل الميل حالة غير حالة عدم الميل ، أم هي هي ؟ فعلى الأوّل تختلف أحواله ومختلف[١] الأحوال حادث وعلى الثاني يلزم أنَّكم تقولون بما لا تعقلون .

والجهة الثَّانية أنَّكم لا تعرفون الأزل ولم تدركوه ولم تروه ، ولا صعدتم إليه ، فترون ما ثَمَّ ولا نزل إليكم فتشاهدون ما جاءكم به ، ولم يأتكم منه خطاب ولا كتاب ولا رسول يخبركم بما تدَّعون ، وإنَّما جاءكم منه رسول صادق صلى الله عليه وآله يخبركم عنه أنَّه ليس هو إرادة ولا له إرادة قديمة هي ذاته أم غيرها ، بل إرادته هي عين فعله بلا مغايرة .

ولذا قال الصَّادق عليه السلام : (**أمَّا الإرادة من الخلق الضَّمير وما يبدو لهم من الفعل بعد ذلك ، وأمَّا إرادة الله فإحداثه لا غير ، لأنَّه لا يُروِّي ولا يهمّ ولا يفكِّر**[٢])[٣] .

وقال الرِّضا عليه السلام : (**المشيئة والإرادة والإبداع أسماؤها ثلاثة ومعناها واحد**)[٤] .

---

(١) في نسخة : المختلف .

(٢) في المصدر : يتفكر .

(٣) الكافي : ١ / ١١٠ ح ٣، وشرح أصول الكافي : ٣ / ٢٦٧ ح ٣ .

(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام : ١ / ١٥٤ ، وتحف العقول : ٤٢٤، =

ولمَّا قال سليمان المروزي : إنَّها هي العلم قال عليه السلام : (**المشيئة ليست كالعلم ، فإنَّك تقول : أفعل إن شاء الله ولا تقول : أفعل ذلك إن علم الله ، ومن قال بخلاف هذا فهو قائل بما لا يعقل أو مفتر على الله**)[1] هذا بدليل الحكمة .

دليل المجاهدة على قِدَم الإرادة والمشيئة

وأمَّا بدليل المجاهدة[2] فقال : مدّعى قدم الإرادة والمشيئة لوجهين :

الأوَّل : إنَّها لو كانت حادثة لكانت محدثة بإرادة غيرها ، وتلك الإرادة إن كانت حادثة كانت حادثة بإرادة أُخرى ، ويلزم التَّسلسل ، فيجب أن تكون قديمة .

والثاني : إنَّها صفة ، والصِّفة لا تقوم بنفسها ولا بغير موصوفها ، فلو كانت حادثة كان تعالى محلاً للحوادث وهو باطل ، فيجب أن تكون قديمة .

= وتوحيد الصدوق : ٤٣٦ وفيه : (**اعلم أن الإبداع والمشيئة والإرادة معناها واحد وأسماؤها ثلاثة**) .

وفي حديث آخر عن الإمام الرضا عليه السلام : (**فالخلق الأول من الله الإبداع لا وزن له ولا حركة ولا سمع ولا لون ولا حسن**) توحيد الصدوق : ٤٣٦ باب ذكر مجلس الرضا .

(١) انظر بصائر الدرجات : ١٤٥ .

(٢) في نسخة أخرى : المجادلة .

ردّ الشيخ الأوحد على المصنف في المسألة

والجواب عن الأوّل ما ذكره عليه السلام قال : (**إنَّ الله تعالى خلق المشيئة بنفسها ، ثمَّ خلق الخلق بالمشيئة**)[١] فإذا كانت محدثة بنفسها كما هو شأن كلّ فعل من عالم الغيب كالنيَّة ، فإنَّها محدثة بنفسها لا بنيَّة أُخرى أو الشَّهادة كالحركات الظَّاهرة ، فإنَّها محدثة بنفسها لا بحركة أُخرى فلا يلزم التَّسلسل . وهذا ظاهر .

والجواب عن الثَّاني أمَّا عن كونها صفة والصّفة لا تقوم بنفسها فغير مسلّم ، فإنَّ كلّ شيء من الخلق فهو صفة فعله تعالى وجميع الجواهر قائمة بأنفسها ، إذ كلّ معلول جوهريّ فهو قائم بنفسه ، وهو صفة علّته ، لأنَّه من الفعل كالمصدر المؤكَّد من الفعل في قولك ضرب ضرباً ، وأمَّا أنَّ الصفة لا تقوم بغير موصوفها فغير مسلّم ، فإن كلّ صفة قائمة بموصوفها قيام صدور فهي قائمة بغير موصوفها ، فالأشعَّة صفة السِّراج ونور الشَّمس والقمر ، وهي قائمة بالجدار ، والكلام صفة المتكلم وهو قائم

---

(١) قال الإمام الصادق عليه السلام : (**خلق الله المشيئة بنفسها ثم خلق الأشياء بالمشيئة**) . التوحيد : ١٤٨ ح ١٩ باب (١١) صفات الذات وصفات الأفعال ، وشرح الأسماء الحسنى : ١ / ٧ ، وبحار الأنوار : ٤ / ١٤٥ ، ومختصر بصائر الدرجات : ١٤١ .

وفي رواية : (**خلق الله المشيئة قبل الأشياء ثم خلق الأشياء بالمشيئة**) التوحيد ح ٨ باب (٥٥) المشيئة والإرادة ، وبحار الأنوار : ٤ / ١٤٥ ح ٢٠ .

بالهواء والإرادة من هذا النَّوع ، وهذا ظاهر ، فإنَّه تعالى أقامها بنفسها وأقام الأشياء قيام صدور بها وقياماً ركنيّاً بنفسه أي بمادتّه .

وأمَّا أنَّه لو كانت حادثة كان محلاً للحوادث فهو حقّ ، ولكنَّه تعالى أيضاً كما لا يجوز أن يكون محلاً للحوادث لا يجوز أن يكون محلاً للقدماء .

فإن قلت : يجوز في القديم ، لأنَّها ذاته .

قلت : لو كانت ذاته جاز ، لكنَّها غيره ، لكون (غير الكون)[1] مفهومها معلوماً مدركاً لأنَّه ميل الذَّات ، والذَّات لا تكون ميلاً لنفسها وإلَّا لزم التَّغاير والتعدُّد .

وإن قلت : إنَّها غير مدركة .

قلنا لك : فَلِمَ سمَّيته بما لم تدركه ولم يسمِّ نفسه به ؟ .

فإن قلت : قد سمَّى نفسه بكونه مريداً .

قلنا : إنَّما سمَّى نفسه بكونه فاعلاً بها كما قال تعالى : ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[2] وإرادته هي أمره المعبّر عنه بـ (كن) ويأتي إن شاء الله بيان هذه الآية ورفع ما يتوهَّم فيها من الإشكال .

---

(١) في نسخة أخرى .

(٢) سورة يس ، الآية : ٨٢ .

الكلام في الحياة والسمع والبصر

وأمَّا حياته تعالى وسمعه وبصره فكما قلنا في العلم لأنَّها هي الذَّات بلا مغايرة ، فإذا أردت بالحياة ما تفهمه من معنى الحياة فهو معنى محدث من معاني أفعاله ، لأنَّك لا تدرك إلّا الحادث وهو الموجود في الحيوانات ، أعني التَّحرّك بالإرادة .

وعلى قول المصنف تكون ذات الله سبحانه القديمة عين حياتها التي هي الله سبحانه عين حياة الفرس والكلب التي هي التحرّك بالإرادة ، وسمع الله الذي هو الله سبحانه هو عين سمع الحيوان الذي هو إدراك صوت قرع طبل الأُذن ، والبصر الذي هو ذات الله القديمة ، هو عين بصر الحيوان الذي هو إدراك صورة المرئيّ المنطبعة في الجليدية ، تعالى الله عمَّا يقولون(١) علوًّا كبيراً .

وكيف لا يستصعب على من عرف الله هذه الدعاوى الباطلة لاستحالتها لا لظنّه أنَّ الوحدة التي يدّعونها وحدة عددية ، حيث جعلوا وجوده تعالى عين وجود الأشياء ، وعلمه بذاته عين علمه بها ، وكذا حياته عين حياتها ، إلى آخر ما قالوا ، أو وحدة نوعيَّة ، أو جنسيَّة ، أو غيرها ، وكيف يكون الاستصعاب من جهة

---

(١) في نسخة : يقول الظالمون .

توهمه في الوحدة ، وهم يصرّحون بها في تمثيلاتهم فيقولون : كالبحر والأمواج ، فإنَّ وحدة البحر تطوي كثرة الأمواج ، وكالصّوت والحروف ، وكالمداد والحروف المكتوبة ، وكالشَّجرة والأغصان والورق ، وكالماء والثلج ، وكالثوب والألوان المختلفة عليه وغير ذلك من تمثيلاتهم المصرّحة بدعواهم .

وقوله : (لا يعرفها إلّا الرَّاسخون في العلم) يكون معناه عند من عرف الله ؛ لا يعرف كلمة الكفر في دعوى الإسلام إلّا الرَّاسخون في الجهل بالله أعني علم التّصوف .

فاعلم هداك الله أنَّ هذه الوحدة التي يدّعيها في قوله : (إنَّ وجوده تعالى عين وجودات الأشياء وحضور ذاته في العلم عين حضور[1] الأشياء وحياته عين حياة الأشياء وأنَّها لا يعرفها إلّا الرَّاسخون في العلم) أظهر مِنْ نار على عَلَم وإنَّما يبعّدونها بالعبارات المختلفة ، فتارةً يقولون الأشياء شؤون ذاته ، وتارة أطوار ذاته أو ظهوراته ، أو صور له يلبس منها ما شاء ويخلع ما شاء أو ألوانه وأعراضه .

يقول شاعرهم :

كُلُّ مَا فِي عَوالِمِي مِن جَمَاد وَنَبَاتٍ وَذَاتِ رُوح مُعَارِ
صُوَرٌ لِي خَلَعتُهَا فإذَا مَا زِلتُها لا أَزُولُ وَهِي جِوَارِي

---

(١) في نسخة : ظهور .

أَنَا كَالثَّوبِ إِن تَلوَّنتُ يَوماً   بِاحمِرَارٍ وَتَارَةً بِاصفِرَارِ

إلخ .

وتقدَّم قوله :

وَمَا النَّاسُ فِي التِّمثَالِ إلّا كَثَلجَةٍ   وَأنتَ لَهَا المَاءُ الّذِي هُوَ نَابعُ
وَلكِن بِذَوبِ الثَّلجِ يُرفَعُ حُكمُهُ   وَيُوضَعُ حُكمُ المَاءِ وَالأمرُ وَاقِعُ

وأمثال ذلك فكيف مثل هذا لا يعرفه إلّا الرَّاسخون في العلم وهو يقول : (إنَّ وجوده عين وجود الأشياء) فإن أراد أنَّ وجودات الأشياء حصصٌ من الذَّات تميَّزت من الذَّات بمشخّصات لحقت الحصص لنفسها لا للذَّات ، فذلك كوحدة الشَّجرة وبساطتها ، فإنَّها قد طوت كثرة الغصون والورق عند لحاظ وحدة الشَّجرة ، وإن أراد أنَّ وجودات الأشياء ظهورات الذَّات فهي تجلّياتها ، والتجلّيات إشراقات منفصلة من الذَّات قائمة بها قيام صدور ، وهذه ليس وجود الذَّات وجودها لأنَّها آثار فعلية صدرت بفعل الذَّات وليست هي الذَّات كما ذكرنا سابقاً .

وقد قال الملَّا أحمد بن محمد بن إبراهيم اليزدي[1] في

---

(١) هو الحاج الملّا أحمد بن محمّد مهدي النراقي الكاشاني من مشاهير علماء إيران ومعروفي علماء بلاد المسلمين سبق في التحقيق أقرانه ، وفاق في التدقيق العلماء الأعيان ، كان مضرب المثل في الذكاء ومعترف له بحدّة الفطانة بين أبناء الزمان وكان في الشعر ذا طبع رفيع . وأصله من نراق ومسكنه كاشان . وكتبه كثيرة : كتاب منهاج الأُصول في مجلّدين وهو كتاب في علم الأُصول =

حاشيته على هذا الكتاب في الإشارة إلى بيان هذا المعنى الذي يشير إليه المصنف : (بل المراد أنَّ الواحد كما كان مبدأً لجميع مراتب الأعداد ، بمعنى أنَّ ليس شيء منها إلّا الواحد المكرّر ، فلا يوجد في مرتبة منها شيء سوى الواحد . نعم إنَّه قد تكرّر فيها ومع هذا لا يمكن أن يقال : إنَّ شيئاً منها هو الواحد كذلك الباري تعالى شأنه أصل جميع الأشياء وجميعها واحدة في هذا المعنى ، وهو تعالى مقوّم لها بالمعنى المذكور آنفاً ، مع أنَّه لا يمكن أن يقال : إنَّها من حيث هي كذلك عينه تعالى ولا هو عينها) انتهى .

يشير بعدم الصّدق من هذه الحيثيَّة إلى ما أشرت إليه في قولي بمشخّصات لحقت لنفسها لا للذَّات .

ثمَّ قال : (ولا ينافي كُلاًّ منهما ما قصد نفيه هاهنا كما يظهر لك الآن من بيانه) انتهى .

واعلم أنَّ تنظيره يخالف مقصوده لأنَّ مقصوده أنَّ العشرة تكرّر فيها الواحد بذاته ليطابق اعتقاده ، واعتقاد المصنف من أنَّ

= في غاية التنقيح ، وكتاب شرح تجريد الأُصول لوالده في ستّة مجلّدات ، وكتاب عين الأُصول ، وكتاب مفتاح الأُصول ، وكتاب معراج السعادة في علم الأخلاق ، وأصل الكتاب لوالده وكتبه بالفارسية بعد طلب سلطان العصر ، وهو كتاب جامع كامل في علم الأخلاق . انظر قصص العلماء للتنكابني رقم ٢٤ .

وجود الحق عين وجودات الأشياء ، ولذا قال : ليس شيء منها إلّا الواحد المكرّر ، فلا يوجد في مرتبة منها شيء سوى الواحد ، وحقيقة المنظّر به أنَّ العشرة إذا فرض أنّها مؤلّفة من تكرّر الواحد كان المتكرّر أمثال الواحد لا ذات الواحد ، إذ الواحد لا يتكرّر ، فإذا قلت : (ثبت)[١] أنَّ مراده في ذات الواجب مع الحادثات ما يراد من الواحد مع العشرة ، كان معناه أنَّ وجودات الأشياء ظهورات الواجب وشؤونه لا نفس وجوده .

وقوله : (ومع هذا ـ إلى قوله ـ مع أنَّه لا يمكن أن يقال : إنَّها من حيث هي كذلك عينه تعالى ولا هو عينها) ينافي ما أراد من قوله : (وهو تعالى مقوم لها) لأنَّه أراد بل صرَّح كما في تمثيله بالواحد في العدد أنَّها عبارة عن تكرّره في مراتب ظُهورها ، فإن أراد هذا المعنى فمعنى كونه مقوماً لها أنَّه عينها وهي عينه كما ذكر مميت الدين ابن عربي[٢] في شعره في كتابه الفصوص :

فَلَولَاهُ وَلَولَانَا لَمَا كَانَ الّذِي كَانَا

---

(١) زيادة من نسخة أخرى .

(٢) هو أبو بكر محيي الدين محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن علي من ولد عبد الله بن حاتم الطائي الأندلسي .
ولد بمرسية بالأندلس يوم الاثنين السابع عشر من شهر رمضان المعظم سنة ستين وخمس مئة هجرية (٥٦٠ هـ) (٢٨ / ٧ / ١١٦٥ م) .
مات في ٢٢ ربيع الثانية سنة ٦٣٨ هـ (٢٦ / ١١ / ١٢٤٠ م) .
انظر ترجمته في الدر الثمين : ٣٧، وفوات الوفيات : ٢ / ٣٢٥ .

فَـإنَّـا أَعـبـدٌ حـقّـاً وإنَّــا اللهُ مــولانــا
وإنَّـا عَـيـنُـهُ فَـاعـلَـم إذا مَـا قِـيـلَ إنـسَـانَـا
فَـلا تَـحـجَـب بِإنـسـان فَـقَـد أعـطَـاكَ بُـرهَـانَـا
فَكُن حَقّاً وَكُن خَلقَاً تَـكُـن بـالله رَحـمَـانَـا

إلخ .

فإن أراد هذا المعنى فينبغي أن يقول : إنَّه باعتبار التكرّر في المراتب فهو غيرها وهي غيره ، وباعتبار أنَّها إنَّما هي تكرّره ، فهي عينه وهو عينها .

وظاهر عباراته أنَّه أراد هذا المعنى بدليل قوله : (من حيث هي) وإن أراد به المغايرة الحقيقية وجب أن يراد بالتكرار التكرر بالظهورات لا بالذَّات ، وهذا وإن كان أيضاً باطلاً من جهة أنَّهم يريدون ظهوراته بذاته لا بأفعاله ومفاعيله ، ولو أراد هذا لكان حقًّا ، لكنَّهم ما يريدون إلّا اتباع الباطل ، ولهذا قلنا : إنَّه لا يريد إلّا المعنى الأوَّل ، وأمَّا المعنى الثَّاني فلا يريده على الظَّاهر وإن كان أيضاً باطلاً .

ولهذا قال : (لا ينافي كُلاًّ منهما ما قصد نفيه) أي لا ينافي كونه تعالى مقوّماً لها بمعنى أنَّها ليست إلّا تكرره أنَّه غيرها وأنَّها غيره ولا ينافي كونها عبارة عن تكرّره أنَّها غيره وأنَّه غيرها .

لكنّي أقول : إنَّه ينافيه لأنَّ الحيثيّة فرّقوا بها إن كانت شيئاً فهي

منها وهي تكرره ، وإن لم تكن شيئاً فلا فارق ، فتثبَّت بالتَّمسُّك بمذهب من يعتقد أنَّ الحقّ معهم وفيهم وبهم عليهم السلام .

بيان كلام الله تعالى وكتابه

قال : المشعر الرابع في الإشارة إلى كلامه وكتابه . كلامه تعالى ليس كما قالته الأشاعرة من أنَّه صفة نفسيَّة هي معان قائمة بذاته ، لاستحالة كونه محلاً لغيره ، وليس أيضاً عبارة عن خلق أصوات وحروف دالَّة ، وإلَّا لكان كلّ كلام كلام الله ، وأيضاً أمره وقوله سابق على كلِّ كائن كما قال : ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[1] .

أقول : أشار بقوله : (إلى كلامه وكتابه) إلى الفرق بينهما بقرينة العطف الذي يقتضي المغايرة ، وأراد التَّفسير على خلاف الأصل ، وسيذكر المصنف الفرق ، ثمَّ قال الكلام في الحقيقة ليس كما قالته الأشاعرة أبو الحسن عليّ بن إسماعيل بن بشير[2] الأشعري وأصحابه تبعاً لمحمَّد بن عبد الوهَّاب القطَّان فإنَّهم ذَهَبُوا إلى أنَّ كلام الله صفة لذات الله نفسانية ، وهو عبارة عن معان قائمة بذاته أو صورها القائمة بذاته كما قال الشَّاعر :

---

(١) سورة يس ، الآية : ٨٢ .

(٢) في نسخة : بشر .

إنَّ الكَلَامَ لَفِي الفُؤادِ وَإنَّمَا جُعِلَ اللِّسَانُ عَلَى الفُؤادِ دَلِيلا[(١)]

قال المصنف في ردّ كلامهم : (لاستحالة كونه محلاً لغيره) ، وهذا التّعليل حقّ لنا ، بمعنى أنَّ تلك المعاني أو الصّور معاني الخلق وصورهم ويستحيل في حقّه تعالى أن يكون محلاً لغيره ، ولكن هذا التّعليل يرجع ردًّا عليه بعين ما هو ردّ على الأشاعرة ، لأنَّ إثباته للحقائق المتأصّلة في ذاته التي يسمّونها بالأعيان الثّابتة يلزم منه أن يكون محلاً لغيره ، أو أنَّها هي هو ، وعندي أيضاً أنَّ كونه هي إيَّاه ليس بمخرج له عن كونه محلاً لغيره وليس كما قالته المعتزلة وعناهم بقوله : (وليس أيضاً عبارة عن خلق أصوات وحروف دالَّة) ويريد أنَّه عبارة عن أصوات وحروف مخلوقة ، لأنَّ الكلام ليس هو خلق الأصوات ، لأنَّ خلق الأصوات هو التّكلّم ، والكلام عبارة عن أصوات مخلوقة ، (وإلّا لكان كلّ كلام كلام الله) .

أقول : إنَّه ردّ كلام المعتزلة بوجهين :

الأوّل : هذا الإلزاميّ ، وهو قوله : (وإلّا لكان كلّ كلام كلام الله) وهو غير لازم عند المعتزلة ، لأنَّ هذا مبنيّ على أنَّه لا مؤثّر في الوجود إلّا الله ، والمعتزلة لا يسلّمونه وإنَّما تسلّمه الأشاعرة[(٢)] .

---

(١) إعانة الطالبين : ٢ / ٢٨٢ .

(٢) قال الشيخ الحرّ العاملي : قد رويت أحاديث متعدّدة في لعن القدريّة وذمّهم =

والثَّاني : قوله : (وأيضاً أمره وقوله سابق على كلِّ كائن كما قال : ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[(١)]) فإذا كان الأمر والقول من الكائنات لزم أن يسبقه أمر وقول ، كما هو ظاهر من قوله تعالى فننقل الكلام إلى هذا السَّابق ، فيكون مسبوقاً بأمر وقول ، وهكذا فيدور أو يتسلسل .

فإذا امتنع أن يكون الكلام كما قاله الأشاعرة ولا كما قاله المعتزلة وجب أن يكون له معنى آخر يحمل عليه .

هذا معنى كلام المصنف ، وقد بيّنّا لك بطلان الوجه الأوَّل وهذا الوجه أعني الثَّاني أبعد من الصواب ، لأنَّ هذا الوجه ـ أعني الثَّاني ـ إن أراد به الاستدلال عليهم بظاهر اللفظ فليس ممَّا يناسب من مثله مع ما يشير به في جميع كلماته أنَّ جميع ما يورد من المواهب والأسرار التي لا يقف عليها إلّا الأقلون الرَّاسخون في العلم ، وإن أراد به الحقيقة فهو غلط فاحش ، وذلك لأنَّ الأمر والقول هو المعبّر عنه بـ (كن) وهو الفعل ، ولا

= وكفرهم ، وهم منسوبون إلى القدر ، فإمّا أن يراد بهم من أثبت القدر على وجه الإفراط وهم أهل الجبر ، أو من نفاه على وجه التفريط وهم أهل التفويض ، وقد فسّره العلماء بالوجهين ، وقد يقرأ بضم القاف وسكون الدال نسبة إلى القدرة ، ويوجّه على الوجهين ، والقسم الأوّل الأشاعرة ، والثاني المعتزلة ، والقسمان منكرون للرجعة ، ولم يقل بها إلّا الإماميّة .

(١) سورة يس ، الآية : ٨٢ .

يريد الكلام ، وليس هذا مراد المعتزلة ، لأنَّ المراد عندهم هو الألفاظ ، وإذا أطلق الكلام ، إنَّما يراد منه الألفاظ ، لأنَّه هو المتعارف عند عامّة المكلّفين ، وقد قالوا عليهم السلام : (**إنَّا لا نخاطب النَّاس إلّا بما يعرفون**)[1] انتهى .

والآية الشَّريفة يراد فيها من الأمر والقول خصوص الفعل ، ولذا قال الصَّادق عليه السلام : (**لا كاف ولا نون وإنَّما أراد فكان**) أو كما قال .

هل الإرادة غير الأمر وغير الفعل ؟

واعلم أنَّك إذا جريت على ظاهر الآية من كون الإرادة غير الأمر وغير الفعل لظاهر الشَّرط قلنا لك : إنَّ ظاهر الشَّرط توقف الإرادة عليه ، فإنَّه إذا لم يرد لم يقل (كن) فإذا أراد قال : (كن)

---

(١) انظر أمالي الصدوق : ١٥٩ ح ١٥٦ ، والكافي : ٢ / ٢٢٣ ـ ٢٢٤ ح ٥ ، ولفظه في الكافي : عن عبد الأعلى قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : (**إنه ليس من احتمال أمرنا التصديق له والقبول فقط ، من احتمال أمرنا ستره وصيانته من غير أهله فأقرئهم السلام وقل لهم : رحم الله عبداً اجتر مودة الناس إلى نفسه ، حدثوهم بما يعرفون واستروا عنهم ما ينكرون**) .
لفظه في مختصر البصائر : (**بعثنا معاشر الأنبياء أن نخاطب الناس على قدر عقولهم**) مختصر البصائر : ١٥٤ ، وبحار الأنوار : ٢٥ / ٣٨٤ ذيل ح ٣٨ ، والمحتضر : ١١١ ، وأمالي الصدوق : ٥٠٤ ذيل ح ٦٩٣ ، والكافي : ٨ / ٢٦٨ ح ٣٩٤ .

وهذا ظاهر في توقّف وجودها على العزم على الفعل والميل إليه ، كتوقّف القول ، فهي مقارنة ومشروطة الوجود والمقارن لغيره ، ومشروط الوجود حادث ، وكلّ حادث متوقّف على قوله : (كن) فيلزم إمَّا أن تكون الإرادة عبارة عن الفعل المعبّر عنه بـ (كن) أو حادثة به ، والأوَّل هو مذهب أهل الحقّ عليهم السلام كما مرَّتِ الإشارة إليه ، والثَّاني يلزمه منه ما فرَّ عنه ، فإرادته تعالى عين فعله ، ولو كانت هي علمه لما صحَّ الشَّرط ، فلا يقال : إنَّما أمره إذا علم الشيء(١) أن يقول له كن فيكون ، لأنَّ العلم لا يكون مشروطاً بخلاف الإرادة ووقوعها بعد إذا ، دالّ على استقبال وجودها فافهم .

وكلام المعتزلة والأشاعرة في معنى كلام الله لغة ، والمصنف أراد من الكلام غير ما أراد الفريقان وهو طور آخر ، وهو وإن كان في الجملة صحيح في نفس معناه ، لكن لا يصح على إطلاقه ، لأنَّ ظاهر كلامه أنَّ كلام الله محصور فيما قال ، فيرد عليه ما يرد عليهم ، لأنَّه إذا أراد بالكلام ما وضع هذا اللَّفظ بإزائه في أصل اللّغة الحقّة التي هي كلام الله تعالى وكلام أوليائه عليهم السلام ، فكلّ شيء كلام الله ، يعني جميع أفراد الإنسان والحيوانات ، والنَّباتات ، والمعادن ، والعناصر ، والجواهر ، والأعراض ، والحركات ، والسكنات .

---

(١) في نسخة : شيئاً .

في بيان أن علم الله محيط بكل شيء إمكانيّ وكونيّ

والحاصل : جميع ما أحاط به علم الله الإمكانيّ والكونيّ ممّا تعلمون وممّا لا تعلمون .

ومنه ما ذكره المعتزلة كلام الله وأفراده كلمات الله ، وهذا معنى غير ما ذكره المعتزلة ، فهو يتكلم عليهم بما لا يريدون ، لأنّهم يريدون به ما خوطبوا به من لغة العرب ومعناه وجه من سبعين وجهاً من اللّغة الحقّة الأصليّة .

والمصنف ردَّ عليهم بمقتضى وجه آخر من السَّبعين غير ما هم بصدده وأين هذا من هذا ؟ .

وإن أراد به ما وضع اللفظ بإزائه في لغة العرب المعروفة فكلام المعتزلة متّجه ، وأمّا كلام الأشاعرة على مقتضى اللّغة الحقّة فلا يسمَّى كلاماً حقًّا وإنَّما يسمَّى كلاماً باطلاً .

ومعنى قولي هذا أنَّهم ذهبوا إلى أنَّ هناك شيئاً في نفس الواجب تعالى مغايراً لذاته وهذا باطل ، فلا يقال له كلام في الحقّ ، وإنَّما يقال له كلام في الباطل ، أي في كتاب الفجَّار ، فإنَّ كلّ ما يرد على الأوهام من الأُمور الباطلة ، فهي ظل من(١) الثَّرى وممَّا تحت الثَّرى كما لو اعتقد أو توهَّم تعدّد الآلهة ، أو

---

(١) في نسخة : ما في .

تركيب الواجب ، أو كونه معلولاً لما قبله ، أو أنَّ له والداً ، أو أنَّ له صاحبة ، وأمثال ذلك من الأُمور الباطلة ، فإنَّها مثبتة في الألواح الباطلة المعبّر عنها بسجِّين ، وكتاب الفجَّار ، وبالثَّرى وما تحت الثَّرى ، وبالجهل الكلّي وأمثال ذلك .

وإذا ذهب وهم شخص إلى شيء منها بنجوى الشَّيطان أنزل الله سبحانه صورة ذلك من ذلك الكتاب إلى وهم ذلك الشَّخص بمقتضى علمه واستعداده وطلبه لذلك من الوهَّاب بقابليَّة السوأى وهو ظلّ ما في كتاب الفجَّار سجِّين وما أشبهه من الألواح الباطلة ، فهو في اللّغة الحقّة كلام في اللَّوح الباطل ، فلا يسمَّى كلاماً في الحقّ وإنَّما يسمَّى كلاماً مع أنَّه باطل ، لأنَّه أنزله الله بمقتضى قابليّته السوأى ، وإنَّما خلق تلك الألواح التي ليس فيها إلّا الباطل للَّذي أراد من الدَّلالة عليه أنَّ كلّ ما سواه فله ضدّ ، وجميع ما في الحقّ فله ضدّ في الباطل ، لأنَّ المخلوق لا يقدر على أن يتقوَّم بسيطاً محضاً لما قلنا من أنَّه لا بدَّ له من اعتبار من ربّه واعتبار من نفسه ولتعلم بذلك أنَّه تعالى إنَّما ضاد بين الأشياء ليعلم ألّا ضدّ له .

فقول الأشاعرة على مراد المصنف وعلى ما أشرنا إليه من اللّغة الحقّة التي هي كلام الله وكلام أوليائه ليس كلاماً إلّا إذا أُريد به ما في كتاب الفجَّار سجِّين بخلاف كلام المعتزلة ، فإنَّه

كلام على اللّغة الحقّة وعلى لغة العرب التي هي وجه واحد من سبعين وجهاً هي اللّغة الحقّة ، فردُّه مردود وإن كان ما أراد من معنى الكلام صحيحاً ، ولكنّه نوع من أنواع الكلام لا ينحصر فيه .

قال : بل هو عبارة عن إنشاء كلمات تامّات وإنزال آيات محكمات وأُخر متشابهات في كسوة ألفاظ وعبارات قال : ﴿ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾[1] وفي الحديث : (أعوذ بكلمات الله التّامّات كلّها من شرِّ ما خلق)[2] والكلام النّازل من عند الله هو كلام وكتاب من وجهين ، والكلام لكونه من عالم الأمر غير الكتاب لكونه من عالم الخلق ، والمتكلّم من قام به الكلام قيام الموجود بالموجِد ، والكاتب مَن أوجد الكلام يعني الكتاب ، ولكلّ منها منازل ومراتب ، وكلّ متكلّم كاتب بوجه ، وكل كاتب متكلّم بوجه .

(١) سورة النساء ، الآية : ١٧١ .
(٢) مكارم الأخلاق : ٢٦٠ الفصل السادس .

أقول : قوله : (بل هو ـ أي الكلام ـ عبارة عن إنشاء كلمات تامّات) فيه إشعار بانحصار الكلام في هذه المعاني ، وقد بيّنّا لك أنّ الحصر فيها ليس بصحيح ، وقول الله سبحانه : ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ ـ أي المسمّيات ـ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾[1] صريح بأنّ الله هو خالق الأسماء وواضعها على مسمّياتها فأخبرني أيّ الكلمات ، المسمّيات ؟ أم الأسماء ؟ أم هما معاً ؟ وهل الأسماء صفات المسمّيات المعنويّة أم اللّفظيّة ، فإن كنت ممّن يفهم اللّحن كما في قول الصّادق عليه السلام على ما رواه الكشي : (**إنّا لا نعدّ الرّجل من شيعتنا فقيهاً حتّى يلحن له ويعرف اللّحن**)[2] انتهى ، وممّن يؤمن بالله وكلماته كما في قوله : ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾[3] وهو الواحد القهّار ، وتعرف أنّ الكلمات في أصل اللّغة ـ أعني اللّغة الحقّة ـ هي المسمّيات .

مثلاً كجُرم الشّمس ، أعني الكوكب النّهاري الذي ينسخ وجوده وجود اللّيل ، فإنّها من المسمّيات وهي[4] الأسماء المعنويّة كنور الشّمس ، فإنّه اسم معنوي ، وهي أيضاً اللّفظيّة

(١) سورة البقرة ، الآية : ٣١ .
(٢) مستدرك الوسائل : ١٧ / ٣٤٥ ح ٢١٥٣٤، وجواهر الكلام : ١٠ / ٢٥٩ .
(٣) سورة الرعد ، الآية : ١٦ .
(٤) في نسخة : فهي .

كلفظ الشَّمس ، فإنَّه اسم لفظّي والثلاثة ممَّا أتى إن شاء الله تعالى ، وكلّ منها كلمة تامَّة في مقامها بنسبة رتبتها من الوجود ، فيدخل في المسمّيات جرم الشَّمس بالأصالة ، ونور الشَّمس بالعرض ، ويدخل في الأسماء نور الشَّمس في المعنى ، ولفظ الشَّمس في اللفظ .

وكما يصدق الاسم على ما يدّعي حصر الكلام فيه من الذَّوات والمعاني يصدق أيضاً على الألفاظ ، فيكون ردَّه على المعتزلة على غير ما ينبغي .

ولو ردَّ عليهم بنقض حصرهم الكلام في الألفاظ لاتّجه كلامه .

وقوله : (وإنزال آيات محكمات) إلخ عطف على قوله : (إنشاء كلمات تامَّات) ، والعطف يقتضي المغايرة ، فلا يكون تفسيراً للمعطوف عليه ، بل المراد أنَّه تعالى أنشأ كلمات تامَّات هي الذَّوات والموصوفات ، وأنزل منها صفاتها وأسماءها ، لأنَّ الأسماء معنويَّة كانت أم لفظيَّة صفات لتلك الموصوفات وأعراض لتلك الذَّوات ، وكانت الأسماء قبل إنزالها لازمة لمبادئها من المسمّيات ، حتَّى عرض لها القوابل ، ففصَّلها من مبادئها وأقامها بها قيام صدور مثل الصّورة التي في المرآة ، فإنَّها قبل إنزالها في المرآة لازمة لصورة الشَّخص[1] المقابل ، فلمَّا عرضت القابلة لها

---

(١) في نسخة : الشمس .

ـ أعني المرآة ـ فصَّلها منها وأقامها بذلك المبدأ ، أعني به صورة الشَّاخص اللَّازمة قيام صدور ، وأراد بإنشاء كلمات التكلّم بها ، والكلمات التَّامَّات العُقول فإنَّها كلمات منشآت كما ذكر في كتاب أسرار الآيات(١) .

قال : (وأمَّا الكلمات التَّامَّات فهي الهويَّات الفعليَّة النُّوريَّة التي وجودها عين الشعور والإشعار والعلم والإعلام) انتهى .

وكلامه له وجه إن لم يرد حصر الكلمات التَّامَّات في الذَّوات العقلية وإلَّا فلا ، لأنَّ من الكلمات التَّامَّات : العاقلون ، بل هم الكلمات الكاملات ، إذ العاقل أتمّ من العقل .

وأيضاً في قوله : (الهويَّات الفعليَّة) ما ينافي المذهب وما قام عليه الدَّليل ، من أنَّ كلّ ممكن محتاج في بقائه وتحقّقه إلى المدد ، وأنَّه لا يستغني عن المدد طرفة عين وإلَّا لاستغنى أبداً ، ولا يمدّ لِبَقَائِهِ وتحقّقه إلّا بما لم يأته ولم يصل إليه أو وصل إليه

---

(١) هو لمحمد بن إبراهيم الشيرازي (صدر الدين) حكيم ، من أهل شيراز .
توفي سنة ١٠٥٠ هـ ١٦٤٠ م .
رحل إلى أصبهان وتعلم فيها ، وتوفي بالبصرة ، وهو متوجه إلى مكة حاجاً .
له تصانيف كثيرة منها : تفسير بعض سور من القرآن ، شرح هداية الحكمة للأبهري ، مفاتيح الغيب ، شرح الكافي للكليني ، والشواهد الربوبية في المناهج السلوكية .
انظر الفوائد الرضوية للشيخ عباس القمي : ٣٧٨ ـ ٣٨١، وهدية العارفين للبغدادي : ٢ / ٢٧٩ .

ثمَّ خرج عنه وأُعيد إليه نازلاً بعد أن صعد عنه ، وهو يريد بالفعليَّة الغير[١] المنتظرة لشيء ، بل جفَّ في حقّها القلم ، فكان كلّ ما لها وإليها بالفعل ، فهي كاملة لذاتها أو مستكملة غير منتظرة لمدد .

ولقد لوَّح إلى ما يفيد هذا المعنى فيما ذكره أوَّل الكتاب في قوله : (إنَّ العقل وما فوقه كلّ الأشياء) فقد جعل العقل والَّذي فوقه هو الباري تعالى كلّ الأشياء ، لكونهما بسيطي الحقيقة ، وأنت خبيرٌ بأنَّ كلّ ما سوى الله تعالى فهو محتاج إلى مدده ، وكلّ ممكن فهو زوج تركيبي ، فليست العقول بسيطة ولا مستغنية .

وقوله : (فوجودها عين الشُّعور والإشعار) إلخ ، إذا أُريد بوجودها نور الله أي كونه غير ناظر إلى ما سوى الله ، فإنَّه حينئذ يقظة ، وأمَّا إذا اعتبر كونه ناظراً إلى نفسه و(أو) إلى غير الله ، فإنَّه حينئذ لا شعور فيه ، وإلى ذلك الإشارة بتأويل قوله : ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴾[٢] .

نعم العقل تنام عينه ولا ينام قلبه وشعوره بنفسه بالله سبحانه بأمره المفعولي ، أعني الحقيقة المحمَّديَّة ، وإشعاره لما دونه بالله بواسطة آمره ، وكذلك علمه وإعلامه .

(١) في نسخة : غير .
(٢) سورة الكهف ، الآية : ١٨ .

ومراده هنا ممَّا ذكر أو المراد لنا ممَّا ذكر أنَّ إنشاءه تعالى تكلّمه ، وكلامه مفعولاته في كلّ رتبة من مراتب الأكوان ، ومجعولاته كتابه ، بمعنى أنَّ كلامه مفعولاته العقليَّة والنَّفسيَّة باعتبار كونها منشأة وباعتبار تمايز أفرادها بمشخّصات هندسيَّة هي كتابه ، لأنَّ[(١)] الألف المبسُوطة[(٢)] كما قال عزَّ وجلَّ : ﴿ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ۝٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ۝٣ ﴾[(٣)] ومفعولاته اللَّفظيَّة التي يعبّر عنها ترجمانه أي يعبّر عن صورها النَّفسانيَّة حاكياً لترتيبها مع مدلولاتها بلسانه من غير تغيير ولا تبديل ولا تقديم ولا تأخير ، ومفعُولاته الرَّقميَّة التي تنقش في الأوراق بصور ما نقشت في الألواح .

فكلامه تعالى صادق على المراتب الأربع باعتبار كونها منشأة ، وبمعنى أنَّ ما أنشأه منها إذا وصفه[(٤)] فيما يتقوَّم فيه من مكان ، ووقت ، وجهة ، ورتبة اقتضى تفاوتها بسط تلك المنشآت كلّ في وقته ، ومكانه ، وجهته ، ورتبته ، بمعونة كمّه وكيفه ، فكان الجامع لما انتشر منها وانبثَّ كلامه[(٥)] تعالى وهو في الصور

(١) في نسخة : لأنَّه .
(٢) في نسخة : المبسوط .
(٣) سورة الطور ، الآيتان : ٢ ، ٣ .
(٤) في نسخة : وضعه .
(٥) في نسخة : كتابه .

الجوهرية ، وهي النُّفوس ، وفي جوهر الهباء ، وفي المثال ، وفي الأجسام بجميع مراتبها .

وأمَّا في العقول ، فهي وإن كانت متمايزة تمايزاً معنوياً بحيث يتميَّز في العقل معنى الخاتم عن معنى البيت في التَّعقُّل بمميّزات معنويَّة ، بحيث لا يشتبه أحدهما بالآخر إلّا أنَّها في الظاهر لم يكن تمايزها بالصّورة ، فأطلق عليها البساطة ، فلا يقال لها : كتاب لعدم الانتشار فيها والانبساط ، فهي كلامه بخلاف ما دونها من النُّفوس وما تحتها .

وأمَّا الأرواح فلها اعتباران ، فلذا يطلق عليها النُّفوس تارة وتارة العقول ، وحيث أثبتنا لها صوراً كهيئة ورق الآس ، فإنَّها بمنزلة المضغ في تخلق الإنسان ، وقد قال تعالى : ﴿ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾(١) دلَّ على رجحان إلحاقها بالنُّفوس ، فتكون كتاباً ، ولمّا كان أكثر استعمال الجعل في اللوازم والتوابع حسن أن نقول : كلامه مفعولاته ، وكتابه مجعولاته ، والمصنف عبَّر عن الجعل بالإنزال لمناسبة الآيات ولا بأس به ، وهذا وإن كان أظهر من تعبيرنا في الظاهر لكن تعبيرنا أقرب للتَّعبير عن حقيقة الأمر ، لأنَّ الإنزال جعل في الحقيقة ، وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا

---

(١) سورة الحج ، الآية : ٥ .

كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ ﴾[١] الآية ، وذلك لأنَّ النُّور الذي أوحى الله سبحانه إلى نبيّه صلى الله عليه وآله كان روحاً وهو ملك ، وهو خلق أعظم من الملائكة أعني روح القدس المسمَّى بعقل الكلّ[٢] ، وجعله تعالى نوراً ، أي قرآناً ، وإن شئتَ قلتَ أنزله قرآناً والمعنى واحد إذا أردتَ بالإنزال الجعل ، وإلّا لم يصحّ على ظاهر الإنزال ، بمعنى أنَّه حَطَّهُ من عال إلى سافل ، بل كإنزال الملك الأمين على إقرارات المؤمنين بالولاية إلى الأرض حجراً ، أعني الحجر الأسود فافهم الإشارة .

وقوله : (وإنزال آيات) يُشيرُ به إلى أنَّ أفراد ذلك المجموع المبسوط المنتشر المسمَّى بالكتاب هي آياته ، ولعلَّ المناسب أن يقال : المجموع كلّه كتاب ، وأنواعه سُوَرُهُ ، وأصنافه آياته ، وأشخاصه كلماته ، ولا مزيّة في الإطناب في هذه المعاني ، لأنّي لستُ بصدد شيء غير تصحيح الاعتقاد ، وإذا ذكرت غير ما يتعلّق بذلك ، فإنّما هو استطرادٌ أو تنبيه على مزيّة يتوقّف عليها بعض تصحيح الاعتقاد ، وكثرة ردّي على المصنف ليس لأنَّ بيني وبينه نَبْوَةٌ أَوْ حَسَدٌ أَوْ عَداوَةٌ ، وإنَّما أُريدُ بيانَ الحَقِّ وهدايةَ مَن يطلبَ

---

(١) سورة الشورى ، الآية : ٥٢ .

(٢) انظر الكافي : ١ / ٢٧٣ ح ٤، وبصائر الدرجات : ٤٥١ ـ ٤٤٥، والأنوار النعمانية : ٢ / ١٨ .

الرَّشادَ ، وإنَّ الله سبحانه يعلم ما في ضميري ويطّلع على قصدي وهو سائلي عن ذلك .

وقوله : (محكمات وأُخر متشابهات) فالذَّوات المحكمات ذوات المؤمنين الممتحنين وأتباعهم ، وهو[1] الذَّوات المطهّرات كالمعصومين عليهم السلام وما يلحقُ بهم ممَّا كثر خيره من أتباعهم ، وهذا المحكم في كلٍّ بحسبه من الرُّوح الكلّيَّة والنَّفس الكلّيَّة إلى التُّراب الصَّالح الطَّيِّب والمتشابه من النَّفس الأمَّارة الكلّيَّة إلى التُّراب المالح والأرض السَّبخة .

وقوله : (في كسوة ألفاظ) إلخ قد تقدَّم ما يكفي لبيانه ، فإنَّا قد ذكرنا أنَّ الألفاظ والعبارات من الكلام ومن الكتاب كلّ في رتبته ، فلا ينحصر الكلام والكتاب فيما ذكره واستشهاده بقوله : ﴿ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾[2] على الحصر ينفيه قوله تعالى : ﴿ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ﴾[3] وما في قوله تعالى : ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ ﴾[4] .

وفي الحديث (**أعوذ بكلمات الله التَّامَّات كلّها من شرّ ما**

---

(١) في نسخة : وهي .

(٢) سورة النساء ، الآية : ١٧١ .

(٣) سورة المؤمنون ، الآيتان : ٩٩ ، ١٠٠ .

(٤) سورة البقرة ، الآية : ٣٧ .

خلق)[١] قد ورد فيه بأنَّها رجال وبأنَّها ألفاظ لما قدَّمنا من تساوي الكلّ في كونها صنعه فَما لَمْ يتمايز[٢] بالمشخّصات الشَّخصيَّة سواء في الأنواع أو الأصناف أو الأشخاص ، فهو كلام على اصطلاحه وما كان كذلك فهو كتاب .

وقوله : (والكلام النازل من عند الله هو كلام وكتاب من وجهين) هو ما أشرنا لك إليه ، فإنَّه بلحاظ البساطة و(أو) البساطة كلام وبلحاظ التعدد و(أو)[٣] الانبساط كتاب والكسوة كما قلنا : يجري فيها هذا باعتبارين ، وهذا ظاهر .

الفرق بين الكلام والكتاب

وقوله : (والكلام لكونه من عالم الأمر غير الكتاب لكونه من عالم الخلق) يريد به أنَّ الكلام الذي هو الهويَّات العقليَّة من عالم الأمر أي الفعل والتكوين وهذا كما هو مقرَّر عندهم أنَّ عالم الأمر عالم العقول وعالم الخلق عالم النُّفوس .

وعندنا أنَّ عالم الأمر هو عالم الاختراع والإبداع أعني المشيئة والإرادة .

وأمَّا العقول فهي من عالم الخلق ، نعم عالم الخلق هو

---

(١) مكارم الأخلاق : ٢٦٠ الفصل السادس .
(٢) في نسخة : يَتَمَيَّزْ .
(٣) من نسخة أخرى .

المفعولات ، وهي قد تكون حاملة لأفعاله تعالى ، كحمل الحديدة لحرارة النّار ويكون عزَّ وجلَّ فاعلاً بها وإليه الإشارة بقول عليّ عليه السلام في شأن الجواهر المجرّدة من الملائكة والأرواح والنُّفوس قال عليه السلام : (**وألقى في هويتها مثاله فأظهر عنها أفعاله**)[١] انتهى .

ويمكن بهذا الاعتبار جعلها من عالم الأمر لما يظهر بها أو عنها من التكوينات فعلى هذا يجوز أن يقال عليها عالم الأمر وعالم الخلق باعتبارين .

وعلى كلِّ حال عالم الأمر غير عالم الخلق ، لأنَّ الأوَّل عالم التكوين والثَّاني عالم التَّكوّن .

الفرق بين المتكلم والكاتب

وقوله : (والمتكلم من قام به الكلام قيام الموجود بالموجد) يريد به أنَّ المتكلّم هو منشىء الكلام ، بدليل ما ذكر قبل من قوله : (عبارة عن إنشاء كلمات) إلخ ، وفسَّره هنا بقوله : (من قام به الكلام . .) إلخ ، ومعناه أنَّ الكلام قائم بالمتكلّم قيام صدور لا قيام عروض وحلول ، وهذا صحيح إلّا أنَّه مناف لقوله السَّابق من اتّحاد الموجود بالموجد ، ولكن هذا على مذهبنا

(١) مناقب آل أبي طالب : ١ / ٣٢٧، ومصباح البلاغة : ٢ / ٢٤٤ ح ١٧٧ .

صحيحٌ إلّا أنّا نتفارق معه في المراد من المتكلّم ، فإنّه على مفاد طريقته وعباراته أنّه الذّات البحت .

وعندنا هو مثال الذّات ، أعني فاعل الكلام وصانعه ، ويحتمل أنّه يريد أنَّ الكلام قائم بالمتكلّم ، أي متحقّق به لا أنّه من حيث مصنوعٌ له ، لأنَّ هذا عنده صفة الكتاب لا صفة الكلام .

ويؤيّد هذا الاحتمال قوله : (والكاتب من أوجد الكلام يعني الكتاب) فجعل الفرق بينهما أنَّ المتكلّم من تقوَّم به الكلام[١] والكاتب من أوجده ، ويفهم من هذا أنّه لا يريد أنَّ المتكلّم من أوجد الكلام ويؤيّد هذا ردّه لكلام المعتزلة كما تقدَّم ، فيكون عنده من أوجد الكلام ليس بمتكلّم بل هو كاتب وإذا قلنا أراد بقيام الموجود بالموجدَ استناده إليه لأنّه من عالم الأمر إذ هو فرق التَّجدّد والحدوث ، انطبق مراده على اعتقاده ، ولكنَّ الكفر ملّة واحدة .

والحقّ أنَّ المتكلّم من أوجد الكلام وهو قائم بفعله قيام صدور ، والمتكلّم اسم فاعل الكلام ، فهو صفة مركَّبة من الإيجاد والموجود به أعني الكلام ، يعني مركَّبة من الفعل والحدث ومسمّاه مثال الذّات البحت أعني فاعل الكلام وموجده ، وهو الظّاهر بالكلام .

---

(١) في نسخة : بالكلام .

وأمَّا الكاتب فهو اسم لموجد الكتابة ، لكن لمَّا كان الكلام أثر الحركة الموجدة له المتقضّي بانقضائها لأنَّه وإن كانت هيولاه من الهواء في الأصل ، فإنَّ مادته من حركة موجده ، لأنَّها أصوات صاغها من حركته وآلاتها الحاملة لها ومن الهواء ، بل في الحقيقة إنَّما صاغها من حركته في الهواء ، فالهواء من مقوّمات مادّته ، فلمَّا كان كذلك كان قائماً بمصدره أي بفعل موجده قيام صدور ومحلّ ظهور الهواء ، والكتابة ليست مادّتها من فعل الكاتب ، بل هي من المداد ، فكانت هيئاتها المشخّصة لها وإن كانت من هيئات حركة مؤثّرها متقوّمة بمادّتها الأجنبيَّة ، فكانت الكتابة قائمة في القرطاس .

وهذا ما أشرنا إليه قبل هذا من كون المجعولات كتابه تعالى لأنَّه عزَّ وجلَّ أقامَها بموادّها في أوقاتها وأماكنها ، إذ هي من حدود قابليَّاتها .

بيان منازل ومراتب المتكلم والكاتب

وقوله : (ولكلّ منها[1] منازل ومراتب) يريد أنَّ لكلٍّ من الكلام والكتاب منازل إذا تنزل من مصدره إليها ظهر فيها لمن يخاطب به ولمن يرسل إليه ، فمنازلهما في عالم الأسرار غير

---

(١) في نسخة : منهما .

منازلهما في عالم الأنوار ، وهي غيرها في عالم الأشباح ، وهي غيرها في عالم الأجسام ، إذ هما في عالم الأسرار حياة ، وفي عالم الأنوار إشراق ، وفي عالم الأشباح تصور وخطاب ، وفي عالم الأجسام كلام وكتاب .

وهذا تمثيل لما يظهر ، وإلّا ففي الحقيقة كلها حياة وإشراق ، وتصوّر وخطاب ، وكلام وكتاب ، وكذا في المراتب ، والفرق بين المنازل والمراتب أنَّ المنازل ظهورهما في كلّ رتبة والمراتب نسب المنازل إلى المبدأ في القرب والبعد ، وإنما جمع بينهما في مطلق المنازل والمراتب لصدق كلّ واحد منهما على ما يراد من الآخر باعتبار ، وقد أشار إلى هذا بقوله : (وكلّ متكلم كاتب بوجه وكلّ كاتب متكلم بوجه) يعني أنَّ المتكلّم هو الموجد للكلام ، والكاتب هو الموجد للكتابة .

وإنَّما يقال لهذا الموجد : متكلّم بلحاظ أنَّ ما أوجده قائم بفعله قيام صدور ، باعتبار أنَّ مادّته المتقوّم بها من حركته الإيجاديَّة على نحو ما مرّ .

ويقال له : كاتب بلحاظ أنَّ ما أوجده قائم بمحلّه المتشخّص فيه به ، أي بذلك المحلّ .

وأمَّا الفرق بالتَّقضّي والبقاء فإنَّما هو بالنّسبة إلينا ، وأمَّا في الحقيقة فكلّ مخلوق مضبوط أجَلُ خُروجه إلى الكون وتقضيه وبقائه وهي مختلفة على حسب قوابلها .

وفي حقيقة هذه الحقيقة أنَّ كلّ شيء لا يخرج عمَّا أُقيم فيه من مراتب ملكه تعالى ، سواء الكلام وغيره ، وكيف يدخل شيء في ملكه وعلمه الإمكاني والكوني ويخرج عنه وقد أشار إلى هذا المعنى بقوله : ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ ﴾(١) وهو كتاب ملكه وسلطانه عزَّ وجلَّ .

قال : ومثاله في الشَّاهد أنَّ الإنسان إذا تكلَّم بكلام فقد صدر عن نفسه في لوح صدره ومخارج حروفه صور وأشكال حرفية ، فنفسه ممَّن أوجد الكلام فيكون كاتباً بقلم قدرته في ألواح صدره ومنازل صوته ومجاري نَفَسِه ـ بفتح الفاء ـ وشخصه الجسماني ممَّن قام به الكلام ، فيكون متكلّماً ، فاجعل نفسك مقياساً لما فوقه .

أقول : قوله : (ومثاله) جار على متعارفهم في التَّعبير لا على طريقة أهل الحقّ عليهم السلام ، لأنَّهم إذا أرادوا بيان ذلك بهذا قالوا : وآيته ودليله ، وإن قالوا : ومثاله لأجل تفهيم السَّائل ، فإنَّهم عليهم السلام ما يريدون محض التَّمثيل ، وإنَّما يريدون الآية والدَّليل ، ومعنى كلامي أنَّ مجرَّد التَّمثيل لا يكون دليلاً بخلاف ما لو قيل : آية أو دليل ، وقد ثبت بالنَّقل الصحيح والعقل الصَّريح أنَّ ذلك وأمثاله قد جعله دليلاً ، بل على نحو المعاتبة كما أشار إليه

---

(١) سورة ق ، الآية : ٤ .

تعالى بقوله : ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾[1] وقال : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾[2] .

ولا شكَّ أنَّ الكلام منّا آية لأُولي الألباب قال تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْءَافَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾[3] .

وقوله : (إنَّ الإنسان إذا تكلَّم بكلام فقد صدر عن نَفْسه) يعني بسكون الفاء في (لوح صدره) ، يعني خياله وتصوّره ، لأنَّ لوح النَّفس ، (ومخارج حروفه) التي هي محالُّ وجودات الحروف الثَّابتة (صور وأشكال حرفيَّة) ، يعني أنَّ تلك الأصوات إنَّما تمايز بعضها عن بعض بتلك الصور والأشكال ، والمراد بها الصّور والأشكال الجوهريَّة لها إذ لا تتقوَّم بدونها وهي مثل الجهر والهمس والقلقلة والشّدَّة والرَّخاوة والتَّفشّي وأمثال ذلك ، (فنفسه) بسكون الفاء (ممَّن أوجد الكلام ، فيكون كاتباً) باعتبار نقش[4] صورها في خياله وهيئاتها وصفاتها في سمعه وذواتها في الهواء .

فهو كاتب (بقلم قدرته) ، أعني إحداثه للحروف (في ألواح

---

(١) سورة يوسف ، الآية : ١٠٥ .
(٢) سورة العنكبوت ، الآية : ٤٣ .
(٣) سورة فصلت ، الآية : ٥٣ .
(٤) في نسخة : نفس .

صدره) أي خياله ومنازل صوته التي أوّلها النّقطة الممتدّة من جوفه إلى الهواء الخارج عن فمه ، وهذا هو الألف اللينة وهي عند المحقّقين ليست من الحروف ، وإنّما هي الهيولى التي تقطع منها الحروف التي أوّلها الألف المتحرّكة ثمّ الهاء إلى آخر الحروف بالنسبة إلى مخارجها ، وهو الباء الموحّدة ، فنفس المتكلّم ممّن أوجد الكلام بفعلها في منازل ظهوراته وتنزّلاته ، فيكون كتاباً وهو الذي قام به الكلام قيام صدور فيكون متكلّماً .

وقوله : (فشخصه الجسمانيّ) إلخ يوهم أنّه قام به قيام عروض ، لكن إذا لاحظنا ما تقدّم من كلامه في قوله : (كقيام الموجود بالموجد) وجّهنا هذه العبارة لكلّ أحد بنسبة اعتقاده في معنى قيام الموجود بالموجد ، فأمّا المصنف فهو قائل بوحدة الوجود وأنّ الأشياء من سنخ صانعها ، بل وجودها وجوده تعالى ، وحيث شبّه الكلام بالموجود وقيامه بالمتكلّم كقيام الموجود بالموجد ظهر مراده هنا أنّ الكلام هو المتكلّم وصادق عليه ، فحيثما قال خطأ فذاته خطأ وهكذا .

وأمّا نحن فنقول : الموجود قائم بأمر الله الفعليّ أي المشيئة والإرادة والإبداع قيام صدور وبالأمر المفعوليّ الذي هو نور الأنوار ، أعني أوّل صادر عن فعل الله وهو الحقيقة المحمّديّة قياماً ركنيّاً ، وهو قيام التّحقّق ، والكلام قائم بحركة المتكلم قيام صدور ، والكتابة قائمة بالمداد قيام تحقّق .

وعلى النَّظر الحقّ أنَّ الإنسان المتكلّم هو مَنْ أوجد الأصوات ، فباعتبار أنَّها قائمة به قيام صدور ، هي كلام وهو متكلّم ، وباعتبار قيامها بالهواء وبمتعلّقاتها من الأسماع والنُّفوس المؤثّرة فيها حين توجُّه إليها قيام عروض ، هي كتاب ، وهذا هو المقياس الحقّ ، لأنَّه هو آية الله تعالى لهذا المذكور في الآفاق وفي الأنفس .

معنى الكلام والقرآن والفرقان

قال : والكلام قرآن وفرقان باعتبارين ، والكلام لكونه من عالم الأمر منزلة الصّدور ، ولا يدركه إلّا أُولو الألباب ، بل هو آيات بيِّنات في صدور الَّذين أُوتوا العلم وما يعقلها إلّا العالمون ، والكتاب لكونه من عالم الخلق منزلة الألواح القدريَّة يدركه كلّ أحد بقوله تعالى : ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً ﴾[1] والكلام ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾ ﴾[2] ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾[3] فتنزيله هو الكتاب .

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٤٥ .

(٢) سورة البروج ، الآيتان : ٢١ ، ٢٢ .

(٣) سورة الواقعة ، الآيتان : ٧٩ ، ٨٠ .

أقول : قوله : (والكلام قرآن وفرقان باعتبارين) قد يُراد منه مطلق الكلام وقد يُراد به أكمله ، فإن أُريد الأوّل كان المراد من قوله قرآن ما يقرأ أي يتلفَّظ به أو ما يعلم ، فإنَّ ذلك قراءة معنويَّة والقرآن مصدر بمعنى القراءة كالغفران والفرقان ما يرتفع به الالتباس منه فيصدقان على الكلام باعتبارين وإن أُريد الثاني كان المراد الكلام المعجز المنزل على محمَّد صلى الله عليه وآله بخصوص لفظه ومعناه ونظمه ، وهو مجموع ما بين الدَّفَّتين ، والفرقان هو الفارق منه بين الحقّ والباطل أو كلّه بهذا الاعتبار ، فإنَّه فارق بين الحقّ والباطل ، إذ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

وفي الحديث : (**الفرقان المحكم الواجب العمل به ، والقرآن جملة الكتاب**)[1] انتهى .

وعلى ظاهر الحديث المتشابه ليس من الفرقان ما دام مُتشابهاً ، فإذا رُدَّ إلى المحكم لحق به وهو من القرآن قبل الردّ وبعده .

وأمَّا في الحقيقة فالمتشابه من الفرقان قبل الرَّد أيضاً لأنَّه حينئذ يميّز المؤمن من غيره ، فإنَّ المؤمن يؤمن به كما أخبر تعالى عنه فقال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ

---

(١) مجمع البحرين : ٣ / ٣٩٣، وشرح أصول الكافي للمازندراني : ١١ / ٧٥ ح ١١ .

﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾ أي الفرقان الواجب العمل به ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ﴾ وهم غير المؤمنين ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ﴾ فكان المتشابه من الفرقان لتمييزه لغير المؤمنين واستنطاقه لما في ضمائرهم، إلى أن قال تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾[1] وكان من الفرقان لتمييزه لأهل الإيمان به والمنزل على نبيّنا صلى الله عليه وآله كما في الحديث: (**نزل القرآن على أربعة أرباع: ربع فينا، وربع في عدوّنا، وربع سنن وأمثال، وربع فرائض وأحكام**)[2] انتهى.

فهو قرآن باعتبار أنّه يقرأ، وهو فرقان باعتبار أنّه يفرق بين الحقّ والباطل.

فالرُّبْعُ الأوّل مميّز للحقّ بالثناء عليهم والدُّعاء إليهم.

والرُّبع الثّاني مميّز للباطل بذمِّ أهله والنّهي عنهم.

والرُّبع الثّالث مميّز للمتمِّمات من الأعمال والمكملات[3] لها، ودالّ على طريق النجاة، وواعظ للعُصاة، فهو فارق بين طريق الحياة والنّجاة والهلاك.

والرُّبع الرابع ظاهر فكان الكلام قرآناً وفرقاناً باعتبارين.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧.

(٢) بحار الأنوار: ٨٩/ ١١٤ ح ١، وتفسير العياشي: ١/ ٩ ح ١.

(٣) في نسخة: الكمالات.

إطلاق عالم الأمر على الكلام

وقوله : (**والكلام لكونه من عالم الأمر منزلة الصدور**) يُريد به أنَّ الكلام هو الفعل أو مظهر الفعل لأنَّ عالم الأمر هو عالم الفعل ، هو كذلك لأنَّ الكلام إن أُريد به المعنوي فهو ظاهر في كونه من عالم الأمر ، مثل فعل الله الذي هو مشيئته وإرادته وإبداعه واختراعه ، لأنَّه إذا أراد شيئاً كان ما أراد أن يكون ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾(١) يراد من الأمر نفس الإرادة كما قال الصَّادق عليه السلام : (**لا (كاف) ولا (نون) وإنَّما أراد فكان ما أراد أن يكون**) انتهى . أو كما قال عليه السلام ، فالأمر هنا هو الإرادة وهو كلام معنويّ لأنَّه عبارة عن محض الإيجاد .

وإن أُريد به الكلام اللفظي فهو آلة التأدية والتَّبليغ إلى المكلّفين ، وهو من عالم الأمر الثَّاني الجعليّ كما قال الرِّضا عليه السلام في كلامه لعمران الصَّابي : (**وكان أوَّل إبداعه وإرادته ومشيئته الحروف التي جعلها أصلاً لكلّ شيء ، ودليلاً على كلِّ مدرك ، وفاصلاً لكلّ مشكل - إلى أن قال - ثمَّ جعل الحروف بعدَ إحصائها وإحكام عدَّتها فعلاً منه كقوله عزَّ وجلَّ :**

---

(١) سورة يس ، الآية : ٨٢ .

﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ و(كن) **منه صنع وما يكون به المصنوع ، فالخلق الأول من الله الإبداع لا وزن له ، ولا حركة ، ولا سمع ، ولا لون ، ولا حسّ ، والخلق الثّاني الحروف ، لا وزن لها ولا لون ، وهي مسموعة موصوفة غير منظور إليها**)[1] الحديث .

فالفعل الأوّل الإبداع والإرادة والمشيئة ، وهو خلق ساكن لا يدرك بالسّكون ، وبه أحدث سبحانه الحروف وجعلها فعلاً منه كما مرّ في الحديث .

والحاصل : إنَّ إطلاق عالم الأمر على الكلام بهذا المعنى لا بأس به لكنَّه لا دائماً ، بل بهذا الاعتبار ، لأنَّه أيضاً من عالم الخلق ، وكونه يستعمل فعلاً وحاملاً للفعل لا يختص به ، بل كلّ ما في عالم الخلق يستعمل فعلاً إذا خلق الله به شيئاً ، لأنَّه حامل للفعل كما قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصف نفوس الملأ الأعلى قال : (**وألقى في هويتها مثاله فأظهر عنها أفعاله**)[2] الحديث .

وعلى كلِّ تقدير فمنزل المعنويّ الصّدور ، وهذا أيضاً كلام باعتبار وكتاب باعتبار ، فإنَّه في الصدر وما في الصدور مكتوب

---

(١) توحيد الصدوق : ٤٣٦، وعيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ / ١٥٤ .

(٢) مناقب آل أبي طالب : ١ / ٣٢٧، ومصباح البلاغة : ٢ / ٢٤٤ ح ١٧٧ .

فيها كما قال تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ ﴾(١) وممّا كتب الشّهادتين والمعاد والولاية .

نعم إذا لوحظ انبعاثه وتقوّمه بمصدره تقوّم صدور لا حلول اختص ظاهراً بكونه كلاماً ، وفي نفس الأمر هو كتاب مكتوب في لوح ملكه تعالى ، فكما يكون الكلام من عالم الأمر يكون من عالم الخلق وكما يكون في الصّدور يكون في الأسماع ، وليس كلّ ما لا يدركه إلّا أُولو الألباب من عالم الأمر ، بل قال تعالى : ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(٢) فإنَّ ما لا يدركه أُولو الألباب الّذين عناهم من عالم الخلق أكثر ممّا يدركونه بما لا يكاد يُحصى .

واستشهاده بقوله تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ﴾(٣) لا يخصّ ، بل كما كان في صدورهم من عالم الأمر كذلك يكون كتاباً فإنَّ إطلاق الكتاب في القرآن على الإمام عليه السلام ثابت في كلّ موضع من القرآن ﴿ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾(٤) ﴿ حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ ﴾(٥) ﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ﴾(٦) وهو الذي

---

(١) سورة المجادلة ، الآية : ٢٢ .
(٢) سورة النحل ، الآية : ٨ .
(٣) سورة العنكبوت ، الآية : ٤٩ .
(٤) سورة الأنعام ، الآية : ٥٩ .
(٥) سورة الزخرف ، الآيتان : ١ ، ٢ .
(٦) سورة الجاثية : ٢٩ .

قال : (**أنا كتاب الله النّاطق**)[١] واستشهاده بقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾[٢] عليه لا له ، فإنَّ المراد بها[٣] الأمثال المكتوبة في لوح الآفاق كما قال تعالى : ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾[٤] وهذه التي يمرّ عليها الجاهلون ولا يعقلونها هي التي يعقلها العالمون مع أنَّ الجهَّال يدركونها .

فإن قلتَ : إنَّما أراد أنَّ الجاهلين لا يعقلونها .

قلت : إنَّما أراد أنَّ الجاهلين لا يدركونها بحواسّهم ، ولو أراد أنَّهم لا يدركونها بعقولهم لم يكن بين ما هو من عالم الأمر وبين ما هو من عالم الخلق فرق ، بل ربَّما تكون أسرار المحسوسات أخفى من أسرار المخلوقات[٥] كما هو مشاهد .

كون الكتاب منزلة الألواح القدريَّة

وقوله : (والكتاب لكونه من عالم الخلق منزلة الألواح القدريَّة) ربَّما يفهم منه وممَّا قبله اختصاص ما هو من عالم الخلق

---

(١) وسائل الشيعة : ٢٧ / ٣٥ ح ٣٣١٤٧ .
(٢) سورة العنكبوت ، الآية : ٤٣ .
(٣) في نسخة : به .
(٤) سورة يوسف ، الآية : ١٠٥ .
(٥) في نسخة : المعقولات .

بنزوله في الألواح القدريَّة وما هو في[١] عالم الأمر بألواح الصّدور وقد أشرنا إلى عدم الاختصاص ، بل يكون كلّ منهما في المنزلتين باعتبار .

وأيضاً قوله : (الألواح القدريَّة) مبنيّ على ما اصطلحوا عليه من أنَّ القضاء سابق على القدر لأنَّه من صقع الألوهيَّة والقدر من لوازم المادّيات[٢] ، وهذا بخلاف ما عليه أهل العصمة عليهم السلام ، فإنَّ القدر عندهم سابق على القضاء وأنَّ كليهما متعلّقة الحوادث إلّا أنَّ القدر فعل الله المتعلّق بتقدير[٣] الحوادث من الغيب والشَّهادة في أجل بدئها وفنائها ، وبقائها وأرزاقها ، وسعادتها وشقاوتها ، وغير ذلك والقضاء بعد القدر يتعلَّق بتتميم المقدرات .

وحيثُ كان يجري مجرى القوم لا على طريقة أئمَّتنا عليهم السلام قال : (**إنَّ ما في الألواح القدريَّة يدركه كلّ أحد**) وقد بيّنّا ما فيه .

واستشهاده بقوله تعالى : ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً ﴾[٤] فيه ما تقدَّم ، فإنَّ ممَّا هو عنده من عالم

---

(١) في نسخة : من .
(٢) في نسخة : الماهيَّات .
(٣) في نسخة : به تقدير .
(٤) سورة الأعراف ، الآية : ١٤٥ .

الأمر اللَّوح المحفوظ ، وقد كَتَبَ فيه القلم ما كان وما يكون وقال تعالى : ﴿ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ ﴾[١] وقال : ﴿ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴾[٢] .

وكذا قوله : (والكلام لا يمسّه إلّا المطهَّرون) إلخ ، فإنَّ فيه قوله تعالى : ﴿ فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩ ﴾[٣] فإنَّه تعالى أخبر أنَّ القرآن في كتاب مكنون ذلك الكتاب لا يمسّه إلّا المطهَّرون وإن جعل الضَّمير في (يَمَسُّهُ) للقرآن لا للكتاب صحَّ ، ولكنَّه هو المنزل من ربّ العالمين وعنده أنَّ المنزل هو الكتاب لقوله : (فتنزيله هو الكتاب) ، فكلامه لا يستقيم منه شيء إلّا على معناه الأوَّل في قوله باعتبارين .

في الكلام على صنع الله وإبداعه

قال : الموقف الثَّاني في الإشارة إلى الصّنع والإبداع وفيه مشاعر : المشعر الأوَّل فاعليَّة كلّ فاعل إمَّا بالطَّبع ، أو بالقسر ، أو بالتَّسخير ، أو بالقصد ، أو بالرِّضا ، أو بالعناية ، أو

---

(١) سورة طه ، الآية : ٥٢ .

(٢) سورة ق ، الآية : ٤ .

(٣) سورة الواقعة ، الآيتان : ٧٨ ، ٧٩ .

بالتجلّي ، وما سوى الثلاثة الأول إراديّ البتّة ، والثّالث يحتمل الوجهين ، وصانعُ العالَمِ فاعِلٌ بالطبع عند الدّهريَّة والطّباعيَّة ، وبالقسر مع الدّاعي عند المعتزلة وبغير الدّاعي عند أكثر المتكلّمين ، وبالرِّضا عند الإشراقيين ، وبالعناية عند جمهور الحكماء ، وبالتَّجلّي عند الصّوفية ، ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾[١] .

أقول : اعلم أنَّ هذا التَّقسيم جار على طريقة الظَّاهر التي يستعملها الحكماء الأوَّلون والأنبياء عليهم السلام لتعريف العوام وجرى عليها المتأخّرون والمتكلّمون ، وهي مبلغهم من العلم .

وأمَّا في الحقيقة التي خلق سبحانه عليها الخلق وعرَّفها أنبياءه ورسله وأولياءه عليهم السلام ، ففاعليَّة كلّ فاعل بالاختيار ، وأنَّ الجبر غير متحقق في العالم أصلاً إلّا على نحو التَّتميم والإعانة ، وقد بيَّنَّا وجه ذلك في رسالتنا المسمَّاة بالفوائد وفي شرحنا عليها ، من أراد الاطلاع على ذلك طلبه هنالك .

وقول المصنف هنا بل في سائر كتبه من هذا النَّوع ، إذ لا يعرف إلّا ما قاله من قبله ممَّن هو من نوعه .

ولقد صدق فيهم[٢] قول أمير المؤمنين عليه السلام : (ذهب

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٤٨ .

(٢) في نسخة : فيه .

من ذهب إلى غيرنا إلى عيون كدرة يفرغ بعضها في بعض)[(١)] الحديث .

بيان أقسام الفاعل

١ ـ الفاعل بالطبع

وقوله : (إمَّا بالطَّبع) وهو من يصدر عنه الفعل بمقتضى طبيعته بلا شعور منه بما فعل ولا إرادة ، فيكون فعله ملائماً لطبعه ، وقد يكون مع الشّعور إلّا أنَّه لم يكن له داع غير ميل الطبيعة .

---

(١) بصائر الدرجات : ٥١٧ ح ٨، والكافي : ١ / ١٨٤ ح ٩، وبحارالأنوار : ٢٤ / ٢٤٩ ح ٤ .
ونصّه كما في الكافي : . . . عن مقرن قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : جاء ابن الكواء إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاًّ بسيماهم ؟ فقال : (**نحن على الأعراف ، نعرف أنصارنا بسيماهم ، ونحن الأعراف الذي لا يعرف الله عزّ وجلّ إلّا بسبيل معرفتنا ، ونحن الأعراف يعرفنا الله عزّ وجلّ يوم القيامة على الصراط ، فلا يدخل الجنة إلّا من عرفنا وعرفناه ، ولا يدخل النار إلّا من أنكرنا وأنكرناه . إن الله تبارك وتعالى لو شاء لعرّف العباد نفسه ولكن جعلنا أبوابه وصراطه وسبيله والوجه الذي يؤتى منه ، فمن عدل عن ولايتنا أو فضّل علينا غيرنا ، فإنهم عن الصراط لناكبون ، فلا سواء من اعتصم الناس به ، ولا سواء حيث ذهب الناس إلى عيون كدرة يفرغ بعضها في بعض ، وذهب من ذهب إلينا إلى عيون صافية تجري بأمر ربها ، لا نفاد لها ولا انقطاع**) .

٢ ـ الفاعل بالقسر

(أو بالقسر) ، أي قد يكون الشيء فاعلاً بالقسر وهو الذي يصدر عنه فعل بغير إرادته سواء كان عن شعور أم لا ، ويكون على خلاف محبّته .

٣ ـ الفاعل بالتسخير

(أو بالتَّسخير) ، وهو الذي يصدر عنه الفعل بمقتضى إرادة المسخّر وداعيه ، ويكون ذلك منه أعمّ من شعوره وإرادته ورضاه ، بل قد يشعر وقد لا يشعر ، وقد يريد بمقتضى طبيعته وقد لا يريد ، وقد يرضى بمعونة بعث المُسخّر وقد لا يرضى .

٤ ـ الفاعل بالجبر

(أو بالجبر) ، وهو أن يفعل المختار بغير اختياره ، بل بإرادة مجبره ، أو هو بمعنى القسر أو القسر بمعناه .

٥ ـ الفاعل بالقصد

(أو بالقصد) ، وهو الذي يفعل بإرادته ، لغرضه المقصود بفعله سواء كان بسبب معونة حصول الدَّواعي وانتفاء الموانع أم بنفس إرادته .

٦ ـ الفاعل بالرضا

(أو بالرِّضا) ، وهو الذي يكون علمه الذَّاتي علَّة لوجود

مفاعيله ، وعين معلوميّتها له عين وجودها عنه ، وعلمه بها عين فعله لها بلا اختلاف في شيء من ذلك .

٧ ـ الفاعل بالعناية

(أو بالعناية) ، وهو الذي يكون فعله تابعاً لعلمه بوجه الخير[١] في ذلك الفعل في نفس الأمر ، فيفعل عن ذلك العلم من غير قصد زائد على ذلك العلم .

٨ ـ الفاعل بالتجلّي

(أو بالتَّجلّي) ، وهو أن يلقى مثاله في هويّات الأشياء بحسب قوابلها .

وهذا تعريف ما ذكر من التَّقسيم في الجملة ويأتي تتمة الكلام .

ثمَّ قال : (وما سوى الثلاثة الأول) يعني ما سوى الفاعل بالطَّبع ، والفاعل بالقسر ، والفاعل بالتَّسخير (إراديّ)[٢] يعني أنَّ فِعْلَ الفاعل بالقصد ، وبالرِّضا ، وبالعناية ، وبالتَّجلّي إراديّ صدر عنه بإرادته .

وقد أشرنا إلى أنَّ ما كان بالطَّبع قد يكون إرادياً ولا يلزم أنَّ كلَّ ما صدر عن طبيعة الشيء لا يكون إراديًّا أو بغير شعور ، بل قد

---

(١) في نسخة : الجبر .
(٢) زيادة من نسخة أخرى .

يكون عن إرادة وشعور بل لو بيّنّا[١] على حاقّ حقيقة الأمر لم يوجد فاعل ينسب إليه الفعل حقيقة إلّا بإرادة وشعور إلّا أنَّه في كلّ شيء بحسبه وأنَّ ما كان بالقسر أو الجبر لا يكاد ينفكّ عن الشّعور والإرادة ، إلّا أنَّ ذلك بمعونة تتميم نقص طبيعته وذاته من قسر القاسر وإجبار المجبر إذ اقتضاء طبيعة ذي الطَّبع وذات المقسور والمجبور كان ناقصاً لكونهما ناقصتين[٢] في اقتضائهما لذلك الفعل ، فكان الإجبار متمماً وميل الطَّبيعة معيناً للشَّيء ، وخفاء[٣] ما أشرنا إليه في النباتات والجمادات والحيوانات إنَّما عرض للأوهام ، لاقتصار نظرها على ما انتقش فيها من أفعال المختارين من نحو بني آدم ، ولو تنزّلت إلى كلّ رتبة دونها بحليتها ، أو ترقّت إلى كلّ رتبة فوقها بأخلاقها لعرفت ما أشرنا إليه .

وأمَّا ما جعله إراديًا وهو الأربعة الباقية فنقول : أمَّا الفاعل بالقصد ففعله إراديّ ، وهو أكمل الفاعلين لكونه فاعلاً مختاراً بكلّ رتبة من مراتب الاختيار لصدق الفعل بالإرادة وبالرِّضا وبالعناية وبالتَّجلّي عليه وانتهاء[٤] صدق فعل الطَّبيعة والقسر والتَّسخير عنه .

---

(١) في نسخة : بنينا .
(٢) في نسخة : ناقصين .
(٣) في نسخة : خفاه .
(٤) في نسخة : انتفاء .

وأمَّا الفاعل بالرِّضا فإذا أُريد منه ما أُريد منه فلا بأس ، وأمَّا إذا أُريد منه ما يعني المصنف وأهل ملّته فلا يكون إرادياً ، فإنَّهم يجعلون الفاعل بالرِّضا هو الذي يكون سبب فعله للأشياء علمه ، بمعنى أنَّ علمه بها نفس فعله لها ، وعين عالميّته بها عين فاعليته لها ، ومع هذا كلّه فيريدون من هذا العلم العلم الفعلي ، العلم الَّذي هو ذاته ، فيلزمهم أن تكون ذاته صنعاً ومصنوعاً ، فرضاه بفعله عين رضاه بذاته ، فهو فعله ، وهذا معلوم من طريقتهم المنكوسة المتعوسة .

ولو أرادوا بذلك العلم ؛ العلم الحادث بحدوث المعلوم سواء جعلوا فعله لها أم نفسها لم نعترض عليهم بمثل هذا الاعتراض ، لأنَّه يكون الفاعل غير المفعول وغير الفعل .

وأمَّا الفاعل بالعناية فإنَّه يلزم منه القول بالجبر في أفعل العباد ، لأنَّه عندهم هو الذي يتبع فعله علمه بوجه الخير(١) في نفس الأمر ، وعلمه بوجه الخير(٢) كاف في الصّدور عن الإرادة ، إلّا أن يجعلوا ذلك العلم إرادةً ، فيكون إرادياً مع لزوم الجبر ، ثمَّ إذا جعلوه إرادة فإن قالوا بحدوثه صحَّ لهم كلّ ما سوى لزوم الجبر ، وأمَّا إذا قالوا بقدمه امتنع الفعل في القدم أو القدم في الحدوث ، أو انفكاك أحدهما عن الآخر ، لأنَّ العلم عندهم

---

(١) في نسخة : الجبر .

(٢) في نسخة : الجبر .

كاف في صدور الأشياء ، ولو كان سابقاً في وجوده على صدورها لم يكن كافياً ، لأنّهم إذا جعلوه كافياً كان كافياً في القدم ، فتصدر حيث يكون كافياً ، فتكون صادرة في القدم ، ومع هذا كلّه فالجبر لازم .

على أنّا قد بيّنّا أنّ الإرادة حادثة ، لأنّها من صفات الأفعال[1] ولا تكون إلّا والمراد معها كما دلّت عليه أخبار أهل الحقّ عليهم السلام ، وهم لا يريدون بالعلم إلّا الذّات البحت ، سبحانه وتعالى عمّا يقولون علوًّا كبيراً .

وقال المصنف : (والثّالث يحتمل وجهين) يعني الإرادة والشّعور وعدمهما وليس كذلك ، بل كما قلنا من أنّه قد يشعر وقد لا يشعر ، وقد يريد وقد لا يريد لا أنّه يحتمل أن يكون ذا إرادة وشعور وأن لا يكون كذلك ، فتكون حالاته واحدة في كلّ ما يصدر عنه بباعث مسخّرة ، بل يكون في بعض الأحوال مشعراً بل ومريداً بسبب داعي طبيعته ، كالمجبور على النّكاح مثلاً ، فإنّه لو لم يشعر أَوْ لم يرد لم يحصل له الإنْعاظ ، وإن كان بداعي الطّبيعة البشرية ، وقد يكون في بعض الأحوال غير مريد ولا مشعر .

---

(١) قال عليه السلام : (**المشيئة والإرادة من صفات الأفعال ، فمن زعم أنّ الله سبحانه لم يزل شائياً مريداً فليس بموحّد**) توحيد الصدوق : ٣٣٨ ح ٥ باب معنى البداء ، ومستدرك الوسائل : ١٨ / ١٨٢ ح ٢٢٤٤٩ ، ومختصر البصائر : ١٤٣ .

ولو قال : (يحتمل ذلك في حالين) لكان أصحّ لعبارته ومعناه .

قوله : (وصانع العالم فاعل بالطبع عند الدَّهريَّة والطباعيَّة) إلخ ، قال في الكتاب الكبير : (وإذا علمت أقسام الفاعل فاعلم أنَّه ذهب جمع من الطباعيّة والدَّهريَّة خذلهم الله إلى أنَّ مبدأ الكلّ فاعل بالطبع ، وجمهور المتكلّمين إلى أنَّه فاعل بالقصد ، والشيخ الرَّئيس وفاقاً لجمهور المشَّائين إلى أنَّ فاعليّته للأشياء الخارجية بالعناية والصّور العلميَّة الحاصلة في ذاته على رأيهم بالرِّضا ، وصاحب الإشراق تبعاً لحكماء الفرس ، والرّواقيِّين إلى أنَّه فاعل الكلّ بالمعنى الأخير أي بالرِّضا ، وسنحقّق لك في مبدأ(١) الكلام في الأُصول الآتية إن شاء الله تعالى أنَّ فاعل الكلّ لا يجوز اتّصافه بالفاعليَّة بأحد من الوجوه الثلاثة الأُول ، وأنَّ ذاته أرفع من أن تكون فاعلاً بالمعنى الرابع لاستلزامه مع قطع النَّظر عن الاضطرار التكثُّرَ ، بل التَّجسّمَ ، تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً . فهو إمَّا فاعل بالعناية أو بالرِّضا ، وعلى أيّ الوجهين فهو فاعل بالاختيار ، بمعنى إن شاء فعل وإن لم يشأ لم يفعل ، لا بالإيجاب كما توهَّمه جماعة من النَّاس ، فإنَّ صحَّة الشرطية غير متعلّقة بصدق شيء من مقدّمها وتاليها ، بل وجوبه وكذبه ، بل

---

(١) في نسخة : مستأنف .

امتناعه إلّا أنَّ الحقّ هو الأوَّل منهما ، فإنَّ فاعل الكلّ كما سيجيء يعلم الكلّ قبل الوجود بعلم هو عين ذاته ، فيكون علمه بالأشياء الذي هو عين ذاته منشأ لوجودها ، فيكون فاعلاً بالعناية) انتهى كلامه .

أقول : قد فسَّر الفاعل بالعناية قبل هذا الكلام بأنَّه الذي يكون علمه بالشيء بنحو أصله[١] بحسب نفس الأمر منشأً لفعله من دون قصد زائد على العلم وداعية خارجة عن ذات الفاعل .

فأقول : وما المراد من قوله : (من دون قصد زائد . . إلخ) ؟ هل يريد بالقصد الزَّائد داعياً غير نفس الفعل أم يجعله نفس الفعل ، فإن أراد به غير الفعل فعندنا أنَّه لا شكَّ أنَّه تعالى ليس له داع غير نفس فعله ، لأنَّ إرادته وقصده ومشيئته نفس إيجاده تعالى ، لأنَّه لا يهمّ ولا يفكّر ولا يُروِّي .

وإن أراد به شيئاً غير فعله فتعالى ربِّي عن ذلك .

وإن أراد بأنَّ الفاعل لا يكون فاعلاً بالعناية إلّا بلحاظ عدم مطلق القصد أي بأيّ معنى يكون ؟ فلا يصحّ هذا الكلام لأنَّ من يفعل بغير قصد ليس بمختار ، وجعله العلم قصداً أو إرادة لأنَّه ذاته تعالى وهي إرادة ليس بصحيح ، لأنَّ ذاته وعلمه الذي هو

---

(١) في نسخة : أصلحه .

ذاته غير منتظر لشيء ولا محصل[١] لشيء ، بل كلّ شيء حاصل له قبل الفعل وبعده على حدّ واحد ، فقصده وإرادته لما يفعل فعله له لا غير ، ولا يصحّ أن يفعل بغير إرادة ، فيكون فاعلاً بالطبيعة أو بالجبر ، ولا أن يكون له إرادة غير فعله ، فيكون ذا ميل وداع وذا فكر وتروٍّ ، إذ من كان كذلك فهو مصنوع غير صمد ، بل يكون للأشياء مدخل فيه ـ تعالى ربّنا عن ذلك ـ فلا يكون فاعلاً بالعناية إلّا على معنى أنّه فاعل بالقصد ، ولا يكون فاعلاً بالقصد إلّا على معنى أنَّ قصده عين فعله لا غير إلّا إذا أُريد بالفَاعل الفاعل الممكن ، والمصنف صرَّح في الكتاب الكبير بأنّه تعالى فاعل بالعناية كما سمعت من كلامه .

وذكر الملّا أحمد في حاشيته على المشاعر : (أنَّ الحقّ عند المصنف هو القسم الأخير الذي ذكرنا أعني الفاعل بالتجلّي ، ولكنَّه بحسب مقام آخر ومرتبة أُخرى ، وهو هاهنا في مقام آخر ، فلا منافاة بين ما حقّقه هاهنا وبين ما هو الحق عنده ، فخذ هذا وكن من الشَّاكرين) انتهى .

أقول : إنَّ القول بأنَّه فاعل بالتجلّي كالقول الأوَّل فيما يرد عليه ، فإنَّ معناه أنَّ الأشياء المحدثة هيئات صفات ذاته قياساً على ظهور المقابل للمرآة بهيئة صورة ذاته ، ولو صحَّ هذا

(١) في نسخة : تحصل .

لعرفت(١) صفات ذاته بهيئاتها ، فتكون مدركة كما أنَّك تعرف صفات المقابل للمرآة وتدرك هيئاته بواسطة صورته في المرآة ، فتكون نفسك هي صفة ذاته التي تجلّى بها لك .

والحقّ أنَّ المعروف بمعرفة النَّفس إنَّما هُوَ الصِّفة التي تعرّف لك بها من توصيفه ، وهي حادثة بفعله ، فهي صفة استدلال عليه ، لأنَّها صفة الوصف والتَّعريف لا صفة تكشف له لكونها صفة ذاته(٢) ، وربَّما كان قول المصنف في الكتاب الكبير الذي

---

(١) في نسخة : لمعرفة .

(٢) قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته : (**وإن قلتَ : مِمَّ هُو ؟ فقد باين الأشياء كلّها فهو هو ، وإن قلتَ : فهو هو ، فالهاء والواو كلامه صفة استدلال عليه لا صفة تكشف له ، وإن قلتَ : له حدّ فالحدّ لغيره ، وإن قلتَ : الهواء نسبه فالهواء من صنعه رجع من الوصف إلى الوصف وعمي القلب عن الفهم والفهم عن الإدراكِ ، والإدراكُ عن الاستنباط ، ودام الملك في الملك ، وانتهى المخلوق إلى مثله وألجأه الطَّلب إلى شكله ، وهجم به الفحصُ إلى العجز ، والبيانُ على الفقدِ ، والجهد على اليأس ، والبلاغ على القطع ، والسبيل مسدود ، والطلب مردود ، دليله آياته ، ووجوده إثباته**) .
وهي الخطبة المعروفة بدرّة التوحيد روى بعضها السيد حيدر الآملي في جامع الأسرار ومنبع الأنوار : ٢٣٤، وأولها : (**الحمد لله حمد معترف بحمده مغترف من بحار مجده بلسان الثناء شاكر . .**) .
وفيها : (**السبيل مسدود والطالب مردود دليله آياته ووجوده إثباته ، ومعرفته توحيده ، وتوحيده تنزيهه من خلقه ، بأين لا بمسافة قريب لا بمداناة . له حقيقة الربوبيّة إذ لا مربوب ومعنى الإلهيّة إذ لا مألوه . صفة أنّه ربّ وغيره خلق . له تأويل البينونة لا بينونة له ، ما تصوّرته الأوهام فهو بخلافه . ليس بربّ من** =

نقلناه في بيان الفاعل بالاختيار قال : بمعنى إن شاء فعل وإن لم يشأ لم يفعل ، ولم يقل وإن شاء ترك أو إن شاء لم يفعل ، يشير إلى أنَّه فاعل بالتجلّي ، وقد قلنا : إنَّه كالقول بالعناية ، ويريد بتغيير العبارة في قوله : (وإن لم يشأ لم يفعل) أنَّه شاء لما يريد فعله في الأزل قبل أن يفعله ، وإن لم يشأه في الأزل يشاء(١) أن يفعله في الإمكان ، وقد ذكرنا في شرحنا في مواضع متعدّدة أنَّه قبل أن يفعل له أن يفعل وأن لا يفعل ، وكلّ ذلك عن قصد خاصّ بالمفعول هو نفس فعله .

هل الله تعالى فاعل بالتجلّي

وأمَّا نحن فنقول : إذا شئنا هو فاعل بالتجلّي وهو حقّ ، وإذا قال المصنف إنَّه فاعل بالتَّجلّي فليس بصحيح ، لأنَّا نريد أنَّه

= أطرح تحت البلاء ، ولا بمعبود من وجد في وعاء هواء وغير هواء . فهو في الأشياء كائن لا كينونة محصور (محظورة ـ م) بها عليه . ومن الأشياء بائن لا بينونة غائب عنها . .) إلى قوله عليه السلام : (فهو الأوّل لا أوّل له . والآخر لا آخر له . والظاهر لا ظاهر له والباطن لا باطن له) .

رواه السبزواري والطباطبائي باختصار : (دليله آياته ، ووجوده إثباته ومعرفته توحيده وتوحيده تمييزه) . انظر شرح الأسماء الحسنى : ١ / ١٦، وتفسير الميزان : ٦ / ١٠٢ .

ورواه ابن شعبة الحراني عن الإمام الحسين عليه السلام بتفاوت واختصار ، انظر تحف العقول : ٢٤٤، وبحار الأنوار : ٤ / ٣٠١ ح ٢٩ .

(١) في نسخة : لم يشأ .

سبحانه تجلّى للعباد بإيجادهم لا بذاته ، فإنَّه تعالى لا تتغيَّر حاله ، فكان غير متجلّ في الأزل ثمَّ تجلَّى ، ومن كان كذلك فهو حادث لاختلاف أحواله ، وإن كان متجلّياً في الأزل كان ما تجلّى به قديماً ـ تعالى ربِّي ـ بخلاف قول المصنف الذي يرى أنَّ خلقه منه بالسَّنخ فإنَّ[(١)] وجودهم وجوده ، فعنده إذا تجلَّى ، فإنَّما تجلَّى بذاته وهذا باطل .

وقوله : (وعلى أيّ الوجهين فهو فاعل بالاختيار) ليس على مراده بصحيح ، لأنَّه لا يريد بالاختيار أنَّه إن شاء فعل وإن شاء ترك ، بل يريد أنَّه راض بفعله وإن كان لا بدَّ أن يفعل ، أو أنَّه في علمه أنَّه يفعل ، فليس له ألَّا يفعل ، وعلى أيّ الوجهين فهو فعل بالاضطرار .

وقد بيَّن في هذا الكتاب أنَّ القول بأنَّه فاعل بالتَّجلّي للصّوفيَّة .

وقوله : ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾[(٢)] يريد به من الآية مراد الصّوفيَّة بأنَّه تعالى هو يسيّرهم في هذه الجهات بالعناية السَّابقة والعلم الأزليّ لا غير كما قال : ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾[(٣)] أي في الأقوال والمعاني ، أو في الغيب

---

(١) في نسخة : وأنَّ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ١٤٨ .

(٣) سورة يونس ، الآية : ٢٢ .

والشَّهادة ، أو في الأجسام والأرواح ، أو في الأحكام والاعتقادات ، وليس الأمر كما زعم ، لأنَّه تعالى لو أجرى الإيجاد على ما ذهب إليه أو التَّكاليف ، للزم الجبر في أفعال العباد ، ولتساوت الخلائق في الإيجاب ، بل يجب الاتحاد ، فلا يوجد إلّا شخص واحد ، لأنَّ فعله واحد بجهة واحدة ، بل يبطل الإيجاد لعدم جواز التَّكليف الذي هو الغاية في الصنع .

بل الحقّ أنَّه سبحانه أجرى صنعه على مقتضى القابليَّات التي هي الأعمال والأقوال والاعتقادات ، ولكلّ شخص أو أهل مذهب وجهة من أعمالهم هو مولّيها بأعمالهم كما قال تعالى : ﴿ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ﴾(١) فلا يولِّيها بفعله وعلمه إلّا بقوابل أعمالهم ، ﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ﴾(٢) وفي هذا ﴿ فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾(٣) .

في بيان فعل الله تعالى

قال : المشعر الثَّاني في فعله تعالى ، ففعله تعالى أمر وخلق ، أمره مع الله وخلقه حادث زمانيّ وفي الحديث أنَّه قال رسول الله

---

(١) سورة النساء ، الآية : ١٥٥ .

(٢) سورة هود ، الآية : ١٠١ .

(٣) سورة البقرة ، الآية : ١٤٨ .

صلى الله عليه وآله : (أوّل ما خلق الله العقل) وفي رواية : (القلم) وفي رواية : (نوري) والمعنى في الكلّ واحد . وفي كتاب بصائر الدّرجات لبعض أصحابنا الإماميّة رضي الله عنهم[(١)] قال : حدَّثنا يعقوب بن يزيد ، عن محمد بن أبي عمير ، عن هشام ابن سالم قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام : يقول : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾[(٢)] قال : (خَلقٌ أعظم من جبرئيل وميكائيل لم يكن مع أحد ممَّن مضى غير محمَّد صلى الله عليه وآله وهو مع الأئمَّة عليهم السلام يسددهم)[(٣)] انتهى .

أقول : هذا الكلام من المصنف في بيان فعل الله تعالى ، وذِكْره للعقل يظهر منه أنَّه هو الفعل وهو غلط ظاهر ، فإنَّ العقل من المفعولات ، وليس أوَّل مخلوق منها ، وإنَّما هو أوَّل مخلوق من المركبات والمقيّدات .

---

(١) هو محمد بن الحسن الصفار بن فروخ الصفار أبو جعفر الأعرج مولى عيسى بن موسى بن طلحة بن عبد الله بن السايب بن مالك بن عامر الأشعري ، عالم جليل له مؤلفات كثيرة منها : كتاب فضل القرآن ، والمثالب ، والمزار ، والمناقب ، والرد على الغلاة ، والملاحم ، والجهاد ، والصلاة ، والنكاح ، وغير ذلك . توفي سنة ٢٩٠ هـ .

(٢) سورة الإسراء ، الآية : ٨٥ .

(٣) انظر أصول الكافي : ١ / ٢٧٣ ح ٤ ، وبصائر الدرجات : ٤٥١ـ٤٤٥ـ٤٨٢ ح ١١ ، والأنوار النعمانية : ٢ / ١٨ .

ففي الكافي[(١)] عن الصَّادق عليه السلام : أنَّه قال : (**إنَّ العقل أوَّل خلق من الرُّوحانيِّين عن يمين العرش**)[(٢)] إلخ ، والعرش المذكور له أربعة أركان وهذا العقل الأيمن منه .

وروي : (**أنَّ القلم أوَّل غصن أخذ من شجرة الخلد**) ، فتكون شجرة الخلد خُلِقَتْ قَبْلَهُ .

وفي تاريخ الحسن العسكريّ عليه السلام : (**وروح القدس في جنان الصَّاقورة ذاق من حدائقنا الباكورة**)[(٣)] فتكون جنان الصَّاقورة غرسوها عليهم السلام قبل أن يخلق روح القدس ، وهو العقل ، وهو القلم المأخوذ من شجرة الخلد ، ولمّا أثمرت كان أول من أكل من ثمرها روح القدس ، يعني أنَّه أوَّل من ذاق ثمرة الوجود من حدائق محمَّد وآله صلى الله عليه وآله وذلك لأنَّ أوَّل ما صدر من فعل الله سبحانه وإيجاده الحقيقة المحمَّديَّة كما قال صلى الله عليه وآله حين سأله جابر بن عبد الله الأنصاري رحمه

---

(١) هو للشيخ محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي ، ويعرف بالسلسلي البغدادي أبو جعفر الأعور .
كان زمن وكلاء الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه ، انتهت إليه رئاسة فقهاء الإمامية في أيام المقتدر .
توفي في بغداد في شهر شعبان سنة ٣٢٩ هـ وقيل ٣٢٨ هـ
(٢) بحار الأنوار : ٥٤ / ٣٠٩، وشرح أصول الكافي : ١ / ١٩٩ .
(٣) بحار الأنوار : ٢٦ / ٢٦٤ ح ٥٠، وقرة العيون للفيض الكاشاني : ٤٤٧، والمراقبات : ٢٤٥ .

الله عن أوَّل ما خلق الله فقال صلى الله عليه وآله : (**نور نبيّك يا جابر**)[١] الحديث .

وهو الماء الذي منه كلّ شيء حيّ ، ثمَّ ساقه إلى الأرض الجرز والأرض الميِّت ، أعني أرض القابليَّات ، فأنزل بها الماء ، فأخرج به من كلّ الثَّمرات ، وأوَّل مَن خرج وأكل فاكهة الوجود العقل وفعل الله تعالى هو مشيئته وإرادته .

قال الصَّادق عليه السلام : (**خلق الله المشيئة بنفسها ، ثمَّ خلق الخلق بالمشيئة**)[٢] انتهى . فأمر الله هو فعله وهو مشيئته وإرادته وإبداعه .

قال الرِّضا عليه السلام : (**المشيئة والإرادة والإبداع أسماؤها ثلاثة ومعناها واحد**)[٣] .

---

(١) بحار الأنوار : ١٥ / ٢٤ ح ٤٣ ، ومستدرك سفينة البحار : ٢ / ١٤ ، وينابيع المودة : ١ / ١٥ ـ ١٦ . اسلامبول الباب الثاني في شرف آباء النبي صلى الله عليه وآله .

(٢) قال الإمام الصادق عليه السلام : (**خلق الله المشيئة بنفسها ثم خلق الأشياء بالمشيئة**) . التوحيد : ١٤٨ ح ١٩ باب (١١) صفات الذات وصفات الأفعال ، وشرح الأسماء الحسنى : ١ / ٧ ، وبحار الأنوار : ٤ / ١٤٥ ، ومختصر بصائر الدرجات : ١٤١ .
وفي رواية : (**خلق الله المشيئة قبل الأشياء ثم خلق الأشياء بالمشيئة**) التوحيد ح ٨ باب (٥٥) المشيئة والإرادة ، وبحار الأنوار : ٤ / ١٤٥ ح ٢٠ .

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام : ١ / ١٥٤ ، وتحف العقول : ٤٢٤ ، =

وقال الصَّادق عليه السلام : (**الإرادة من الخلق الضَّمير ، وما يبدو لهم بعد ذلك من الفعل ، وأمَّا إرادة الله فإحداثه لا غير ، لأنَّه لا يروِّي ولا يهمّ ولا يفكّر**[1])[2] انتهى .

وقوله : (أمر وخلق) تفسير لفعل الله مجاز قد يتسامح فيه ، لكنَّا نقول : فعل الله تعالى هو أمره ، ويطلق الأمر على الفعل ، وهو ما قامت به الأشياء كلّها قيام صدور وعلى المفعول الأوَّل وهو نور الأنوار والحقيقة المحمَّديَّة صلى الله عليه وآله ، وهو ما قامت به الأشياء قياماً ركنيّاً .

ومثالهما إذا قابلتَ المرآة انطبعتْ فيها صورَتكَ ، فالصّورة المنطبعة شعاع من صورتك التي قامت بك ، فهي قائمة بصورتك قيام صدور ، والصّورة المنطبعة في المرآة قائمة بهذا الشُّعاع قياماً ركنيًّا ، لأنَّ هذا الشُّعاع القائم بصورتك قيام صدور هو مادَّة الصّورة المنطبعة في المرآة ، وصورتها هيئة المرآة من بياض أو

= وتوحيد الصدوق : ٤٣٦ وفيه : (**اعلم أن الإبداع والمشيئة والإرادة معناها واحد وأسماؤها ثلاثة**) .
وفي حديث آخر عن الإمام الرضا عليه السلام : (**فالخلق الأول من الله الإبداع لا وزن له ولا حركة ولا سمع ولا لون ولا حسن**) توحيد الصدوق : ٤٣٦ باب ذكر مجلس الرضا .

(١) في المصدر : (**يتفكر**) .

(٢) الكافي : ١ / ١١٠ ح ٣، وشرح أصول الكافي : ٣ / ٢٦٧ ح ٣ .

سواد واستقامة ، أو اعوجاج ، وصفاء أو كدورة ، وكبر أو صغر ، وهي قائمة بمادّتها قياماً ركنيًّا فافهم .

فالفعل هو الأمر ، والمفعول من الخلق والحقيقة المحمَّديَّة أوَّل مخلوق صدر عن فعل الله ، فإذا صدر المفعول عن فعل الله فالفعل هو الأمر الفعليّ ، وإذا صدر عن المفعول فالمفعول حامل لفعل الله كالحديدة الحاملة لحرارة النَّار ، فكما أنَّ الحديدة لا تحرق بنفسها وإنَّما تحرق بحرارة النَّار الحاملة لها ، كذلك المفعول لا يكون أمراً لله بمعنى فعله ، ولا أن يصدر عنه شيء إلّا لكونه محلاً لفعل الله فافهم .

وقوله : (أمره مع الله) قال الملَّا أحمد صاحب الحاشية المذكور سابقاً : (فإن قلتَ : كيف يكون أمره معه وهو تعالى علَّة له ، وهي متقدِّمة على المعلول ، وهو لا يكون في مرتبة العلَّة ؟ قلتُ : المراد بالمعيَّة بقرينة المقابلة عدم تجدّده واستمراره ، أو المراد بقاؤه ببقائه كما سيجيء عَنْ قَريب) انتهى .

وفيهما أنَّ كون أمر الله مع الله كما تدلُّ عليه المقابلة باطل ، أمَّا أنَّ الله تعالى مع كلّ شيء فحقّ ، بمعنى أنَّه معه به وبما له وعليه : ﴿ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴾(١) وأمَّا أنَّ الأمر مع الله فحقٌّ ، بمعنى أنَّه لا يخرج عن سلطانه وملكه أبداً لا كما توهّماه

(١) سورة المؤمنون ، الآية : ١٧ .

من البقاء ، فإنَّه فان مستحيل في ذات الله تعالى ممتنع الوجود والبقاء ، بل وجوده وبقاؤه في الإمكان الرَّاجح غير متناه فيه ، وإن كان متناهياً عند الله فانياً في رتبة ذاته مستحيل الوجود .

وأمَّا أنَّ الله تعالى علَّة فباطل ، لأنَّ الله سبحانه ليس علَّة لشيء ، بل كلّ شيء علّته صنعه ، وهو فعله وصنعه علَّته نفسه بالله ، كما قال الصَّادق عليه السلام : (**خلق الله المشيئة بنفسها ، ثمَّ خلق الخلق بالمشيئة**)[1] فالمشيئة علّتها نفسها بالله ، كما أنَّ علَّة الأشياء هي فعل الله الذي هو المشيئة بالله ، فكما نقول : علَّة الأشياء فعل الله ، كذلك نقول : علَّة فعله نفس الفعل ، لأنَّ الأشياء خلقت بالفعل ، والفعل خلق بنفسه ، كما نقول : علَّة الكتابة حركة يد الكاتب لا ذات الكاتب ، وليس لك أن تقول : إنَّ ذات الكاتب علَّة العلَّة ، لأنَّ المعلول يدلُّ بهيئته على هيئة علّته كما تدلُّ الكتابة هي بهيئتها على هيئة حركة اليد ، ولا تكون شيء من ذلك دالّاً على الكاتب بوجه من الوجوه إلّا على وجود صانع

---

(١) قال الإمام الصادق عليه السلام : (**خلق الله المشيئة بنفسها ثم خلق الأشياء بالمشيئة**) . التوحيد : ١٤٨ ح ١٩ باب (١١) صفات الذات وصفات الأفعال ، وشرح الأسماء الحسنى : ١ / ٧، وبحار الأنوار : ٤ / ١٤٥، ومختصر بصائر الدرجات : ١٤١ .
وفي رواية : (**خلق الله المشيئة قبل الأشياء ثم خلق الأشياء بالمشيئة**) التوحيد ح ٨ باب (٥٥) المشيئة والإرادة ، وبحار الأنوار : ٤ / ١٤٥ ح ٢٠ .

لا تنتهي صنعته إليه ، وإنَّما تنتهي إلى فعله وحركته ، والفعل لا ينتهي إلى الذَّات وإلَّا لساوقها في الوجود كما ساوقت الكتابة حركة يد الكاتب .

ومن هنا قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آله الطَّاهرين : (**انتهى المخلوق إلى مثله ، وألجأه الطلب إلى شكله**) .

وقال عليه السلام : (**علَّة ما صنع صنعه ، وهو لا علَّة له**)[1] إلخ .

(١) جاء في كتاب جامع الأسرار للآملي : ٣٢٢ . (**به توصف الصفات لأنّها توصف ، وبه تعرف المعارف لأنّها تعرف . به عُرف المكان لا بالمكان عرف . وبه كان الخلق لا بالخلق كان . الأمكنة لا تكنّه لأنّه لو كان في مكان دون مكان لآنس المسكون فيه وأوحش الخالي منه . علّة ما صنع صنعه . وهو لا علّة له . ليس (لكانَ كونُه كان) ، ولكنّه (كون الكانَ فكان) وإنّما كان . حروف تأتلّف وتفترق . لم يسبقه قبل ، ولم يقطعه بعد .**
تقدّم الحدثَ قِدَمه ، والعدمَ وجودهُ والصفة ذاته والغاية أزله . وفات الوهمَ نيله والعدم اكتناهُه والحجبَ احتجابه . ظاهر في غيب ، غائب في ظهور . ولو إذا غاب لحجبت العينيّة الحجاب . ولو إذا ظهر لوقع الإيماء به اضطراراً . ليس عن الدهر قدمه ولا لكونه موجوداً يقال سبق وجوده عدمه . وجوده واجب وسبيله الديموميّة . الوحدة لم توحشه والخليقة لم تؤنسه . فلو أوحشه الوحدة ، لآنسه خلقه . ولو آنسه خلقه ، لأوحشه فقدهم . فالأنس والوحشة خلقه . فكيف يحمل به ما هو أبداه ؟ أو يعود فيه ما هو أنشاه) ؟

بطلان إطلاق العلّة على الله تعالى على نحو الحقيقة

والحاصل : إنَّ إطلاق العلَّة عليه على نحو الحقيقة غير جائز إلّا على معنى أنَّه فاعل بفعله لا كما يقولون : إنَّه فاعل بذاته ، بل على معنى أنَّ الأشياء بجميع أنحائها من موادّها وصورها ، وجوداتها وماهيَّاتها ، مقبولاتها وقابليَّاتها ، وكلّ شيء منها ولها مستندة إلى فعله تعالى خاصَّة .

وأمَّا كون بقائه ببقائه فلا ، بل بقاؤه بما يمدّه من الإمدادات الإمكانيَّة الغير[1] المتناهية ، وهي قد أحدثها الله سبحانه لا من شيء ، وأقامها بنفسها كما قال عليه السلام : (**يمسك الأشياء بأظلّتها**)[2] أي بذواتها ، وقوام كلّ شيء بفعله وبإمداده ممَّا أحدث من الخزائن الإمكانيَّة التي لا تنفد ولا تتناهى ، لا إله إلّا هو .

وقوله : (وخلقه حادث زمانيّ) يعني أحدثه في الزَّمان ، فالزَّمان ظرف لإحداثه ، وهذا الحصر محصور ، إذ ليس كلّ مخلوقاته زمانية ، فإنَّ نور محمَّد وآله صلى الله عليه وآله مخلوق قبل أن يخلق الله شيئاً ، والزَّمان إنَّما هو ظرف الأجسام ، ولا يصحّ أن يكون ظرفاً لغيرها ، فلا يصحّ إيجاده قبل الأجسام

---

(١) في نسخة : غير .

(٢) توحيد الصدوق : ٥٨ ح ١٥، وبحار الأنوار : ٤ / ٢٨٦ .

والأمكنة ، ولا إيجادهما قبله بل هي أي الثلاثة متساوقة الوجود ، وأيضاً إذا كان الخلق حادثاً زمانيّاً فالزمان يكون حادثاً زمانياً ، أو ليس بحادث ، أو هو من الأمر ، ما أدري ما أقول لهؤلاء ؟

وقوله : (وفي الحديث أنَّه قال رسول الله صلى الله عليه وآله) إلخ قد تقدَّم أنَّ العقل هو القلم وهو ملك ، والمراد به عقل محمَّد وآله صلى الله عليه وآله ، وهو وجه وجودهم الذي نسمّيه بالماء الذي منه جعل كلّ شيء حيًّا ، وكان عرشه على الماء ، وبالحقيقة المحمَّديَّة ، وبأمر الله المفعوليّ الذي به قامت الأشياء ، لأنَّ موادّ جميع الأشياء منه ، وفي الدُّعاء **(كلّ شيء سواك قام بأمرك)**(١) ومن الأشياء القائمة بأمر الله المفعوليّ العقل المذكور ، وهو وجه تلك الحقيقة ، وهو القلم ، وهو الرُّوح من أمر الله وكذلك الحقيقة ملك .

وفي الحديث عن الصَّادق عليه السلام حين سأله سفيان الثوري عن قوله : ﴿ نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ﴾(٢) قال : **(نون ملك يؤدّي إلى القلم ، وهو ملك يؤدّي إلى اللَّوح ، وهو ملك يؤدّي إلى إسرافيل)**(٣) الحديث .

---

(١) مصباح المتهجد : ٤٣١، والبحار : ٨٧ / ١٤٨ .
(٢) سورة القلم ، الآية : ١ .
(٣) معاني الأخبار : ٢٣ ح ١، والبحار : ٥٤ / ٣٦٨ ح ٥ .

فنون الحقيقة المحمَّديَّة ، والقلم عقله ، واللَّوح نفسه صلى الله عليه وآله ، ولا شكَّ أنَّ العقل ملك أعظم من جبرائيل وميكائيل والملائكة أجمعين ، وعظمة هذا الملك فوق ما نصف ، ولكنَّه مركَّب من الوجود والماهيَّة ، فوجوده مسّ النَّار أي نار المشيئة وهو أثرها ، أي الحقيقة المحمَّديَّة وماهيّته أرض القابليَّة أي الزَّيت الذي يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار .

وقد تقدَّم بيانه في بيان السِّراج ، لأنَّه هو المذكور في قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ﴾(١) فنوره المُشَبَّه(٢) بالمصباح هو العقل بقرينة ذكر زيته ومسّ النَّار له ، ولا يكون إلّا في المركَّب ، وما قبله ليس بمركَّب ظاهراً ، لأنَّه مسّ النَّار في المصباح والزَّيت ، وفي النبات الماء والأرض الميتة والأرض الجرز .

وقوله عليه السلام : **(لم يكن مع أحد ممَّن مضى غير محمَّد صلى الله عليه وآله)**(٣) يعني بكلّه ، وإلَّا فكلّ نبيّ يكون معه بوجه من وجوهه أو رأس من رؤوسه ، بل ويكون مع سائر الأولياء ومع المؤمنين ، بل ومع غيرهم حالة سلوكهم طريق الحق ولهذا قال

---

(١) سورة النور ، الآية : ٣٥ .

(٢) في نسخة : المشيئة .

(٣) انظر أصول الكافي : ١ / ٢٧٣ ح ٤، وبصائر الدرجات : ٤٥١ ـ ٤٤٥ ـ ٤٨٢ ح ١١ ، والأنوار النعمانية : ٢ / ١٨ .

النَّبي صلى الله عليه وآله لحسَّان بن ثابت لما قال شعره المشهور يوم الغدير الذي أوَّله :

يُنَادِيهِمُ يَومَ الغَدِيرِ نَبِيُّهُمْ بِخُمّ وَأَسمِع بِالنَّبِيِّ مُنَادِيَا(١)

قال صلى الله عليه وآله : (**لا زلتَ مؤيّداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك**)(٢) مع علمه أنَّه يتغيَّر عن الصَّلاح ، ولذا قَيَّدَ الدُّعاء .

نعم لا يوجد روح القدس بكلّ جهاته إلّا عند محمّد وأهل بيته صلى الله عليه وآله ولا يسعه غير قلوبهم(٣) ، لأنَّه باب الله

---

(١) روضة الواعظين : ١٠٣ ، ومناقب آل أبي طالب : ٢ / ٢٣٠ .

(٢) خصائص الأئمة للرضي : ٤٢ .

(٣) في الكافي روى أبو بصير قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ [الإسراء : ٨٥] قال : (**خلق أعظم من جبرائيل وميكائيل لم يكن مع أحد ممن مضى غير محمد صلى الله عليه وآله وهو مع الأئمة عليهم السلام يسدّدهم وليس كلّ ما طلب وجد**) أصول الكافي : ١ / ٢٧٣ ح ٤ ، وبصائر الدرجات : ٤٥١ ـ ٤٤٥ ، ونور الثقلين : ٤ / ٥١٣ ح ٢٣ مورد آية المؤمن ١٥ .

وعن الإمام العسكري عليه السلام في قصة ولادة الإمام المهدي عليه السلام وحكيمة : (**فصاح بي أبو محمد عليه السلام فقال : (يا عمة تناوليه وهاتيه فتناولته وأتيت به نحوه ، فلما مثلت بين يدي أبيه وهو على يدي سلم على أبيه فتناوله الحسن عليه السلام مني والطير ترفرف على رأسه وناوله لسانه فشرب منه ، ثم قال : امضي به إلى أمه لترضعه ورديه إلي**) قالت : فتناولته أمه فأرضعته فرددته إلى أبي محمد عليه السلام والطير ترفرف على رأسه فصاح=

إلى جميع من هو دونه من خلقه ، ويكون عند الأئمَّة عليهم السلام واحداً بعد واحد ، ولم ينزل إلى الأرض إلّا على محمَّد صلى الله عليه وآله ومنذ نزل ما صعد وهو الآن مع الحجّة عليه السلام عجَّل الله فرجه .

بيان النفوس والأرواح

قال : وقال محمد بن علي بن بابويه (قدّس الله روحه) في كتاب الاعتقادات : (اعتقادنا في النُّفوس أنَّها الأرواح التي تقوم بها حياة النُّفوس وأنَّها الخلق الأوَّل لقول النَّبيّ صلى الله عليه وآله : (إنَّ أوَّل ما أبدع الله هي النُّفوس المقدَّسة المطهَّرة ، فأنطقها بتوحيده ، ثمَّ خلق بعد ذلك سائر خلقه)[1] ، واعتقادنا فيها أنَّها

= بطير منها فقال له : **(احمله واحفظه ورده إلينا في كل أربعين يوماً)** فتناوله الطير وطار به في جوّ السماء واتبعه سائر الطير فسمعت أبا محمد عليه السلام يقول : **(أستودعك الله الذي أودعته أم موسى موسى)** فبكت نرجس فقال لها : **(اسكتي فإن الرضاع محرم عليه إلا من ثديك وسيعاد إليك كما ردّ موسى إلى أمه ، وذلك قول الله عزّ وجلّ : ﴿ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴾** [القصص : ١٣]) قالت حكيمة : فقلت : وما هذا الطير ؟ قال : **(هذا روح القدس الموكل بالأئمة عليهم السلام يوفقهم ويسددهم ويربيهم بالعلم)** .
روضة الواعظين : ٢٥٩، وكمال الدين وتمام النعمة : ٤٢٩ باب ٤٢ ح ٢، والأنوار النعمانية للجزائري : ٢ / ١٨، وبحار الأنوار : ٥١ / ١٤ ح ١٤ .

(١) شرح أصول الكافي للمازندراني : ٦ / ٧٠، وبحار الأنوار : ٦ / ٢٤٩ .

خلقت للبقاء ولم تخلق للفناء لقوله صلى الله عليه وآله : (ما خلقتم للفناء ، بل خلقتم للبقاء ، وتنقلون من دار إلى دار)[١] ، وأنَّ الأرواح في الدُّنيا غريبة ، وفي الأبدان مسجونة . واعتقادنا فيها أنَّها إذا فارقت الأبدان فهي باقية منها منعَّمة[٢]ومنها معذّبة إلى أن يردَّها عزَّ وجلَّ إلى أبدانها وقال عيسى ابن مريم عليه السلام للحواريِّين : (أقول لكم الحقّ إنَّه لا يصعد إلى السماء إلّا ما ينزل منها)[٣] وقال جلَّ ثناؤه : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾[٤] .

أقول : قال الملّا أحمد اليزدي صاحب الحاشية هنا : المراد بالنُّفوس هاهنا هو العقول ، فإنَّ النَّفس بمعنى الذَّات قد تطلق عليه ، والمراد بالنُّفوس ثانياً هو ما هو المصطلح عليه .

وقوله : (فأنطقها بتوحيده) لعلَّ المراد بإنطاقها هو جعل وجودها بحيث تدلُّ على توحيده فتأمَّل . انتهى .

ولعلَّ مراده بالنُّفوس الأولى الذَّوات أو العقول أو الذَّوات هي العقول كما ذكره المحشّي ، وهذه الاحتمالات ممَّا تحتمله

(١) شرح أصول الكافي للمازندراني : ٦ / ٧٠، وبحار الأنوار : ٦ / ٢٤٩ .
(٢) في نسخة : متنعمة .
(٣) الاعتقادات للصدوق : ٤٧، والتوحيد : ٤٢٧ .
(٤) سورة الأعراف ، الآية : ١٧٦ .

عبارته لا ممَّا يريده ، لأنَّه إنَّما يريد ما قاله من قبله إن وقف عليه والَّذي يطابق ما في نفس الأمر ما ذكرناه مراراً مكرراً أنَّ أوَّل ما خلق بفعله نور محمَّد صلى الله عليه وآله كما دلَّت عليه الأخبار الكثيرة .

منها ما رواه فضل الله بن محمود الفارسي في كتابه رياض الجنان ، بسنده إلى جابر بن عبد الله قال : قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله : أوَّل شيء خلق(١) الله تعالى ما هو ؟

فقال : **(نور نبيّك يا جابر ، خلقه الله ، ثمَّ خلق منه كلّ خير ، ثمَّ أقامه بين يديه في مقام القرب ما شاء الله ، ثمَّ جعله أقساماً ، فخلق العرش من قسم ، والكرسي من قسم ، وحملة العرش وخزنة الكرسيّ من قسم ، وأقام القسم الرَّابع في مقام الحبّ ما شاء الله ، ثمَّ جعله أقساماً ، فخلق القلم من قسم ، واللَّوح من قسم ، والجنّة من قسم ، وأقام القسم الرَّابع في مقام الخوف ما شاء الله ، ثمَّ جعله أجزاءً ، فخلق الملائكة من جزء ، والشَّمس من جزء ، والقمر والكواكب من جزء ، وأقام الجزء الرَّابع في مقام الرَّجاء ما شاء الله ، ثمَّ جعله أجزاء ، فخلق العقل من جزء ، والعلم والحلم من جزء ، والعصمة والتَّوفيق من جزء ، وأقام القسم الرَّابع في مقام الحياء ما شاء الله ، ثمَّ نظر إليه بعين**

---

(١) في نسخة : خلقه .

الهيبة ، فرشَّح ذلك النُّور ، وقطرت منه مئة ألف وأربعة وعشرون ألف قطرة ، فخلق الله من كلّ قطرة روح نبي ورسول ، ثمَّ تنفَّست أرواح الأنبياء ، فخلق الله من أنفاسها أرواح الأولياء والشُّهداء والصَّالحين)[١] انتهى . وغير ذلك من الأخبار .

بيان المراد من النُّفوس الأُولى

والحاصل أنَّا إذا أردنا توفيق كلامه أو بيان ما هو الواقع من عبارته بتوجيهها وصرفها إلى النَّحو الحق قلنا : المراد بالنُّفوس الأُولى ذوات محمَّد وآله صلوات الله عليه وعليهم ، فإنَّها أوَّل ما خلق الله تعالى ، وهي الأرواح التي بها حياة نفوس ما سواهم ، ونُسمّيها أرواحاً باعتبار حياتها في ذاتها وإحيائها لما سواها بإذن الله تعالى ، ولا شكَّ أنَّ نفوسهم عليهم السلام أوَّل ما خلق الله تعالى .

وقوله صلى الله عليه وآله : **(إنَّ أوَّل ما أبدع الله ـ أي أوجده بإبداعه ـ الذي هو مشيئته النُّفوس المقدَّسة المطهَّرة)** أي النُّفوس التي هي محالّ مشيئة الله وهي حقائقهم عليهم السلام التي هي هياكل التَّوحيد ، لأنَّ حقيقة كلّ واحد منهم عليهم السلام هيكل

---

(١) بحار الأنوار : ١٥ / ٢٤ ح ٤٣ ، ومستدرك سفينة البحار : ٢ / ١٤ ، وينابيع المودة : ١ / ١٥ ـ ١٦ . اسلامبول الباب الثاني في شرف آباء النبي صلى الله عليه وآله .

التَّوحيد وحقيقة حدوده ، وذلك لأنَّ الهيكل هو الصّورة ، والصّورة هندسة وحدود مِثْلُ الإيمان بالله لا يشوبه احتمال ريب ، وذكر لله لا غفلة فيه ومراقبة لا التفات فيه ، وحضور لا غيبة فيه ، وتوجّه لا سهو فيه ، وأمثال هذه الحدود الماحضة ، فالصّورة المؤلفة من هذه الحدود وأمثالها هيكل التَّوحيد ، وأعلى هياكل التَّوحيد أربعة عشر هيكلاً ، ومعنى مقدَّسة مطهَّرة ، يعني منزَّهة مكرَّمة عن رذائل الإنيَّة والدَّعاوى .

وقوله : (فأنطقها بتوحيده) وذلك لمَّا أراد أن يعرفوه وصف نفسه لهم ، وجعل ذلك الوصف حقائقهم ، فذواتهم ذلك الوصف ، فأنطقهم بما عرَّفهم من أنفسهم .

قال عليه السلام : (**من عرف نفسه فقد عرف ربّه**)(١) .

واعلم أنَّه تعالى أظهر على ذواتهم وظواهرهم آثار وحدته ، فلذا تقول : (أَنا) لأنَّ صانعك واحد ، ولو كان صانعك اثنين لما قدرت أن تقول : (أنا) بل تقول لنفسك : (نحن) كما أنَّك ترى ظلّك عن مصباح واحد واحداً ، وعن مصباحين اثنين ، فتكون أنت اثنين ، ولو كان صانعك ثلاثة كنت ثلاثة لأنَّك أثر ثلاثة

---

(١) شرح أصول الكافي : ٣/ ٢٣، وعوالي اللآلي : ١/ ٥٤، وبحار الأنوار : ٢/ ٣٢، ومصباح الشريعة : ١٣، والصراط المستقيم : ١/ ١٥٦، وتفسير الميزان : ٦/ ١٧١ ـ ١٧٢ مورد الآية ١٠٥ من المائدة ـ البحث الروائي .

مؤثّرين بثلاث حركات ، كما ترى ظلّك عن ثلاثة مصابيح ثلاثة أظلّة ، لأنَّها أثر ثلاثة مؤثّرات .

وإلى هذه الدَّلالة أشار الصَّادق عليه السلام في قوله :

فَيَا عَجَباً كَيفَ يُعصَى الإلهُ   أَم كَيفَ يَجحَدُهُ الجَاحِدُ
وَفِي كُلِّ شَيء لَهُ آيَةٌ   تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ[1]

وقوله : (واعتقادنا أنَّها خلقت للبقاء ولم تخلق للفناء) يرد عليه اعتراض لا يكاد يحلّه على الحقيقة إلّا المعصومون عليهم السلام ، أو يكون بنورهم وتعليمهم ، وأمَّا توجيه كثير من العلماء لدفع الاعتراض فليس دافعاً[2] له ، وإنَّما يأتون بمقدّمات إقناعية أكثرهم ينقطع عندها وقلبه غير قابل لها إلّا أنَّها مبلغهم من العلم .

والإشارة إلى الاعتراض هي أنَّه قد اتفق الكلّ من الحكماء والعقلاء على قاعدتين :

الأُولى أنَّ كلّ ما سبقه العدم لحقه العدم .

والثَّانية أنَّ كلّ ما له أوَّل فله آخر ، ومقتضى هاتين القاعدتين أنَّ الأشياء ـ أعني ما سوى الله ـ إمَّا أن تكون قديمةً ليس لها أوَّل ، أو لم يسبقها العدم فتكون باقية ، وإمَّا أن يكون لها أوَّل أو سبقها العدم فتكون فانيةً ، وقولي : (أو) في الصورتين لتقسيم التَّعبير .

---

(١) دلائل الإمامة للطبري : ٨، ونور البراهين : ١ / ٣٥ .
(٢) في نسخة : رافعاً .

وجواب السيِّد الدَّاماد بأنَّ لها أوَّل وسبقها العدم ، ومع هذا لا يلحقها العدم لإبقاء الله لها ، فهي باقية ببقاء الله ليس عن دليل ، وإنَّما حكم بالبقاء بظاهر إجماع المسلمين .

وبحثنا ليس مبنيًّا على النَّقل وإنَّما هو مبنيّ على الأدَّلة العقليَّة ، إمَّا من دليل الفؤاد ـ أعني دليل الحكمة ـ وهو أعلاها ، وهو دليل الأنبياء والأولياء عليهم السلام ، أو من دليل العقل ، أعني دليل اليقين المسمَّى بدليل الموعظة الحسنة وهو دليل المتَّقين والصَّالحين ، أو من دليل العلم ، أعني دليل المجَادلة بالَّتي هي أحسن ، وهو أدناها ، وهو دليل العلماء .

والحاصل : إنَّ الباحثين في هذه المسألة تشتَّتت أنظارهم ، واختلفت أقوالهم ، فمن النَّاس من قال بقدم العالم ، ومنهم من قال بقدم النُّفوس المجرّدة ، ومنهم من قال بحدوث الأشياء عن غير بصيرة ، وإنَّما معوّله على النَّقل ، وهو وإن كان مصيباً في القول ، إلّا أنه غير عارف بالدَّليل ، حتَّى إنَّ من هؤلاء من يستدل على الحدوث ونفسه لا تسكن لدليله إلّا من جهة التَّسليم للنَّقل ، فكلّ ما لا يخالف النَّقل يقول به ، مع أنَّه قد يعتقد ما ينافي اعتقاده ، فيقول مثلاً : إنَّ العالم بجميع جزئياته وكلياته حادث مسبوق بالعدم وإنَّ الجنَّة وأهلها والنَّار وأهلها باقون بغير فناء يلحقهم ولا انقطاع أبداً ، ويعتقد مع هذا صحَّة القاعدتين

المذكورتين ، وأنت خبير بأنَّ مقتضاهما ، إمَّا قدم ما سوى الله تعالى ، وإمَّا فناء ما سوى الله تعالى وانقطاعه .

واعلم أنّي أُفيدك بياناً لا تَجِدُ رافِعاً لذلك الاعتراض ولا كاشِفاً لهذه الشُّبهة على الحقيقة غَيْرَهُ إنْ وُفِّقتَ لفهمه ، وهو أنَّ كلّ ما سوى الله تعالى فهو حادث بمعنى أنَّه مسبوق بالغير ، وأنَّ كلّ مسبوق بالغير فهو حادث .

وإذا قلت : إنَّ الحادث هو المسبوق بالعدم .

قلنا لك : إنَّ العدمَ ليس شيئاً يسبق ، وإنَّما معناه أنَّه كان عدماً في رتبة من فوقه ، وعلى كلِّ تقدير فله ابتداء ، وعلى القاعدة السَّابقة يجب أن يكون له انتهاءً ، لكن الانتهاء في العود لا يكون أعلى من الابتداء في النّزول ولا أنزل منه ، بل يجب أن يكون مساوياً له في الرّتبة ، ولما كان المحدث محتاجاً في بقائه إلى المدد كما هو مبرهن عليه ، وجب أن يمدَّه صانعه عزَّ وجلَّ بما به بقاؤه ، وهذا المدد وإن كان بحسب قابليته من أعماله الصَّالحة أو الطَّالحة إلّا أنَّه يكون ممَّا لم يصل إليه ، لأنَّ المدد جديد ، فيكون أعلى رتبة ممَّا وصل إليه قبل ، سواء كان من الخير أم من الشرّ ، وهذا المدد يجب أن يكون ممَّا له من نوع مادته وصورته ، فإذا وصل إليه المدد الذي كانت رتبته أعلى من ابتداء ما خلق منه ، كانت رتبة هذا الواصل الجديد رتبة لابتداء

الموصول ، فتكون أوّليّته به فوق أوّليّته بما قبله ، ويكون انتهاؤه به بعد انتهائه بما قبله ، فإذا أمدَّه بمدد آخَر بحسب أعماله واستعداده كان هذا المدد الثَّاني من فوق الأوَّل رتبة ، فيكون الممدود بالثَّاني أعلى أوَّليَّةً من أوَّليته بالأوَّل وانتهاؤه بالثَّاني بعد انتهائه بالأوَّل بأن يصل إلى وقت لولا المدد الثَّاني لفني قبله ، لأنَّ ابتداء المدد الثَّاني قبل ابتداء المدد الأوَّل ، وهكذا بلا نهاية في رتبة الإمكان .

ومثاله لو بنيت جداراً طوله عشرة أذرع كان ظلّه مثلاً منتهياً إلى عشرة أذرع ، لأنَّ انتهاء طول ظلّه بحسب علوّ رأس الجدار ، فإذا بنيت عليه عشرة أذرع مثلاً حتَّى كان علوّ الجدار عشرين ذراعاً كان رأسه الأوَّل الذي هو أعلاه في وسطه ، وكان ظلّه عشرين ذراعاً ، فكان انتهاء الظّلّ بحسب ابتدائه من رأس الجدار وهكذا ، فالمدد لا ينقطع عن الحادث ، والحادث بالمدد المتجدّد مختلف الابتداء ، ففي كلّ مدد متجدّد يسبق ابتداؤه به ابتداءه بالمدد الأوَّل ، ويتأخر انتهاؤه بالثَّاني عن انتهائه بالأوَّل ، فالحادث لا ينتهي ابتداؤه بهذا المعنى ، أي بتجدُّد الإمدادات ، فكلّ ما وصل إليه مدد من مقام عال خلق به الممدود من مقام ذلك المدد ، والانتهاء بنسبة علوّ الابتداء ، ولا انقطاع للمدد ولا الابتداء ، فلا انقطاع ولا نهاية للانتهاء فافهم .

فإن قلتَ : كيف يخلق من المدد الجديد وهو مخلوق قبله ؟

قلت : إنَّه يكسر ويصاغ بالمدد في رتبته .

ومثاله إذا كان عندك خاتم صغته من مثقال فضَّة ، ثمَّ أردت أن تمدّده وتقوّيه بمثقال آخر ، كسرته وصغته من المثقال الأوَّل ومن المثقال الثَّاني ، فكان خاتمك ليس من مثقال وهي الرُّتبة الأقليَّة السُّفلى ، بل هو من مثقالين ، وهي الرُّتبة الأكثريَّة العليا .

وكذلك الدَّراهم فإنَّ العشرة الدَّراهم إذا أنفقتها(١) في شؤونك مثلاً تنتهي في يومين ولو زِدْتَها حتَّى كانت عشرين تنتهي في أربعة أيَّام ، لأنَّها عشرون لا عشرة ، فتأخر حينئذ وقت الانتهاء .

وهكذا إذا جعلتها مئة ، وإذا كنت دائماً تنفق منها وتزيدها لا تفنى ما دمت(٢) تزيدها لأنَّها هي الكثيرة(٣) اللَّاحقة لا القليلة الأولى فافهم .

فإن قلتَ : إنَّ الزِّيادة للحادث إنَّما هي في طرف الرُّجوع والعود ، وهذا يلائم قول الدَّاماد رحمه الله ، وأنت لم ترض بقوله .

قلتُ : إنَّه يرى أنَّ المدد للبقاء لم يكن ابتداؤه ابتداء للممدود بل الممدود منقطع الابتداء غير منقطع الانتهاء ، وهذا ممَّا ينافي

---

(١) في نسخة : أنقصتها .
(٢) في نسخة : دامت .
(٣) في نسخة : الكثرة .

مقتضى القاعدتين الصحيحتين المتفق عليهما اللَّتين شهدت لهما الأخبار واتفقت عليهما العقول .

ونحن نقول : إنَّ ابتداء هذا المدد الجديد ابتداء للممدود ، فإذا أردت تصوُّره فانظر إلى مثل الخاتم ، فإنَّ بقاءه بالمثقالين إنَّما كان أطول من بقائه بالمثقال ، لأنَّ بقاءه بالمثقالين من علوّ رتبتهما وأكثريّتهما ، لا مِنْ دنوّ المثقال وأقلّيّته ، وكذلك مثل الجدار والدَّراهم ، وهو قوله صلى الله عليه وآله : (**وإنَّما تنقلون من دار إلى دار**)(١) .

وهو كما قال صلَّى الله عليه وآله الطَّاهرين لأنَّهم أنزلهم الله في أطوارهم بحكيم صنعه وتقديره في مراتب الإدبار من المعاني العقليَّة ، إلى جواهر الأظلَّة الرُّوحيَّة ، إلى الصور الجوهرية ، إلى الطِّيَن الطَّبيعيَّة ـ بفتح ياء الطين ـ جمع طينة ، إلى الجواهر الهبائيَّة ، إلى الأشباح المثاليَّة ، إلى الموادّ العنصريَّة .

ثمَّ دعاهم بحكيم صنعه وتقديره إليه في مراتب الإقبال من لطائف الأغذية ، إلى النطف ، إلى العلق ، إلى المضغ ، إلى العظام ، إلى الاكتساء لحماً ، إلى تمام الخلقة بنفخ الرّوح ، فالتَقوا بأشباحهم إلى القبور ، فالتقوا بجواهر هبائهم إلى ما بين النَّفختين ، وهو مدَّة أربع مئة سنة ، فالتقوا بالطِّيَن الطَّبيعيَّة ـ بفتح ياء الطِّين ـ

---

(١) المصدر السابق .

لأنَّهم بقُوا في البدء فيها أربع مئة سنة ، فمكثوا في العود كذلك ، وهو ما بين النَّفختين نفخة الصَّعق ونفخة البعث[١] ، فإذا هم قيام ينظرون إلى البعث والحشر والنَّشر ، فالتقوا بذرّهم حين قال لهم : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ﴾[٢] في مدَّة خمسين ألف سنة إلى الجنَّة ومقام الرَّفرف الأخضر ، فالتقوا بنفوسهم في اللَّوح المحفوظ إلى أرض الزَّعفران ، فالتقوا بجواهرهم الأظلّة الرُّوحيَّة إلى مقام الأعراف ، فالتقوا بمعانيهم العقليَّة إلى مقام الرِّضوان ، فالتقوا بأفئدتهم النُّوريَّة .

---

(١) عن ثوير بن أبي فاختة ، عن علي بن الحسين عليهما السلام قال : سئل عن النفختين كم بينهما ؟

قال : (ما شاء الله ، فقيل له : فأخبرني يابن رسول الله كيف ينفخ فيه ؟ فقال : أما النفخة الأولى فإن الله يأمر إسرافيل فيهبط إلى الدنيا ومعه صور ، وللصور رأس واحد وطرفان ، وبين طرف كل رأس منهما ما بين السماء والأرض ، قال : فإذا رأت الملائكة إسرافيل وقد هبط إلى الدنيا ومعه الصور قالوا : قد أذن الله في موت أهل الأرض وفي موت أهل السماء ، قال : فيهبط إسرافيل بحظيرة بيت المقدس ويستقبل الكعبة ، فإذا رأوا أهل الأرض قالوا : أذن الله في موت أهل الأرض ، قال : فينفخ فيه نفخة فيخرج الصوت من الطرف الذي يلي الأرض فلا يبقى في الأرض ذو روح إلا صعق ومات ، ويخرج الصوت من إسرافيل ، قال : فيقول الله لإسرافيل : يا إسرافيل مت ، فيموت إسرافيل . . .) والحديث طويل ، انظر تفسير القمي : ٢ / ٢٥٢ ـ ٢٥٣، وبحار الأنوار للمجلسي : ٦ / ٣٢٥ ح ٢، وتفسير نور الثقلين للحويزي : ٤ / ٥٠٢ ح ١٦ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ١٧٢ .

ولا يزالون في هذا المقام يسيرون بلا غاية ولا نهاية يمدُّون في درجات هذا المقام غير المتناهية بمحبَّة الله ورضوانه كما قال تعالى في حديث الأسرار : **(كُلَّما وضعت لهم علماً رفعت لهم حلماً ، وليس لمحبتي غاية ولا نهاية)**[١] .

بيان معنى غرابة الأرواح في الدُّنيا

وقوله : (وإنَّ الأرواح في الدُّنيا غريبة) يعني أنَّ محلّها في العالم الأعلى ، فأُنزلت في دار التكليف وسجنت في الأبدان في هذه البلدة الخراب ، تلفح عليها الرِّياح الأربع : الجنوب من الكبد ، والصّبا من الرئة ، والشّمال من الطّحال ، والدّبور من المرَّة الصَّفراء ، يعوي حوله الذئب ـ أي الغضب ـ والخنزير ـ أي الشَّهوة ـ ولقد أجاد ابن سينا[٢] في أبياته في الرُّوح التي أوَّلها :

---

(١) الجواهر السنية للحر العاملي : ١٩١، وسرّ الأسرار في شرح حديث المعراج : ١ / ١٢ الفصل الثاني .
ونصّ الحديث : (**يا أحمد (وجبت محبتي للمتحابين فيّ) ، ووجبت محبتي للمتقاطعين فيّ ، ووجبت محبتي للمتواصلين فيّ ، ووجبت محبتي للمتوكلين عليّ ، وليس لمحبتي غاية ولا نهاية كلما رفعت لهم علماً وضعت لهم حلماً ، أولئك الذين نظروا إلى المخلوقين بنظري إليهم ولا يرفعون الحوائج إلى الخلق بطونهم خفيفة من أكل الحلال يغنيهم من الدعاء ذكري ومحبتي ورضائي عنهم**) .

(٢) هو الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا البلخي ، ثم البخاري ، ويلقب بالشيخ الرئيس (أبو علي) فيلسوف ، طبيب ، شاعر ، مشارك في أنواع من العلوم . =

هَبَطتُ إلَيكَ مِن المَحَلِ الأَرفَعِ وَرقَاءَ ذَاتِ تَعَزُّزٍ وَتَمَنُّعِ(١)

إلى آخرها ، وهي مشهورة ، وقد اشتملت على مطالب جليلة ، وإنَّما أنزلها الله سبحانه في هذه الدُّنيا النَّكدة ، ووضعها في هذا القفص الضيق لأجل التَّكليف لأنَّه أراد أن يرفعها إلى منازل قربه ، وكانت بعيدة غير متناهية ، فأمرها بأخذ المتاع لسفرها إليه ، ولتكثر من الزَّاد فإنَّ السفر طويل والطَّريق بعيد إلى الغاية البعيدة القصوى ، ولتعلم ما جهلته من العلوم والعقائد كما أشار إليه ابن سينا في الأبيات المشار إليها في قوله :

إن كَانَ أَهبَطَهَا الإِلَهُ لِحِكمَة طُوِيَت عَن الفَطْنِ اللَّبِيبِ الأروَعِ
فَهُبُوطُهَا لا شَكَّ ضَربَةُ لازِب لِتَكُونَ سَامِعَةً بِمَا لَم يُسمَعِ
وَتَكُونَ عَالِمَةً بِكُلِّ خَفِيَّة فِي العَالَمِينَ فَخَرقُهَا لَم يُرقَعِ(٢)

ولإنْزالِها في هذا السِّجن سرٌّ آخر أشاروا عليهم السلام إليه

= ولد بخرميشن من قرى بخارى في صفر (٣٧٠ هـ ـ ٩٨٠ م) ، وتوفي بهمذان في رمضان سنة ٤٢٨ هـ ـ ١٠٣٧ م) .
وفي الكامل لابن الأثير : مات بأصبهان في شعبان .
من تصانيفه الكثيرة : القانون في الطب ، تقاسيم الحكمة ، لسان العرب في اللغة ، الموجز الكبير في المنطق ، وديوان شعر .
انظر معجم المؤلفين لعمر كحالة : ٤ / ١٩ ، الكامل في التاريخ لابن الأثير : ٩ / ١٥٧ .

(١) وفيات الأعيان : ٢ / ١٦٠ .
(٢) الوافي بالوفيات : ١٢ / ٢٥٢ .

في أخبارهم بما معناه أنَّها لما كانت في العالم الفسيح انبسطت في نفسها لما وجدت في ذاتها من القوَّة فأُلقيت في هذا السِّجن لئلّا تدَّعي الرُّبوبيَّة .

وقد أشار الحكماء الأوَّلون الإلهيُّون إلى هذا المعنى برموزهم ، فقالوا ما معناه : إنَّها عصت فسقط ريشها ، فوقعت إلى الأرض .

وأصل ذلك أنَّ آدم عليه السلام أكل من الشَّجرة ، فنزِع منه لباس الجنَّة ، فأهبط إلى الأرض ، والمعنى في الكلّ واحد وإن اختلفت العبارات :

عِبَارَاتُنَا شَتَّى وَحُسنُكَ ظَاهِرُ وَكلٌّ إِلَى ذَاك الجَمَالُ يُشِيرُ[1]

وقوله : (فهي باقية ، فمنها منعَّمة ومنها معذَّبة إلى أن يردَّها عزَّ وجلَّ إلى أبدانها) اعلم أنَّه إذا حضر ملك الموت الشَّخص فإن كان مؤمناً حضره النَّبيّ وعليّ والأئمَّة صلَّى الله عليه وعليهم وأوصوا به ملك الموت فاستوصى به ، فيظهر له في أحسن صورة وهي ما يكسوه الولي عليه السلام للقائه محبّه فيقبض روحه باختياره ، فتخرّ الرّوح ساجدة تحت العرش بين يدي الله سبحانه ، ثمَّ يكسُوها حلَّة صفراء من الرُّكن الأيمن الأسفل من عرشه ، ثمَّ تهبط إلى جنازته ، فتكون معه .

---

(١) مكيال المكارم : ١ / ٢٩٥، والمبدأ والمعاد : ١٧٥ .

فإذا غسّل وكفّن وحمل إلى قبره سارت معه ترفرف على جنازته ، أو تمشي أمامها على اختلاف الرِّوايتين ، فإذا شرج عليه اللبن أتاه رومان فتَّان القبور ، وكتب الميِّت أعماله في قطعة من كفنه بإملاء رومان ويجعلها على عنقه ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ ﴾ أي كتابه ﴿ فِى عُنُقِهِۦ ﴾[(١)] ثمَّ يأتيه منكر ونكير ويسألانه ، فإذا أجاب بَشَّراه بالخير ، ثمَّ يخدّ له خدّ من الجنَّة التي في المغرب المدهامَّتان إلى قبره ، يأتيه من الرَّوح ـ بفتح الراء ـ وتروح روحه مع الملك إلى الجنَّة ، وتجتمع بأرواح أسلافه يأكلون ويشربون ويتنعَّمون ، فإذا كان يوم الجمعة أو العيد أتاهم الملك عند طلوع الفجر بنجائب من نور ، عليها قباب الياقوت والزّبرجد ، فيركبون وتطير[(٢)] بهم بين السَّماء والأرض ، فيأتون النجف الأشرف فيبقون إلى الزّوال ، ثم يستأذنون الملك في زيارة أهاليهم في الدُّنيا وقبورهم ، فيأذن لهم فيأتون أهاليهم ومعهم ملائكة يحجبون عن أبصارهم كلّ ما يكرهون من أهاليهم ، ثمَّ يزورون مواضع حفرهم ، فإذا كان ظلّ كلّ شيء مثله صاح بهم الملك فيركبون ، فتطير بهم إلى غرف الجنان .

وإن كان الشَّخص منافقاً ، حضروه عليهم السلام وأوصوا

(١) سورة الإسراء ، الآية : ١٣ .

(٢) في نسخة : يطير .

ملك الموت ، بأن يشدد عليه ، فيستوصي بذلك ، فيقبض روحه وينزعها غرقاً ، وينشطها نشطاً ، فإذا كان في قبره أتاه رومان وكتب أعماله ، ثمَّ أتاه منكر ونكير وسَأَلاهُ فلم يجب ، فيضربانه بمرزبَّة من حديد محميَّة في النَّار - أعوذ بالله من سخط الله - ثمَّ يخدّ له خدّ من النَّار التي في المشرق عند مطلع الشَّمس إلى قبره ، يأتيه منها الدُّخان والشَّرر ، ويمضي الملك بروحه إلى النَّار التي في المشرق ، يعرضون عليها غدوًّا وعشيًّا ، فإذا غربت الشَّمس أُتي بها إلى بئر برهوت بوادي حضرموت يعذّب فيها إلى طلوع الشَّمس ، فيؤتى به إليها وإلى النَّار وهكذا .

ويعجبني أن أورد حديثاً يناسب المقام لما فيه من ذكر هذين الصنفين ، أرويه بطرقي عن مشايخي المتَّصلة إلى ابن أبي عمير ، عن زيد النّرسيّ ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : سمعته يقول : (**إذا كان يوم الجمعة ويومي العيدين ، أمر الله رضوان خازن الجنان أن ينادي في أرواح المؤمنين وهم في عرصات[(١)] الجنان أنَّ الله قد أذن لكم بالزِّيارة إلى أهاليكم وأحبابكم من أهل الدُّنيا ، ثمَّ يأمر الله رضوان أن يأتي لكلّ روح بناقة من نوق الجنَّة عليها قبَّة من زبرجدة خضراء ، غشاؤها من ياقوتة رطبة صفراء ، وعلى النُّوق جلال وبراقع من سندس الجنان وإستبرقها ، فيركبون**

---

(١) في نسخة : غرفات .

تلك النُّوق عليهم حلل الجنان(١) متوَّجون بتيجان اللؤلؤ الرطب يضيء كما تضيء الكواكب الدّرّيَّة في جوِّ السَّماء ، من قرب النَّار إليها لا من البعد ، فيجتمعون في العرصة ، ثمَّ يأمر الله جبرائيل في أهل السَّماوات أن يستقبلوهم ، فتستقبلهم ملائكة كلّ سماء ، وتشيّعهم ملائكة كلّ سماء إلى السَّماء الأُخرى ، فينزلون بوادي السَّلام ، وهو واد بظهر الكوفة ، ثمَّ يتفرَّقون في البلدان والأمصار حتَّى يزوروا أهاليهم الَّذين كانوا معهم في دار الدُّنيا ، ومعهم ملائكة يصرفون وجوههم عمَّا يكرهون النَّظر إليه إلى ما يحبّون ، ويزورون حفر الأبدان ، حتَّى إذا ما صلَّى النَّاس وراح أهل الدُّنيا إلى منازلهم من مصلَّاهم ، نادى فيهم جبرائيل بالرَّحيل إلى غرفات الجنان ، فيرحلون) .

قال : فبكى رجل في المجلس وقال : جعلت فداك ، هذا للمؤمن فما حال الكافر ؟

فقال أبو عبد الله عليه السلام : (أبدان ملعونة تحت الثَّرى في بقاع النَّار ، وأرواح خبيثة تجري بوادي برهوت في بئر الكبريت في مركبات خبيثات ملعونات ، تؤدِّي ذلك الفزع والأهوال إلى الأبدان الملعونة الخبيثة تحت الثَّرى في بقاء النَّار ، فهي بمنزلة النائم إذا رأى الأهوال ، فلا تزال تلك الأبدان فزعة

(١) في نسخة أخرى زيادة : متوجهون .

ذعرة ، وتلك الأرواح معذَّبة بأنواع العذاب في أنواع المركبات المسخوطات الملعونات المضعفات مسجونات فيها ، لا ترى روحاً ولا راحة إلى مبعث قائمنا ، فيحشرها الله من تلك المركبات ، فتردّ في الأبدان ، وذلك عند النَّشرات ، فتضرب أعناقهم ، ثمَّ تصير إلى النَّار أبد الآبدين ودهر الدَّاهرين)(١) انتهى .

أقول : قد ذكرت بعض أحوال الفريقين على الاقتصار ، وفي هذا الحديث الشَّريف ذكر عليه السلام بعض الأسرار التي خفيت على أكثر البصائر والأبصار ، ولولا أنّي لستُ بصدد بيانها لأطلقت عنان القلم في ميدان البيان ، حتَّى يقف النَّاظر على ما لم تسمعه الآذان .

وأمَّا من ليس بمؤمن ولا كافر وهم الَّذين لم يمحضوا الإيمان ولا الكفر والنِّفاق ، فتبقى أرواحهم في قبورهم إلى يوم القيامة ولا يسألون في قبورهم يُلهى عنهم(٢) ، فإذا كان يوم القيامة جدَّد

---

(١) بحار الأنوار : ٦ / ٢٩٢ ـ ٢٩٣، وج ٨٦ / ٢٨٥ .

(٢) عن أبي بكر الحضرمي ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : (**لا يُسأل في القبر إلّا من محَضَ الإيمان محضاً أو محَضَ الكفر محضاً ، ولا ينال الرجعة إلّا من محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً**) .
قلت له : فسائر الناس ؟
فقال عليه السلام : (**يلهى عنه**) بحار الأنوار : ٦ / ٢٣٥ ح ٥٢، والرجعة : ٤٨ ح ٢١، والإيقاظ من الهجعة : ٢٧٥ ح ٨٥ .

لهم التَّكليف وحوسبُوا على أعمالهم ، فإمَّا إلى الجنَّة وإمَّا إلى النَّار .

وقوله : (وقال عيسى ابن مريم عليه السلام) إلخ . يعني أنَّه لا يصعد إلى السَّماء بمقتضى طبيعته إلّا ما نزل منها ، أمَّا صعود ما لم ينزل من السَّماء إليها بقاسر أو معين متمّم ، فإنَّه ممكن ، فعلى ظاهر الحال الأرواح والنُّفوس نزلت من السَّماء فتصعد إلى السَّماء إذا فارقت الأبدان لأنَّها تأوي إلى الجنَّة التي في المغرب المدهامَّتان وهي الآن في الإقليم الثَّامن وأسفله على محدّب محدَّد الجهات في الرتبة إذ لا جهة وراءه .

وأمَّا الأبدان فإنَّها باقية في الأرض لأنَّها خلقت منها وإليها تعود .

هذا ظاهر الحال وأمَّا في حقيقة الأمر فكلّ شيء أنزله الله سبحانه من سماء ذلك الشَّيء إلى أرضه قال تعالى : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾(١) والتنزيل الإظهار ، فإنَّ الغيب أعلى ، والشَّهادة سواء في طرف الخيرات أم في طرف الشّرور في كلّ شيء بحسبه ، فعلى هذا إذا طال مكثها في الأرض صعد جسدها الثَّاني إلى جابرسا أو جابلقا(٢) ،

(١) سورة الحجر ، الآية : ٢١ .

(٢) قال أمير المؤمنين في حديث طويل فيه تعداد خلق الله تعالى : (. . . ثم أراد =

وأنفسها النَّباتيَّة إلى عناصرها ، والحيوانيَّة إلى هورقليا(١) ،

= الله أن يفرقهم فرقتين فجعل فرقة عند مطلع الشمس من وراء البحر وكوّن لهم مدينة أنشأها تسمى جابرسا طولها اثنا عشر ألف فرسخ في اثني عشر ألف فرسخ وكوّن عليها سوراً من حديد يقطع الأرض إلى السماء ثم أسكنهم فيها . وأسكن الفرقة الأخرى خلف مغرب الشمس من وراء البحر وكوّن لهم مدينة أنشأها تسمى جابلقا طولها اثنا عشر ألف فرسخ في اثني عشر ألف فرسخ ، وكوّن لهم سوراً من حديد يقطع الأرض إلى السماء . وأسكن الفرقة الأخرى فيها لا يعلم أهل جابرسا بموضع أهل جابلقا ، ولا يعلم أهل جابلقا بموضع أهل جابرسا ، ولا يعلم بهم أوساط الأرضين من الجن والنسناس . فكانت الشمس تطلع على أهل أوساط الأرضين من الجن والنسناس فينتفعون بحرّها ويستضيئون بنورها ، ثم تغرب في عين حمئة فلا يعلم بها أهل جابلقا إذا غربت ، ولا يعلم بها أهل جابرسا إذا طلعت لأنها تطلع من دون جابرسا وتغرب من دون جابلقا) .

فقيل : يا أمير المؤمنين فكيف يبصرون ويحيون وكيف يأكلون ويشربون وليس تطلع الشمس عليهم ؟ .

فقال عليه السلام : (إنهم يستضيئون بنور الله فهم في أشد ضوء من نور الشمس ، ولا يرون أنّ الله خلق شمساً ، ولا قمراً ولا نجوماً ، ولا كواكب ، ولا يعرفون شيئاً غيره) .

فقيل : يا أمير المؤمنين فأين إبليس عنهم ؟

قال : (لا يعرفون إبليس ، ولا سمعوا بذكره لا يعرفون إلّا الله وحده لا شريك له لم يكتسب أحد منهم قط خطيئة ولم يقترف إثماً لا يسقمون ، ولا يهرمون ، ولا يموتون إلى يوم القيامة يعبدون الله لا يفترون الليل والنهار عندهم سواء) بحار الأنوار : ٥٤ / ٣٢٢، وقصص الأنبياء : ٣٩ .

(١) قال المصنف في الجزء الأول من شرح العرشية : (وجسم برزخي : وهو جسم مقداري له طول وعرض وعمق بلا مادة هو الجسم المثالي الظلّي الشبحي ،=

وجسدها الأوَّل إلى هذه العناصر المحسوسة ، فلا تدركها أبصار أهل الدُّنيا ، وأهل العصمة عليهم السلام أبصارهم تدركها على ما ذكرناه في جواب مسألة أجساد الأئمَّة عليهم السلام ، ورد أنَّها لا تبقى في حفرها أكثر من ثلاثة أيَّام ، وكذلك أجساد الأنبياء عليهم السلام ، أو أكثر من أربعين يوماً على اختلاف الرِّوايتين لاختلاف مراتبهم في الشَّرف ، ثمَّ ترفع إلى السَّماء ؛ من أنَّ رفعها عبارة عن خلعها الصّور البشريَّة ، وأنَّها باقية في حفرها إلى يوم يبعثون منها .

وقوله : (وقال جلَّ ثناؤه : ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾)[1] يعني ولو شئنا أن نرفعه بالآيات التي آتيناه بأن نحفظها عليه فلا ينسلخ منها أو نرفعه بالتَّفضّل أو العفو ،

= وهو الذي يسمونه التعليمي ، وهو الذي يسمون عالمه العلوي بـ (هورقليا) ، يعني ملكاً آخر وعالمه السفلي بجابلقا وجابرسا الشرقية والغربية) انتهى .
وقال في الجزء الثاني من شرح العرشية : وقوله : (بل وجودها) ، يعني القوة الخيالية (في عالم آخر) ، وهو عالم البرزخ بين المجردات والأجسام المادية (يحذو حذو هذا العالم) ، يعني على هيئة تركيبه من الأبعاد والألوان والروائح والأصوات وسائر الكيفيات (في كونه مشتملاً على أفلاك) ، وتسمى تلك الأفلاك هورقليا يعني ملكاً آخر أي : عالم ملك غير عالم ملك الماديات العنصرية) انتهى .
وقيل : عالم هورقليا هو عالم الأفلاك المثالي أو سماواته ، وقيل : هو ما يقابل عالم المثال ، انظر المبدأ والمعاد للشيرازي : ٥٢٢ .

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٧٦ .

ولكنَّه لما قصد إلى العلوّ نظراً إلى إنيّته فانحطَّ بذلك الميل إلى أسفل واتّبع هواه فاتّخذ إلهه هواه وأضلّه الله على علم .

وذلك لأنَّه خلق من سجِّين وأصابه لطخ من عليين ، فتعلَّق به ، فآتاه الله بعض آياته بواسطة ذلك اللَّطخ ، فلمَّا انتهت مدَّة تعلق اللَّطخ انسلخ منه ، فانسلخ هو من الآيات بانسلاخه من اللَّطخ .

يشير بهذا الاستشهاد إلى ارتفاع الأرواح العلويَّة وانحطاط الأرواح السُّفليَّة كلٌّ لاحقٌ بمركزه قال الله تعالى : ﴿ وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ﴾(١) فالمؤمن راجع إلى الله من حيث يحبّ ، والمنافق راجع إلى الله من حيث يكره .

أقسام الروح

قال : وقال أيضاً قدّس سرّه في كتاب التَّوحيد ناقلاً بسنده المتّصل عن أبي عبد الله عليه السلام : (إنَّ روح المؤمن لأشدَّ اتصالاً بروح الله من اتِّصال شعاع الشَّمس بها)(٢) .

أقول : المراد بروح الله الرّوح الكلّيَّة التي خلقت من شعاعها البرَّاق ، والرّوح الكلّيَّة هي الرُّكن الأيمن الأسفل من العرش ، وهو

(١) سورة الأنبياء ، الآية : ٩٣ .
(٢) الكافي : ٢ / ١٦٦ ح ٤ ، والاختصاص للمفيد : ٣٢ .

النُّور الأصفر الذي اصفرت منه الصّفرة(١) ، وهو ملك يؤدِّي إلى إسرافيل أحكام الحياة ، وهو روح محمَّد وآله(٢) الطَّاهرين صلى الله عليه وآله وهو الرّوح من أمر الله ، والرّوح من أمر الرَّبّ .

إطلاقات الروح على الملائكة

والرّوح يطلق على أربعة ملائكة :

الأوّل : الرّوح من أمر الله ، وهو النُّور الأبيض ، وهو العقل الكلّي ، وهو الرُّكن الأيمن الأعلى من العرش ، وهو القلم .

---

(١) قال الإمام زين العابدين عليه السلام : (وأمّا ما سأل عنه من العرش فإنّ الله عزّ وجل خلقه أرباعاً لم يخلق قبله إلّا ثلاثة أشياء : الهواء والقلم والنّور ، ثم خلقه من أنوار مختلفة فمن ذلك النّور نور أخضر اخضرّت منه الخضرة ، ونور أصفر اصفرّت منه الصّفرة ، ونور أحمر احمرّت منه الحمرة ، ونور أبيض وهو نور الأنوار ومنه ضوء النّهار ، ثم جعله سبعين ألف طبق غِلْظ كلّ طبق كأول العرش إلى أسفل السّافلين ، ليس من ذلك طبق إلّا يسبّح بحمد ربّه ويقدّسه ، بأصوات مختلفة وألسنة غير مشتبهة ، ولو أُذِن للسان منها فأسمع شيئاً مما تحته لهدم الجبال والمدائن والحصون ولخسف البحار ولأهلك ما دونه ، له ثمانية أركان على كلّ ركن منها من الملائكة ما لا يُحصي عددهم إلّا الله عزّ وجل ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٠] ولو حسّ شيئاً مما فوقه ما قام لذلك طرفةَ عين ، بينه وبين الإحساس الجبروت والكبرياء والعظمة والقدس والرّحمة والعلم ، وليس وراء هذا مقال) التوحيد : ٣٢٦ باب ٥١ (أن العرش خلق أرباعاً) ح ١ ، وبحار الأنوار : ٢٤ / ٣٧٤ـ٣٧٦ ح ١٠٣ .

(٢) في نسخة : وأهل بيته .

والثّاني : الرّوح من الرَّبّ المشار إليه أوّلاً ، وهو الرُّكن الأيمن الأسفل من العرش ، وربَّما أُطلق أحدهما على الآخر ، والثّالث والرابع الروحان اللّذان على ملائكة الحجب ، أعني الكروبيّين .

الثالث : هو الرُّكن الأيسر الأعلى من العرش ، وهو النُّور الأخضر الذي اخضرَّت منه الخضرة ، وهو ملك يؤدِّي إلى عزرائيل ، أو أنَّه يؤدِّي إلى ميكائيل ، أو هو اللَّوح المحفوظ .

والرَّابع : الرُّكن الأسفل الأيسر من العرش ، وهو النُّور الأحمر الذي احمرَّت منه الحمرة .

فهذان يطلق على كلٍّ منهما الرّوح ، وعلى كلٍّ منهما القائم على ملائكة الحجب ، أعني الكروبيِّين ، وباصطلاح الحكماء الأبيض هو العقل الكلّي ، والأصفر هو الرّوح الكلّيَّة ، والأخضر هو النَّفس الكلّيَّة ، والأحمر هو الطَّبيعة الكلّيَّة ، والأربعة المذكورة هم الملائكة العالون الذين لم يسجدوا لآدم عليه السلام لأنَّهم هم الأنوار التي سجدت الملائكة لآدم عليه السلام لكونها مشرقة على صلبه ، ولذا قال تعالى في عتاب إبليس حين استكبر عن السُّجود لآدم عليه السلام قال له : ﴿ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾[1] وهم هؤلاء الأربعة ، وروح المؤمن مركَّبة من أشعَّة

---

(١) سورة ص ، الآية : ٧٥ .

الأربعة ، فهي في الحقيقة شعاع من تلك الأنوار ، وإنَّما قال : (**أشدّ اتِّصالاً بروح الله من اتِّصال شعاع الشَّمس بها**) .

وفي الرِّوايات ، عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه (**أشدّ اتِّصالاً من شعاع الشَّمس**)[١] لا من اتِّصال شعاع الشَّمس ، وهي أوجه من هذه الرِّواية ، لأنَّ المفضل عليه هو شعاع الشَّمس ، لا اتّصال شعاع الشَّمس ، فإن كان اللَّفظ من المعصوم فهو أعلم بما قال ، وما يقوله فهو واضع منه بقصد عن علم ، وإن كان من غيره بأن كان منقولاً بالمعنى فالسَّهو من الناقل .

والحاصل ، إنَّما قال : (**أشدّ**) مع أنَّ شعاع الشَّمس في اتِّصاله بها آية لذلك ، والله القادر العليم ضربه مثلاً وجعله آيةً لذلك ، فلا يصحّ الاختلاف ولا التَّخلُّف ، لأنَّ عالم المجرّدات أشدّ من عالم الأجسام ، وعالم هو أصل لعالم الشَّهادة ، فيكون فيما يتساويان فيه من عالم الشَّهادة فافهم .

وإنَّما سمَّى الله تعالى هذه الرّوح المخلوقة روحاً له ونسبها إليه تشريفاً لها على سائر الأرواح كما قال : (**للكعبة**[٢] **بيتي**) .

والمراد بالمؤمن هنا هم الأنبياء عليهم السلام لا سائر المؤمنين إن أُريد الحقيقة ، لأنَّ أرواحهم عليهم السلام لم يكن

---

(١) انظر بحار الأنوار : ٥٨ / ١٤٨ .

(٢) في نسخة : الكعبة .

شعاعها حقيقة إلّا حقائق أرواح الأنبياء عليهم السلام ، وإن أُريد المجاز جاز أن يكون المراد سائر المؤمنين ، لأنَّ أرواح المؤمنين أشعَّة لأرواح الأنبياء ، وأرواح الأنبياء أشعَّة لأرواح الأئمَّة عليهم السلام كما صرَّحت به الأخبار .

آل محمد صلوات الله عليهم أجمعين أول الخلق

قال : ونقل الشيخ المفيد رحمه الله[1] في كتاب المقالات من كتاب نوادر الحكمة لبعض علمائنا الإماميَّة أصحاب التَّوحيد رضي الله عنهم مسنداً إلى ليث بن أبي سليم ، عن ابن عبَّاس ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله لمَّا أُسري به إلى السَّماء السابعة ثمَّ أُهبط إلى الأرض يقول لعليّ بن أبي طالب عليه السلام : (يا عليّ إنَّ الله تبارك وتعالى كان ولا شيء معه ، فخلقني وخلق روحي من نور جلاله ، فكُنَّا أمامَ عرش ربّ العالمين نسبِّح الله ونحمده ونهلّله ، وذلك قبل أن يخلق السَّماوات والأرض ، فلمَّا أراد أن يخلق آدم عليه السلام خلقني

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان الحارثي العكبري البغدادي . ولد في الحادي عشر من ذي القعدة سنة ٣٣٦ هـ بسويقة ابن البصري من عكبراء ، توفي رحمه الله ليلة الجمعة لثلاث ليال خلون من شهر رمضان سنة ثلاث عشرة وأربع مئة (٤١٣ هـ) ببغداد ، وصلى عليه تلميذه السيد المرتضى .

وإيَّاك من طينة علّيّين ، وعجنت بذلك النُّور ، وغمسنا في جميع الأنهار وأنهار الجنَّة ، ثمَّ خلق آدم عليه السلام واستودع صُلبَه تلك الطّينة والنُّور ، فلمَّا خلقه استخرج ذريّته من ظهره ، فاستنطقهم وقررهم بربوبيّته ، فأوَّل ما خلق الله وأقرَّ له بالعدل والتَّوحيد أنا وأنت والنَّبيُّون على قدر منازلهم وقربهم من الله عزَّ وجلَّ) في حديث طويل(١) .

أقول : قوله : (لبعض علمائنا الإماميَّة) يعني أنَّ كتاب نوادر الحكمة وهو المسمَّى بدبَّة شبيب الدّهّان ، لأنَّ شبيباً يبيع الأدهان المختلفة وعنده دبَّة فيها بيوت يضع في كلّ بيت منها دهناً غير الآخر ، وهذا الكتاب جمعه محمد بن أحمد بن يحيى الأشعري ، وسمَّاه كتاب نوادر الحكمة ، لأنَّه ليس في نوع من العلم ، بل ولا مرتباً ، بل جمعه في فنون شتَّى ، فلقّب الكتاب بدبَّة شبيب الدّهّان .

وقوله صلى الله عليه وآله : (**يا عليّ إنَّ الله كان ولا شيء معه**) يعني به أنَّ الأزل ينافي الكثرة والتعدّد ، وفيه ردّ على مثل المصنّف وأمثاله الَّذين يجعلون ذخيرة علمهم وأسراره اعتقاد أنَّ بسيطة الحقيقة كلّ الأشياء ، وبرهنوا عليه بأنَّه شيء لا يسلب عنه

---

(١) بحار الأنوار : ٢٥ / ٣، والمحتضر : ٢٥١ .

شيء ، وقد تقدَّم احتجاجهم وإبطاله ، فيكون معه كلّ شيء ، لأنَّه كلّ شيء ، ومع اعتبار أنَّ الواجب تعالى لا مجعول بالذَّات ، تكون الأشياء المفهوميَّة لا مجعول بالتّبع ، وسمّوا الأشياء اللَّاحقة في رتبة ذاته بالتّبع من مفهومات الأشياء المتغايرة في أنفسها المغايرة بالأعيان الثَّابتة ، واعتقاد أنَّ معطي الشَّيء ليس فاقداً له في ذاته ، لأنَّه مبدأ كلّ شيء ، فلا يفوته شيء ، إلّا أنَّها في ذاته بنحو أشرف ، وأنَّ وحدته لقوَّتها طوت كثراتها ، وأمثال هذه التّرهات الفاسدة .

وكلّها منفيَّة بقوله صلى الله عليه وآله : **(كان الله ولا شيء معه)**[1] وأنَّ كلّ ما دلَّ عليه لفظٌ ما خلا الله سبحانه فهو مُحْدَثٌ لا من شيء ، ولا أصل له ولا ذكر قبل إحداثه ، وإنَّما اخترع أصله حين اخترعه بفعله ، فلا ذِكر له بوجه من الوجوه قبل إحداثه بالفعل .

ثمَّ قال صلى الله عليه وآله : **(فخلقني وخلق روحي من نور جلاله)** فأتى بالفاء المفيدة للتَّرتيب بلا مهلة ، إشعاراً بأنَّه ليس بينه وبين خلقه شيء ، وأنَّ تَفَرُّدَهُ مساوقٌ لوجودهم في أنفسهم ، وعنده في أوقاتِ وجودِهِمْ وأمكنةِ حدودهم ، وليس معهم ولا بائنٌ منهم بينونةَ عزلة[2] ، فيكونَ محصوراً ، وإنَّما هو معهم بفعلِهِ

---

(١) التوحيد : ٦٨ ح ٢٠، والكافي : ١ / ١٠٧ ح ٢ وفيه : ولا شيء غيره . . .

(٢) قال أمير المؤمنين عليه السلام : **(دليله آياته ، ووجوده إثباته ومعرفته توحيده =**

وأمرِهِ الذي قام به كلّ شيء ، ولأجل ذلك وَرَدَ فيما رَوَوا : (**كان الله ولا شيء معه ، وهو الآن على ما كان**) انتهى .

يعني أنَّ توحّدَه وتفرّدَهُ سابق لهم ومساوق معهم ولاحقٌ ، ولم يجمع شيئاً من جميع الأشياء معه تعالى حال من الأحوال ، بل هو الواحد الأحد الفرد الصَّمدُ ، خِلْوٌ من خلقه وخلقه خِلْوٌ منه[١] ، لا بمفارقة ، ولا بملاصقة ، ولا بمقارنة ، ولا بمباينة ، ولا باتِّصال ، ولا بانفصال ، ولا يصدق على شيء غير ذاته ، ولا يصدق عليه شيء ، والمحتملة للتفريع أيضاً إشعاراً بالتَّفريق الذي أشار إليه أبو الحسن الرِّضا عليه السلام في قوله : (**كنهه تفريق بينه وبين خلقه ، وغيوره تحديد لما سواه**)[٢] انتهى .

= **وتوحيده تمييزه عن خلقه ، وحكم التمييز بينونة صفة لا بينونة عزلة ، إنه ربّ خالق غير مربوب مخلوق ، كل ما تصور فهو بخلافه)** . الاحتجاج للطبرسي : ١ / ٢٩٩ ـ ٤٧٥ ، وشرح الأسماء الحسنى للسبزواري : ١ / ١٦ ، وتفسير الميزان : ٦ / ١٠٢ ، وبحار الأنوار للمجلسي : ٤ / ٢٥٣ ح ٧ .

(١) روي عن أبي جعفر عليه السلام قال : (**قال إنَّ الله خلو من خلقه وخلقه خلو منه وكلُّ ما وقع عليه اسم شيء فهو مخلوقٌ ما خلا الله**) . الكافي : ١ / ٨٣ ح ٣ ـ ٥ ، والتوحيد : ١٠٥ ح ٣ ـ ٥ .

(٢) توحيد الصدوق : ٣٦ باب التوحيد ونفي التشبيه ، والاحتجاج : ٢ / ١٧٦ ، والبحار : ٤ / ٢٢٨ .

والحديث طويل وفيه : (. . **وأسماؤه تعبير وأفعاله تفهيم وذاته حقيقة ، وكنهه تفريق بينه وبين خلقه ، وغيوره تحديد لما سواه ، فقد جهل الله من استوصفه وقد تعداه من اشتمله وقد أخطأه من اكتنهه** . .) .

يعني مثل قولي : خلو من خلقه وخلقه خلو منه لا بمفارقة ولا بملاصقة ـ إلى قولي ـ : (ولا يصدق عليه شيء) وأمثالها ، فإنَّها غيور ، وهي حدود ما سواه يعرف بها غيره ويستدل بها عليه من حيث صفة التَّعريف ، كما قال أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام : (**صفة استدلال عليه لا صفة تكشف له**)(١) .

---

(١) ورواه المصنف في الجزء الثاني من شرح العرشية ، قال عليه السلام في خطبته : (**وإن قلتَ : مِمَّ هُو ؟ فقد باين الأشياء كلّها فهو هو ، وإن قلتَ : فهو هو ، فالهاء والواو كلامه صفة استدلال عليه لا صفة تكشف له ، وإن قلتَ : له حدّ فالحدّ لغيره ، وإن قلتَ : الهواء نسبه فالهواء من صنعه رجع من الوصف إلى الوصف وعمي القلب عن الفهم والفهم عن الإدراكِ ، والإدراكُ عن الاستنباط ، ودام الملك في الملك ، وانتهى المخلوق إلى مثله وألجأه الطَّلب إلى شكله ، وهجم به الفحصُ إلى العجز ، والبيانُ على الفقدِ ، والجهد على اليأس ، والبلاغ على القطع ، والسبيل مسدود ، والطلب مردود ، دليله آياته ، ووجوده إثباته**) .
وهي الخطبة المعروفة بدرّة التوحيد روى بعضها السيد حيدر الآملي في جامع الأسرار ومنبع الأنوار : ٢٣٤، وأولها : (**الحمد لله حمد معترف بحمده مغترف من بحار مجده بلسان الثناء شاكر . .**) .
وفيها : (**السبيل مسدود والطالب مردود دليله آياته ووجوده إثباته ، ومعرفته توحيده ، وتوحيده تنزيهه من خلقه ، بأين لا بمسافة قريب لا بمداناة . له حقيقة الربوبيّة إذ لا مربوب ومعنى الإلهيّة إذ لا مألوه . صفة أنّه ربّ وغيره خلق . له تأويل البينونة لا بينونة له ، ما تصوّرته الأوهام فهو بخلافه . ليس بربّ من أطرح تحت البلاء ، ولا بمعبود من وجد في وعاء هواء وغير هواء . فهو في الأشياء كائن لا كينونة محصور (محظورة ـ م) بها عليه . ومن الأشياء بائن** =

وقوله صلى الله عليه وآله : (**من نور جلاله**) أي من أثر جلاله ، والجلال الحجاب ، وهو فعله إذْ به ظهر بمفعولاته ، وبه احتجب بهم عنهم ، وهذا النُّور هو الحقيقة المحمَّديَّة صلى الله عليه وآله ، وهو محلّ الفعل المتقوّم به ، كالانكسار فإنَّه محل الكسر المتقوّم به ، وكالقيام في قولك : (قائم) الذي هو اسم فاعل القيام ، فإنَّ القيام محلّ الحركة المتقوّمة به ، وهما القائم الذي هو اسم الفاعل ، وليس مسمَّى قائم ذات زيد ، بل مسمَّاه مثاله الظَّاهر بالقيام الفاعل له ، وإن كنت تجد أنَّ مسمَّى قائم هو ذات زيد ، فاسأل الله أن يصلح وجدانك ويكشف لك الحجب المانعة من إدراك ذلك .

وقوله صلى الله عليه وآله : (**فكنَّا أمامَ عرش ربّ العالمين**) كنَّا قبل عرش الموجد للعالمين ، أي جميع الخلائق .

= **لا بينونة غائب عنها . .)** إلى قوله عليه السلام : (**فهو الأوّل لا أوّل له . والآخر لا آخر له . والظاهر لا ظاهر له والباطن لا باطن له**) .

رواه السبزواري والطباطبائي باختصار : (**دليله آياته ، ووجوده إثباته ومعرفته توحيده وتوحيده تمييزه**) . انظر شرح الأسماء الحسنى : ١ / ١٦، وتفسير الميزان : ٦ / ١٠٢ .

ورواه ابن شعبة الحراني عن الإمام الحسين عليه السلام بتفاوت واختصار ، انظر تحف العقول : ٢٤٤، وبحار الأنوار : ٤ / ٣٠١ ح ٢٩ .

إطلاقات العرش ومعانيه

والعرش له إطلاقات .

منها : المشيئة .

ومنها : نور محمَّد صلى الله عليه وآله المشار إليه بقوله تعالى : (**ما وسعني**(١) **أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن**)(٢) فإنَّه أحد معاني ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾(٣) وباعتبار مراتب هذا القلب ، هو كلّ المعاني للآية .

ومنها : المركَّب من أربعة أنوار : (**نورٌ أحْمَرُ منه احمرَّت الحمرة ، ونورٌ أصفر منه اصفرَّت الصّفرة ، ونورٌ أخضر منه اخضرَّت الخضرة ، ونورٌ أبيض منه البياض ، ومنه ضوء النَّهار**) . وفي رواية : (**منه ابيضَّ البياض**)(٤) .

---

(١) في البحار : (لم يسعني) ، وفي شجرة طوبى : (**لا يسعني . . . ولكن يسعني . .**) .

(٢) بحار الأنوار : ٥٥ / ٣٩ باب ٤ العرش والكرسي ، وجامع الأسرار للآملي : ٣٨٨، وعوالي اللآلي : ٤ / ٧، وشجرة طوبى : ١ / ١٥، وتفسير الألوسي : ١٦ / ٢٠٩ .

(٣) سورة طه ، الآية : ٥ .

(٤) قال الإمام زين العابدين عليه السلام : (**وأمّا ما سأل عنه من العرش فإنّ الله عزّ وجل خلقه أرباعاً لم يخلق قبله إلّا ثلاثة أشياء : الهواء والقلم والنّور ، ثم خلقه من أنوار مختلفة فمن ذلك النّور نور أخضر اخضرّت منه الخضرة ، ونور أصفر اصفرّت منه الصّفرة ، ونور أحمر احمرّت منه الحمرة ، ونور أبيض وهو نور الأنوار ومنه ضوء النّهار ، ثم جعله سبعين ألف طبق غِلْظ كلّ طبق كأول** =

ومنها : العلم قال تعالى : ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾(١) أنّه حمل دينه العلم .

ومنها : جميع الخلق .

ومنها : الملك ، قال تعالى : ﴿ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾(٢) أي ربّ الملك العظيم .

ومنها : محدّد الجهات .

ومنها : عالم الغيب بالنّسبة إلى عالم الشّهادة ، إلى غير ذلك .

= العرش إلى أسفل السّافلين ، ليس من ذلك طبق إلّا يسبّح بحمد ربّه ويقدّسه ، بأصوات مختلفة وألسنة غير مشتبهة ، ولو أُذِن للسان منها فأسمع شيئاً مما تحته لهدم الجبال والمدائن والحصون ولخسف البحار ولأهلك ما دونه ، له ثمانية أركان على كلّ ركن منها من الملائكة ما لا يُحصي عددهم إلّا الله عزّ وجل ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٠] ولو حسّ شيئاً مما فوقه ما قام لذلك طرفةَ عين ، بينه وبين الإحساس الجبروت والكبرياء والعظمة والقدس والرّحمة والعلم ، وليس وراء هذا مقال) التوحيد : ٣٢٦ باب ٥١ (أن العرش خلق أرباعاً) ح ١ ، وبحار الأنوار : ٢٤ / ٣٧٤ـ٣٧٦ ح ١٠٣ . وروي بلفظ : (إنّه مركّب من أربعة أنوار : نور أحمر منه احمرّت الحمرة ، ونور أخضر منه اخضرّت الخضرة ، ونور أصفر منه اصفرّت الصّفرة ، ونور أبيض منه ابيضّ البياض) شرح أصول الكافي : ٤ / ٩٣ ح ١ باب العرش والكرسي ، وتفسير الميزان : ٨ / ١٦٢ ، وبحار الأنوار : ٥٥ / ١٠ .

(١) سورة هود ، الآية : ٧ .

(٢) سورة التوبة ، الآية : ١٢٩ ، وسورة النمل ، الآية : ٢٦ .

فأمَّا الإطلاق الأوَّل فسابق ذاتاً مساوق ظهوراً .

وأمَّا الثَّاني فمتحد لأنَّه هم عليهم السلام .

وأمَّا الملك والعلم والغيب ، فباعتبار يكون نوره صلى الله عليه وآله مساوقاً وباعتبار سابقاً وما سوى ذلك فهو سابق ، ويجوز أن يكون الأمام ـ بفتح الهمزة ـ الوجه .

زمان وكيفية خلق آل محمد صلوات الله عليهم

وقوله صلى الله عليه وآله : (**نسبِّح الله ونحمده**) إلخ . في بعض رواياتهم أنَّهم بعد أن خلقوا بقوا وحدهم ليس شيئاً بعد الله غيرهم عليهم السلام يسبِّحون الله قبل أن يخلق شيئاً من خلقه سواهم ألف دهر ، كلّ دهر مئة ألف سنة على ما يظهر لي من إشارات الأخبار(١) .

---

(١) ولفظه كما في الاختصاص بإسناده عن محمد بن سنان قال : كنت عند أبي جعفر عليه السلام فذكرتُ اختلاف الشيعة فقال : (**إنّ الله لم يزل فرداً متفرداً في الوحدانيّة ثم خلق محمداً وعلياً وفاطمة عليهم السلام فمكثوا ألف دهر ، ثم خلق الأشياء وأشهدهم خلقها وأجرى عليها طاعتهم وجعل فيهم ما شاء ، وفوّض أمر الأشياء إليهم في الحكم والتصرّف والإرشاد والأمر والنهي في الخلق لأنهم الولاة فلهم الأمر والولاية والهداية ، فهم أبوابه ونوّابه وحجّابه يحلّلون ما شاء ويحرّمون ما شاء ، ولا يفعلون إلّا ما شاء ، ﴿عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ۞ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ ، فهذه الديانة التي مَن تقدّمها غرق في بحر الإفراط ، ومن نقّصهم من هذه المراتب التي رتّبهم الله فيها زهق في بحر التفريط ولم يعرف آل محمّد حقهم فيما يجب على المؤمن من معرفتهم**) =

وإذا قلتُ : كلّ دهر مئة ألف سنة ، فأُريدُ على ما يظهر ، لا أن هذا التَّقدير منصوص بخصوص لفظه ، بل بمعناه ، بل قد يستفاد أقلّ ، وقد يستفاد أكثر ، والظاهر لي هذا العدد ، والله سبحانه ورسوله وآله صلى الله عليه وآله أعلم .

ثمَّ خلق الأنبياء عليهم السلام وكانوا هُداة للأنبياء ، والأنبياء عليهم السلام يدينون الله بولايتهم وحبّهم ، ويستنّون بسنّتهم ، ويمتثلون أمرهم ، ويعرفون الله سبحانه بسبيل معرفتهم ، ألف دهر كلّ دهر مئة ألف سنة . ثمَّ خلق المؤمنين من أنوار الأنبياء وأشعَّة أنوارهم .

قال صلى الله عليه وآله : (**فلمَّا أراد أن يخلق آدم عليه السلام خلقني وإيّاك**)[1] يعني عليًّا عليه السلام (**من طينة علّيّين**) كناية عن أجسامهم عليهم السلام (**وعجنت بذلك النُّور**) الذي هو أوَّل صادر بفعل الله تعالى ، وهو الحقيقة المحمَّديَّة ، وهو الماء الذي به حياة كلّ شيء ، وهو وجودهم وغمسها في جميع الأنهار من العلوم ، والعقل ، والحياء ، والحب ، والرِّضا ، والسَّخا[2] ،

= الكافي : ١ / ٤٤١ ح ٥ ، وبحار الأنوار : ٢٥ / ٣٣٩ ح ٢١ ـ ٤٤ ، ومجمع النورين للمرندي : ٢٤ ، وموسوعة أحاديث أهل البيت : ٢ / ١٩٥ ح ١٦٥ .

(١) انظر بحار الأنوار : ٢٥ / ٣ ، والمحتضر : ٢٥١ وتقدم الحديث بطوله .

(٢) في نسخة : والسّخاء .

والصَّبر، والشُّكر، وغير ذلك من أنهار صفات الطَّاعات والفضائل والفواضل.

وأنهار الجنَّة الأربعة: نهر الماء، وهو يجري من (ميم) بسم من (**بسم الله الرحمن الرَّحيم**)، ونهر اللَّبن من (هاء) الله، ونهر العسل من (ميم) الرَّحمن، ونهر الخمر من (ميم) الرَّحيم. فالماء حياتهم، لأنَّهم أسماء الله، واللَّبن علمهم، والعسل حبّهم، والخمر سكر معرفتهم.

(**ثمَّ خلق آدم عليه السلام واستودع صلبه تلك الطينة والنُّور**)،

قال العبَّاس بن عبد المطلب في مدح النَّبيّ صلى الله عليه وآله:

مِن قَبلِهَا طِبتَ فِي الظِّلَالِ وَفِي ... مُستَودَعٍ حِينَ يُخْصَفُ الوَرَقُ
ثُمَّ هَبَطتَ البِلادَ لا بَشَرٌ ... أَنتَ وَلا مُضغَةٌ وَلا عَلَقُ
بَل نُطفَةٌ تَركَبُ السَّفِينَ وَقَد ... أَلجَمَ نِسراً وَأَهلَهُ الغَرَقُ
تُنقلُ من صالب إلى رحم ... إذا مضى عالم بدا طَبَقُ
حَتَّى احتَوَى بيتُكَ المُهَيمِنُ مِن ... خِندِقَ عَليَاءَ تَحتَهَا النُّطقُ
وَأنتَ لَمَّا وُلِدتَ أَشرَقَتَ ... الأَرضُ وَضَاءَت بِنُورِكَ الأُفُقُ
فَنَحنُ فِي ذَلِكَ الضِّيَاءُ وفِي ... النُّورِ وَسُبُلُ الرَّشَادِ نَختَرِقُ[1]

وليس قوله: (بل نطفة) أنَّ نورهم صلى الله عليهم المتعلّق بصلب آدم عليه السلام المنتقل في الأصلاب الشَّامخة والأرحام

---

(١) بحار الأنوار: ٢٢ / ٢٨٦ ح ٥٧.

المطهَّرة نطفة مدرة ، بل نطفة نور مقدَّرة تجري فيهم جري الأرواح في الأجسام ، لأنَّهم عليهم السلام في تلك الحال على كمال الاستقامة وتمام الاعتدال . مثل ما روي أن فاطمة عليها السلام كانت تُعلِّم أُمَّها خديجةَ أحكام دينها وهي في بطنها وكلّهم في مثل هذا النَّوع قبل وبعد .

فلمّا خلقه ـ أي آدم ـ استخرج ذرّيّته من ظهره ، استخرج من آدم ابنه شيث ويافث ، واستخرج من ظهريهما أولادهما ، وهكذا أخرج كلّ نسمة من ظهر أبيه ، وهو سرّ قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾[1] ولم يقل من ظهره ، وإنَّما قال صلى الله عليه وآله : (**من ظهره**) اختصاراً في التَّعبير مع ظهور الحال ، ولأنَّ الخارج من الأب الخارج من أبيه خارج من أب أبيه ، ولهذا كان أب الأب أباً ، بل أولى من ابنه ببنيه ، وذلك لأنَّ المكلّفين في عالم الذَّرّ أخذهم سبحانه من ظهور آبائهم بالتولد كما في هذه الدُّنيا ، وكلّفهم ثمَّ رجعهم إلى أصلاب آبائهم[2] فاستنطقهم بما جعل فيهم من العقول والفهم والاختيار ، ورفع عنهم الموانع فيما أراد منهم وقرَّرهم بربوبيّته ، فقال : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ ومحمَّد نبيّكم ، وعلي وليّكم صلّى الله عليهما

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٧٢ .

(٢) في نسخة : آبائه .

وآلهما ، فقالوا : بلى ، فمنهم من أجاب بقلبه ولسانه ، وهم المؤمنون ، ومنهم من أنكر بقلبه ولسانه وهم الكافرون ، ومنهم من أجاب عن غير علم وهؤلاء مرجون إلى يوم القيامة ، ومنهم من يلحق في الدُّنيا بأحد الأوَّلين بعد مدَّة ، وتفصيل هذه المقامات طويل[١] .

---

(١) عن حمران ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : (إنّ الله ـ تبارك وتعالى ـ حيث خلق الخلق خلق ماءً عذباً ، وماءً مالحاً أُجاجاً فامتزج الماءان ، وأخذ طيناً من أديم الأرض فعركه عركاً شديداً . فقال لأصحاب اليمين وهم كالذرّ يدبّون : إلى الجنّة بسلام ، وقال لأصحاب الشمال : إلى النار ولا أُبالي ، ثم قال : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴾ [الأعراف : ١٧٢]. ثم أخذ الميثاق على النبيّين ، فقال : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ وأنّ هذا محمّد رسولي ، وأنّ هذا عليّ أمير المؤمنين ؟ ﴿ قَالُوا بَلَىٰ ﴾ ، فثبتت لهم النبوّة . وأخذ الميثاق على أُولي العزم أنّني ربّكم ، ومحمّد رسولي ، وعليّ أمير المؤمنين وأوصياؤه عليهم السلام من بعده ولاة أمري ، وخزّان علمي ، وأنّ المهديّ أنتصر به لديني ، وأُظهر به دولتي ، وأنتقم به من أعدائي ، وأُعبد به طوعاً وكرهاً . قالوا : أقررنا يا ربّ وشهدنا) انظر الكافي : ٢ / ٨ ح ١، ومختصر البصائر : ١٥٥، وتفسير نور الثقلين : ٢ / ٩٥ ح ٣٤٤ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام : (أنت الذي احتجّ الله بك في ابتداعه الخلق حيث أقامهم أشباحاً ، فقال لهم : ألست بربكم ؟ قالوا : بلى ! وقال : محمد رسولكم ؟ قالوا : بلى . قال : وعلي أمير المؤمنين ؟ فأبى الخلق جميعاً إلّا استكباراً وعتوّاً عن ولايتك إلّا نفر قليل وهم أقل القليل وهم أصحاب اليمين) أمالي الصدوق : ٢٣٣ ح ٤١٢ .

خلق نور النبي وعلي صلوات الله عليهما

قوله : (فأوَّل ما خلق الله وأقرَّ بالعدل والتوحيد أنا وأنت) إنَّما قال : (وأنت) بالنّسبة إلى من سواهما ولا يلزم منه التَّساوي ، فقد روي أنَّ نور محمَّد صلى الله عليه وآله خلق قبل خلق نور عليّ من نور محمَّد صلى الله عليهما وآلهما بثمانين ألف سنة وهو مقرّ بالعدل والتَّوحيد ، ثمَّ خلق منه نور عليّ عليه السلام كما تحدث سراجاً من سراج .

قال علي عليه السلام : **(أنا من محمد صلى الله عليه وآله كالضّوء من الضّوء)**(١) .

والنَّبيُّون على قدر منازلهم وقربهم من الله عزَّ وجلَّ فمن أقرَّ قبل كان أفضل وأوَّل النبيِّين وجد بعد خلق محمَّد وآله صلى الله عليه وآله بألف دهر ، كلّ دهر مئة ألف سنة .

---

(١) بحار الأنوار ٣٨ / ٧٩ ـ ٨٢، ومعاني الأخبار : ٣٥٠ ـ ٣٥٢، وغاية المرام : ١ / ٣٤ باب ٢ ح ١، وأمالي الصدوق : ٤١٥ مجلس ٧٧ ح ١٠ والطرائف لابن طاوس : ٥١٩، والخصائص الفاطمية : ٢ / ٦٠٩، واللَّمعة البيضاء : ٦٤ .

قال أمير المؤمنين عليه السلام : **(والله ما قلعت باب خيبر ورميت به خلف ظهري أربعين ذراعاً ؛ بقوة جسدية ولا حركة غذائية ، لكن أيدت بقوة ملكوتية ونفس بنور ربها مضيئة ، وأنا من أحمد كالضوء من الضوء)** أمالي الصدوق : ٤١٥ مجلس ٧٧ ح ١٠ .

واتّفق المسلمون على أنَّ أفضل الأنبياء خمسة : محمَّد صلى الله عليه وآله ، ونوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، واتّفقوا على أنَّه صلى الله عليه وآله خير الخلق واختلفوا في الأربعة من أولي العزم ، فأكثر العامَّة أنَّ ترتيبهم في الفضل إبراهيم ، ثمَّ موسى ، ثمَّ عيسى .

وقال بعضهم : ثمَّ عيسى ، ثمَّ موسى ، واتّفقوا على مفضوليَّة نوح .

وأمَّا أصحابنا ، فأكثرهم على أنَّ التَّرتيب في الفضل هكذا : إبراهيم ، ثمَّ نوح ، ثمَّ موسى ، ثمَّ عيسى ، وقيل : نوح ، ثمَّ إبراهيم ، ثمَّ موسى ، ثمَّ عيسى ، وهذا هو المترجح[1] عندي فإنَّ إبراهيم على نبيّنا وآله وعليه السلام وإن كانت ممادحه وذكره وفضائله في الأحاديث أكثر من نوح عليه السلام إلّا أنَّه مع ذلك كلّه من شيعة نوح لقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴾[2] ولقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ﴾[3] وهو في مقام التفضيل لا في مقام السبق في الوجود في الدُّنيا ، وإلّا لأُخّر محمَّداً صلى الله عليه وآله .

---

(١) في نسخة : المرجح .
(٢) سورة الصافات ، الآية : ٨٣ .
(٣) سورة الأحزاب، الآية : ٧ .

وأيضاً ليس في الأنبياء عليهم السلام من نبوّته عامّة إلّا محمّد ونوح عليهما السلام .

وأمّا إبراهيم عليه السلام فإنّما أُرسل إلى أربعين بيتاً ، وليس نسخ الشّريعة دليلاً على الأفضليّة وإلّا لكان عيسى أفضل الأربعة .

وأيضاً فإنَّ نوحاً عليه السلام أُوتي من الاسم الأعظم خمسة عشر حرفاً وإبراهيم عليه السلام ثمانية ، وموسى أربعة وعيسى اثنين ، والله سبحانه ورسوله وخلفاؤه أعلم .

وبالجملة ، من سبق إلى الإجابة كان أفضل .

التفاضل بين محمد وآل محمد صلوات الله عليهم أجمعين

والّذي يترجّح عندي في تفضيل الأربعة عشر معصوماً صلّى الله على محمّد وآله أنَّ أفضلهم وسيّدهم رسول الله صلى الله عليه وآله وهذا معلوم ، ثمَّ من بعده أميرهم عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، ثمَّ الحسن ، ثمَّ الحسين عليهم السلام لحديث : (**سيِّدا شباب أهل الجنّة**) ، وتفضيل الحسن على الحسين عليهما السلام بالنّصّ الخاص عن الصّادق عليه السلام .

روى الصّدوق(١) رحمه الله في إكمال الدِّين بإسناده إلى

---

(١) هو الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه المشتهر بالصدوق . =

هشام بن سالم[١] قال : قلت للصَّادق جعفر بن محمَّد عليهما السلام : الحسن أفضل أم الحسين ؟

فقال : (**الحسن أفضل من الحسين عليه السلام**) .

قلت : فكيف صارت الإمامة من بعد الحسين في عقبه دون ولد الحسن ؟

فقال عليه السلام : (**إنَّ الله تبارك وتعالى لم يرد ذلك إلّا أن يجعل سنة موسى وهارون جارية في الحسن والحسين عليهما السلام ، ألا ترى أنَّهما كانا شريكين في النُّبوَّة كما كان الحسن والحسين شريكين في الإمامة ، وأنَّ الله عزَّ وجلَّ جعل النُّبوَّة في ولد هارون ولم يجعلها في ولد موسى وإن كان موسى أفضل من هارون**)[٢] انتهى .

ثمَّ القائم عجَّل الله فرجه لحديث : (**وتسعة من ذرّية الحسين**

= ولد بدعاء الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه بقم المقدسة بعد سنة ٣٠٥ هـ توفي بالري سنة ٣٨١ هـ ودفن فيها قرب السيد عبد العظيم الحسني .

(١) قال النجاشي : هو هشام بن سالم الجواليقي مولى بشر بن مروان أبو الحكم ، كان من سبي الجوزجان . روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن عليهما السلام ، ثقة ثقة . له كتاب يرويه جماعة . أخبرنا محمد بن عثمان قال : حدثنا جعفر بن محمد قال : حدثنا عبيد الله بن أحمد قال : حدثنا ابن أبي عمير عنه بكتابه . وكتابه الحج ، وكتابه التفسير ، وكتابه المعراج . انظر رجال النجاشي : ٣١١ رقم ١١٦٥ .

(٢) تفسير نور الثقلين : ٣ / ٣٤١ ح ٩٦، وإلزام الناصب : ١ / ٤٤ .

عليه السلام تاسعهم قائمهم أعلمهم) رواه المقداد في شرح الباب الحادي عشر .

وفي أُخرى : (**تاسعهم قائمهم أعلمهم أفضلهم**)[١] .

وحديث الوصيَّة في قول النَّبيّ صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام في أمر الوصيَّة : (**وأنا أدفعها إليك يا عليّ ، وأنت تدفعها إلى وصيّك ، ويدفعها وصيّك إلى أوصيائك من ولدك واحداً بعد واحد حتَّى تدفع إلى خير أهل الأرض بعدك**)[٢] الحديث .

خرج تفضيل الحسن والحسين عليهما السلام بحديث (**سيِّدا شباب أهل الجنَّة**)[٣] وبقي الباقي ، وفي معانيه روايات كثيرة .

ثمَّ الأئمَّة الثَّمانية عليهم السلام كلّهم في الفضل سواء ، وممَّا تحمل أحاديث المساواة على ذلك .

ثمَّ فاطمة عليها السلام كما يشير إليه ما رواه في الفقيه فيما أوصى محمَّد عليًّا عليهما السلام وعلى آلهما : (**يا عليّ إنَّ الله عزَّ وجلَّ أشرف على الدُّنيا فاختارني منها على رجال العالمين ، ثمَّ اطّلع ثانية فاختارك على رجال العالمين ، ثم اطّلع ثالثة فاختار**

---

(١) الكافي للحلبي : ٩٩، والصراط المستقيم : ٢ / ١٢٠ .

(٢) أمالي الصدوق : ٤٨٨ ح ٦٦١ .

(٣) انظر صراط النجاة للتبريزي : ٢ / ٤٥٥ .

الأئمَّة من ولدك على رجال العالمين ، ثمَّ اطّلع رابعة فاختار فاطمة عليها السلام على نساء العالمين)[١] انتهى .

وهو يشعر بتفضيلهم عليها ، عليهم وعليها السلام .

ومثل حديث الأنوار التي تزهر بها لعليّ عليه السلام فإنَّها بقيت كذلك إلى أن ولدت الحسين[٢] عليهم أجمعين السلام .

إثبات عالم الأرواح

قال : فقد ظهر من هذه النّقول بعد شهادة البرهان والعقول[٣] **أنَّ للأرواح كينونة سابقة على عالم الأجسام والعقول القادسة ، والأرواح الكلّيَّة عندنا باقية ببقاء الله فضلاً عن إبقائه ، لأنَّها مستهلكة الذَّوات مطوية**[٤] **الأنوار عند سطوع نور الجلال ، لا يرومون النظر إلى ذواتهم خاشعين لله تعالى .**

أقول : أمَّا كون الأرواح لها كينونة سابقة على عالم الأجسام سبقاً دهريًّا فهو ظاهر .

(١) الخصال : ٢٠٦ ح ٢٥ ، وأمالي الطوسي : ٦٤٢ ، ومكارم الأخلاق : ٤٤٤ .
(٢) في نسخة : الحسنين .
(٣) في نسخة : المعقول .
(٤) في نسخة : مطويّات .

وأمَّا السبق الزَّمانيّ فهو محلّ الخلاف ، وأكثر المحقّقين على أنَّ الأرواح سابقة على الأجسام في الدَّهر .

وأمَّا في الزَّمان ، فالأجسام سابقة عليها ، لأنَّها إنَّما تتكوَّن من الأجسام كالثَّمرة من الشَّجرة ، والمستفاد من كلام أئمَّة الهدى عليهم السلام أنَّ الرّوح موجودة في غيب النّطفة كوجود الشَّجرة في النواة ، والحبَّة في العود الأخضر قبل أن تظهر السنبلة ، وهو معنى ما ذكره أكثر المحققين ، فيكون القول به متحققاً .

نعم لو قُلتَ : إنَّها موجودة في الزَّمانيات غير ظاهرة الكينونة أَصَبْتَ ، وهو معنى قول المحقّقين : والآن زيد الذي يخاطبك إنَّما تخاطبك روحه في هذا القفص ، وهي الآن ليست بذاتها في الزَّمان ، وإنَّما تكون في الزَّمان بتعلّقها بالجسم تعلّق التَّدبير .

فإذا قلتُ لك : (قام زيد) سمعتَ اللَّفظ حين الخطاب بجسمك وَآلاتِهِ وأدركتَ معناه بروحكَ في مرتبتها من عالم الغيب ، فقد أدركتَ المعنى قبل خلق السَّماوات والأرض بأربعة آلاف عام .

وقوله : (والعقول القادسة) أي المتقدّسة المتنزّهة بذاتها عن شوائب الموادّ العنصريَّة والمدد الزَّمانيَّة والصّور الهندسيَّة ، لا أنَّها متقدَّسة عن مطلق المادَّة ومطلق المدَّة ومطلق الصّورة ، كما توهَّمه أكثر المتأخّرين ، بل لها موادّ نورانيَّة ومدد دهريَّة وصور

معنويَّة ، والأرواح الكلّيَّة ـ وهي الرّقائق الغيبيَّة ـ فهي في عالم الغيب كالمضغ في عالم الشَّهادة بالنّسبة إلى أطوار الجنين ، والعقل كالنّطفة ، وتمام الخلقة كالنَّفس (عندنا باقية ببقاء الله) ، يريد أنَّها كالظّلّ للشَّاخص بقرينة قوله : (فضلاً عن إبقائه) وهذا غلط ظاهر ، فإنَّ الأشياء كلّها ـ لا فرق بين الأرواح والأجسام ـ قائمة بأمر الله الفعلي ـ أي المشيئة ـ قيام صدور ، وبأمر الله المفعولي ـ أي النُّور المحمَّديّ صلى الله عليه وآله ـ قياماً ركنيّاً أي قيام تحقّق ، قال الصَّادق عليه السلام في الدُّعاء : **(كلّ شيء سواك قام بأمرك)**[1] فبقاء كلّ شيء بإبقاء الله بدوام الإمداد .

وقوله : (لأنَّها مستهلكة الذَّوات مطويَّة الأنوار عند سطوع نور الجلال) لأنَّ مادّتها من ذلك النُّور وهيئتها ـ أي صورتها ـ من أثر هيئته كما ترى من صورة الكتابة ، فإنَّ مادّتها من المداد ، وصورها[2] من هيئة حركة يد الكاتب .

ولا تتوهَّم أنَّ نور الله عزَّ وجلَّ كما يذهب إليه هؤلاء من أنَّه نور الذَّات الغير[3] المصنوع ، فإنَّهم لا يعرفون الله تعالى ، وإنَّما نور الله هو فعله وهو مفعوله وأسماؤه وصفاته ، أي صفات أفعاله ، وكلّها محدثةٌ مخلوقةٌ بفعل الله .

---

(١) مصباح المتهجد : ٤٣١، والبحار : ٨٧ / ١٤٨ .

(٢) في نسخة : صورتها .

(٣) في نسخة : غير .

أمّا الفعل فخلقه الله بنفسه ، أي نفس الفعل ، لأنّه فعل وإيجاد ، ولا يحتاج في إيجاده إلّا إلى فعل وإيجاد ، وهو فعل وإيجاد ، فلا يحتاج في إيجاده إلى غير نفسه .

وأمّا ما سوى الفعل فخلقه الله بالفعل ، فهم مستهلكون بوجدانهم في أنوار فعله وآيته الكبرى (**لا يرومون النظر إلى ذواتهم خاشعين لله**)[١] فانين[٢] في خدمته ومراقبتهم لحضرته .

وقد ذكر الملّا أحمد اليزديّ[٣] اعتراضات لبعض النّاظرين في قوله : (باقية ببقاء الله) لأنَّ ظاهره القول باتّحادها به تعالى ، وأحببت أن أذكره مختصراً وأذكر جوابه ليظهر لك الحال .

قال في حاشيته منها : إنَّ الاتّحاد في الوجود لا يتصوَّر إلّا

---

(١) انظر كتاب المشاعر : ١١٧ ح ١٣١ وفيه : خاضعين لله . .

(٢) في نسخة : قائمين .

(٣) هو الحاج الملّا أحمد بن محمّد مهدي النراقي الكاشاني من مشاهير علماء ايران ومعروفي علماء بلاد المسلمين سبق في التحقيق أقرانه ، وفاق في التدقيق العلماء الأعيان ، كان مضرب المثل في الذكاء ومعترف له بحدّة الفطانة بين أبناء الزمان وكان في الشعر ذا طبع رفيع . وأصله من نراق ومسكنه كاشان . وكتبه كثيرة : كتاب منهاج الأُصول في مجلّدين وهو كتاب في علم الأُصول في غاية التنقيح ، وكتاب شرح تجريد الأُصول لوالده في ستّة مجلّدات ، وكتاب عين الأُصول ، وكتاب مفتاح الأُصول ، وكتاب معراج السعادة في علم الأخلاق ، وأصل الكتاب لوالده وكتبه بالفارسية بعد طلب سلطان العصر ، وهو كتاب جامع كامل في علم الأخلاق . انظر قصص العلماء للتنكابني رقم ٢٤ .

بين الكلّي والجزئي ، ذلك الكلّي كالإنسان الموجود بوجود جزئيّاته ، ولا يصحّ الاتّحاد بين الأُمور الجزئيَّة ولا بين الحقائق المتباينة ، كالإنسان والفرس ، والواجب ليس كلّيّاً للعقول لتندرج تحته .

ومنها : إنَّ التَّباين بين الإنسان والفرس دون التَّباين بين الواجب والممكن ، وإذا امتنع في ضعيف التَّباين الاتّحاد ففي شديد التَّباين بالطريق الأولى .

ومنها : إنَّ للواجب بالذَّات خواصّ ، منها ألَّا يكون مجعولاً .

وللممكن خواص منها أن يكون مجعولاً ، فلو جاز الاتّحادُ بينهما كان الشيء الواحد مجعولاً وغير مجعول . هذا خلف .

ومنها : ما ثبت أنَّها متأصّلة في نفس الأمر وأنَّ لها علَّة جاعلة متقدِّمة عليها بخلاف الواجب ، فلو جاز الّاتحاد ، فإمَّا أن تكون قديمة فيلزم انقلاب الحقائق ، وإن بقيت على إمكانها مع اتّحادها بجاعلها كان جاعلاً لنفسه ومتقدِّماً على نفسه ، لأنَّ الجاعل متقدّم على المجعول .

ومنها : أنَّ وجود الواجب ضروريّ ووجودها جائز ، فالوجود والعدم فيه سواء ، فلو جاز الاتّحاد كان الشَّيء ضروريًّا جائزاً هذا خلف .

قال سلَّمه الله : (ويمكن الجواب عن هذه الوجوه جميعاً بأنَّ المراد أنَّ الأرواح الكلّيَّة باقية ببقائه ليس ما هو ظاهره كما فهمه المعترض ، بل المراد أنَّهم لا يلتفتون إلى ذواتهم أصلاً ، بل يقصرون النَّظر في ذاته ، فما بقي في الوجود في نظرهم هو وجود الله تعالى لا غيره ، فلا التفات لهم إلى وجودهم ، فكانت الإثنينيَّة مرتفعة في نظرهم ، وإذا كان الأمر كذلك فكأنَّه صار وجوده وجودها إذ لا غير عندها) إلخ انتهى ملخّصاً .

وأنت خبير بأنَّ هذا الجواب غير رافع للاعتراضات أصلاً لأنَّ الجواب إنَّما هو بالاتّحاد في الوجدان والاعتراض على دعوى الاتّحاد في الوجود ، لأنَّه هو المستلزم للبقاء ، بخلاف الاتّحاد في الوجدان ، فإنَّه لا يستلزم البقاء ، والاعتراض متّجه ولا مردّ له لأنَّ الإيرادات نشأت عن حسن الفهم لا عن سوء الفهم .

في بيان حقيقة الروح

قال : قال سعيد بن جبير : (لم يخلق الله خلقاً أعظم من الرّوح ، ولو شاء أن يبتلع السَّماوات والأرضين في لقمة لفعل . وقال بعضهم : الرّوح لم تخرج من (كن) لأنَّه لو خرج من (كن) كان عليه الذّلّ ، قيل : فمن أيّ شيء خرج ؟

قال : من بين جماله وجلاله)[١] . انتهى .

أقول : معنى كلامه أنَّ الرّوح هو أمره تعالى ، وقوله : (كن) فهو نفس أمره تعالى الذي به تتكوَّن الأشياء ، فسائر الموجودات خُلقت وكانت من أمره ، وأمره لا يكون من أمره وإلّا لزم الدَّور أو التَّسلسل ، بل عالم أمره تعالى نَشَأ من ذاته نشوء الضّوء من الشَّمس والنَّداوة من البحر .

أقول : قول سعيد بن جبير : (لم يخلق الله خلقاً أعظم من الرّوح) يريد به عقل الكلّ ، فإنَّه عندهم قبل جميع المخلوقات ، ولم يخلق الله شيئاً قبله وهو غلط ، لأنَّهم إنَّما تمسَّكوا بما ذكره بعض الحكماء بزعمهم أنَّه تعالى بسيط من كلّ جهة ، والبسيط كذلك لا يصدر عنه إلّا واحد ، وبظواهر بعض الأخبار مثل أوَّل ما خلق الله العقل ، وأوَّل ما خلق الله روحي ، وقد غفلوا عمَّا في نفس الأمر ، وذلك أمَّا في زعمهم أنَّ الواحد لا يصدر عنه إلّا الواحد[٢] فهو ليس كما زعموا .

أمَّا أوّلاً : فلأنَّ الصَّادر عن صانعه لا يصدر إلّا بواسطة الفعل ، لا من الذَّات ، لأنَّ هذا ولادة ، وإذا ثبت بالعقل والنَّقل أنَّ العقل مفعول وأنَّ المفعول لا يصدر عن[٣] ذات الفاعل وإنَّما

---

(١) بحار الأنوار : ٥٦ / ٢٢٢، والحكمة المتعالية : ٩ / ٣١٣ .
(٢) في نسخة : واحد .
(٣) في نسخة : من .

يصدر من فعله ، والفعل يتعدَّد بتعدّد أوقات الإيجادية[١] وأمكنة محدثاته ، فيجب تعدّد مفعولاته ، لكنَّ الفاعل إذا كان مختاراً فهو في إرادته إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل ، لأنَّه إنَّما يفعل إذا كان المختار غنياً بمقتضى المصلحة ، فلمَّا اقتضت المصلحة وحدة أوَّل مفعول لم يحدث إلّا عقلاً واحداً ، وليس لأنَّه لا يمكن إلّا واحد ، وكيف لا يمكن إلّا واحد وهو صادر عن فعل المختار ، وفعل المختار إنَّما يكون في وقت دون وقت ، وجهة دون جهة ، وهيئة دون هيئة ، وذلك موجب لتعدّد الصَّادر منه ، ولأنَّ كون البسيط الذي ليس له إلّا جهة واحدة يجب اتّحاد مفعوله وإنَّما ذلك من معاني الخلق .

وأمَّا ثانياً : فلأنَّ الخالق الذي يجب فيه اجتماع النَّقيضين وارتفاعهما ، بحيث يكون اجتماعهما عين ارتفاعهما ، مثل أوَّليّته نفس آخريته ، وظاهريّته عين باطنيّته ، وقربه عين بعده ، وعلوّه نفس[٢] دنوّه ، وهكذا من الأُمور المتناقضة ، مثل : هو عال عين ليس بعال ، وظاهر عين ليس بظاهر ، وهكذا لا يصحّ أن تقدّر قدرته . على قدر إدراك العقول ، فإنَّ من قدَّر قدرة الله سبحانه على قدر عقله هلك ، فحيث بعد صدور أكثر من واحد عن

---

(١) في نسخة : الإيجاد به .
(٢) في نسخة : عين .

البسيط فيما تدركه عقولهم ، لا يبعد فيما لا تدركه عقولهم ، ولا تقدَّر قدرته على قدر عقولهم ، قال الله تعالى : ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(١) .

وقوله : (ولو شاء أن يبتلع السماوات والأرضين في لقمة لفعل) مأخوذ من ظاهر بعض الأخبار ، وهو كناية عن كبره أو عظمه .

وقوله : (وقال بعضهم إنَّ الرّوح لم تخرج من (كن) لأنَّه لو خرج من (كن) كان عليه الذّلّ) قول له ، لأنَّه إنَّما استشهد به لأنَّه ارتضاه ، ويريد هذا القائل غير ما يريده علماء الدِّين عليهم السلام ، لأنَّهم إنَّما يريدون بالرّوح المخلوقة الصَّادرة من نور الأنوار ـ أعني الحقيقة المحمَّديَّة ـ ومن أرض القابليَّات ، وهي تطلق كما تقدَّم على العقل الكلّي عقل الكلّ ، وعلى الرّوح الكلية ، وهؤلاء يريدون به عالم الأمر ـ أعني الفعل ـ وعلى رأيهم أنَّه قديم متّحد بالذَّات ، معلّلين بأنَّه تعالى صنع الأشياء بذاته وإلَّا لاحتاج في صنعه إلى غيره ، فبيَّن أنَّ الرّوح لو كانت مخلوقة للزمها ذلّ المصنوعيَّة والانفعال ، بل هي أمر الله .

وكلّ كلامهم باطل ، لأنَّ هذه الرّوح مخلوقةٌ صادرة من (كن) كصدور الصوت من القرع وإن اصطلحوا على تسمية الفعل

(١) سورة النحل ، الآية : ٨ .

بالرّوح ، ففيه أنّ الرّوح عند أهل الشّرع وأهل المعارف الإلهيّة إذا أُطلقت تبادرت الأفهام إلى الرّوح المخلوقة ، أعني العقل أو الرّوح ، وأمّا الذّل فلازم لذاتها وإن لحقها العزّ بالله كغيرها من الأمور الطّيّبة ، قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1] يعني بالله ﴿ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾[2] .

وأمّا هؤلاء فحيث حكموا باتّحاده بالله لزمهم تنزيهه عن الذّلّ .

ونحن لمّا نزّهنا المعبود عزّ وجلّ عن الاتّحاد بالسِّوى حكمنا على الرّوح بالذّلّ لذاتها ، وقد قال الله تعالى : ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾[3] وهؤلاء لا يقولون بأنّ الرّوح من السِّوى .

قال الملّا أحمد اليزدي المذكور صاحب الحاشية في أنّ العالَم حادثٌ زمانيٌّ .

---

(١) سورة المنافقون ، الآية : ٨ .

(٢) سورة النساء ، الآية : ١٧٢ .

(٣) سورة الأنبياء ، الآيتان : ٢٨ ، ٢٩ .

قال : (وهذا مبنيّ على ما قال ـ يعني المصنف ـ من أنَّ العقول القادسة والأرواح الكلّيّة باقية ببقاء الله دون إبقائه ، فليست بِعالَم بمعنى ما سوى الله فافهم) انتهى .

فتأمَّل في هذا الكلام وما أرادوا منه ، فإنَّهم جعلوا الأرواح والعقول ليست ممَّا سوى الله ، تعالى ربِّي كيف خلقها ثمَّ لم تكن سواه لا حول ولا قوَّة إلّا بالله العليّ العظيم .

وقيل للبعض القائل : فمن أي شيء خرج ؟

قال : من بين جماله وجلاله .

أقول : من عظيم وساوسهم أنَّ الرّوح تولد لا بالإيجاد الذي يعبّر عنه بـ (كن) ، بل من جمالِهِ الذي هو نور الذّات ، وجلالِهِ الذي هو قدس الذَّات وطهرها وقهرها لكلِّ شيء ، فلذا نزَّه الروح عن الذّلّ .

في بيان الجمال والجلال

والجمال قيل : هو نور الذَّات .

والجلال : هو الحجاب .

وقيل : الجلال هو حجاب الذَّات أي نورها الذي تحتجب به .

والجمال : نور الجلال .

والحاصل : هذا الاعتقاد ظاهر الفساد ، ولو وجَّهنا قوله : (من بين جماله وجلاله) .

قلنا : إنَّ جلاله وجماله القديمين هما عين الذَّات البحت ، والذَّات البحت لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، والجمالَ والجلالَ الحادثين ليس إلّا فعله وصفات فعله بأيّ اعتبار أو مفعوله وصفات مفعوله ، وكلّ له داخرون لا يستكبرون عن عبادته .

وقول المصنف : أقول : معنى كلامه أنَّ الرّوح هو أمره تعالى ، وقوله : (كن) فهو نفس أمره تعالى الذي به تتكوَّن الأشياء .

وأنا أقول : كأنَّهم لا يعرفون الذي يراد من الرّوح حيث يريدون به أمره الذي هو فعله وقوله : و(كن) فهو نفس أمره أيضاً ظاهره ليس بصحيح ، بمعنى أنَّه إن أراد أنَّ (كن) بلفظه حقيقة هو أمره الذي هو فعله فنعم (كن) صورة الأمر ، فقد جعلها الله سبحانه منه بهذا المعنى لأنَّه[١] في الحقيقة إنَّما خصَّت صورة الأمر بـ (كن) للإشارة إلى أنَّ الفعل تكوين يشار إليه[٢] بـ (الكاف) التي هي الإشارة إلى الكون و(النون) إشارة إلى العين المكوّنة .

---

(١) في نسخة : لأنَّ .
(٢) في نسخة : إليها .

فقوله : (وكن نفس أمره) غلط ، يقول الصَّادق عليه السلام : (**لا كاف ولا نون وإنَّما أراد فكان**) .

في بيان أمر الله تعالى

ثمَّ إنَّا قد ذكرنا في الشَّرح مراراً متعدّدة أنَّ الأمر قسمان : أمر هو الفعل أي المشيئة والإرادة والإبداع ، وأمر هو المفعول الأوَّل ، يعني النُّور المحمَّدي صلى الله عليه وآله فبالأمر الأوَّل قامت الأشياء قيام صدور ، وبالثاني قامت الأشياء قيام تحقّق ، يعني قياماً ركنيًّا .

وقال المصنف : (فسائر الأشياء خلقت وكانت من أمره) يعني فعله ، وهذا صحيحٌ عندنا وإن كان هو يعتقد أنَّ كثيراً من الأشياء أُمور اعتباريَّة ليست مخلوقة كالإمكان والحدوث وأمثالهما .

وقال : (وأمره لا يكون من أمره ، وإلّا لزم الدَّور أو التَّسلسل) .

وأقول : يريد أن (كن) أمره فلا يكون صادراً من (كن) الذي هو أمره ، وهذا تصحيح لكلام ذلك البعض القائل ، وهذا ليس بصحيح لما قدَّمنا أنَّ الأمر الذي هو الفعل خلقه الله بنفسه ، كما قال الصَّادق عليه السلام : (**خلق الله المشيئة بنفسها ، ثمَّ خلق الأشياء بالمشيئة**)(١) وهي الفعل المخلوق به ، فإذا كان

(١) قال الإمام الصادق عليه السلام : (**خلق الله المشيئة بنفسها ثم خلق الأشياء** =

مخلوقاً بنفسه فأين الدَّور و[1]التسلسل لأنَّا لا نريد أنَّ نفسه شيء غيره ، لأنَّه إيجاد ، والإيجاد محدث لا يحتاج في إيجاده إلّا إلى إيجاد ، وهو إيجاد فلا يحتاج في إيجاده إلى غير نفسه .

وقال المصنف : (بل عالم أمره نَشَأَ من ذاته نشوء الضّوء من الشَّمس والنَّداوة من البحر) .

وأقول : يريد أنَّ العقل[2] نَشَأَ من ذات الله مثل نشوء الضّوء من الشَّمس ، والضّوء ليس بفعل من الشَّمس ، وأنا ما أدري ما يريد المصنف ؟ هل يريد أنَّه ولادة من ذاته تعالى ؟ أو أنَّه ظل لازم له تعالى ؟ أو أنَّه أمر فرضيّ وإنَّما يريد أنَّه تعالى فاعل بذاته ، فذاته فعله وعبارته وما يظهر من كلماته صادقة على الثلاثة وكلّها باطلة .

وقوله : (والنَّداوة) من البحر وهي أجزاء صغار من ماء البحر نفسه فإن أراد بالمثْلين معنى واحداً لم يكن مريداً للثلاثة ، وإنَّما

= **بالمشيئة)** . التوحيد : ١٤٨ ح ١٩ باب (١١) صفات الذات وصفات الأفعال ، وشرح الأسماء الحسنى : ١ / ٧، وبحار الأنوار : ٤ / ١٤٥، ومختصر بصائر الدرجات : ١٤١ .

وفي رواية : (**خلق الله المشيئة قبل الأشياء ثم خلق الأشياء بالمشيئة**) التوحيد ح ٨ باب (٥٥) المشيئة والإرادة ، وبحار الأنوار : ٤ / ١٤٥ ح ٢٠ .

(١) في نسخة : أو .

(٢) في نسخة : الفعل .

يريد واحداً وهي الولادة لأنَّ النَّداوةَ ظاهراً ليس عرضاً للماء وإن أراد كونها عرضاً ، فهو يريد أوسط الثَّلاثة ، وعلى كلِّ تقدير فمراده باطل ليس من الحقّ في شيء ، وإنّما ذاته الأزل وفعله في الإمكان والحدوث الرَّاجح ، وأين الرَّبّ وأين العبد ؟ .

بيان الأرواح الخمسة في الأنبياء عليهم السلام

قال : وقال ابن بابويه أيضاً في كتاب الاعتقادات : اعتقادنا في الأنبياء والرُّسل والأئمَّة عليهم السلام أنَّ فيهم خمسة أرواح : روح القدس ، وروح الإيمان ، وروح القوَّة ، وروح الشَّهوة ، وروح المدرج ، وفي المؤمنين أربعة أرواح ، وفي الكافرين ثلاثة أرواح . وأمَّا قوله تعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْـرِ رَبِّى ﴾(١) **فإنَّه خلق أعظم من جبرائيل وميكائيل كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله ومع الملائكة وهو من الملكوت . انتهى كلامه .**

أقول : إنَّ الخمسة الأرواح هنا جواهر نفسانيَّة بسائط ، يعني أنَّها حصص جزئيَّة متشخّصة تشخّصاً نوعيًّا وهو مرادنا بكونها بسائط ، وذلك كأجزاء الشَّيءالواحد ، فإنَّ الشَّيء متعيّن بتعيّنات

(١) سورة الإسراء ، الآية : ٨٥ .

شخصيَّة وأجزاؤه كلّ منها متعيّن بتشخّصات نوعيَّة ، لأنَّها حصص من النَّوع لا تتمايز التَّميز الشَّخصي إلّا بانضمام بعضها إلى بعض .

ومرادنا بالتَّشخّص الشَّخصي ما يفيد معنى غير معنى المادَّة ، وكلّ جزء قبل الانضمام إذا تشخَّص التَّشخّص الشَّخصي أفاد معنى في نفسه غير ما يفيده بالانضمام ، ولذا قلنا : إنَّ كلاًّ منها تشخّصه نوعي بهذا المعنى وإلّا فإنَّه إذا فصلت الحصَّة الجزئيَّة للشيء قبل الانضمام لزمها التَّشخّص الشَّخصيّ بالنّسبة إليها ، أمَّا بالنّسبة إلى المركَّب فتشخّصها نوعيّ مثلاً إذا قلت : (ق) فإنَّ لها في نفسها تشخّصاً شخصيّاً ، بمعنى أنَّها غير قولك : (م) لكنَّ تشخّصها في نفسها بالنّسبة إلى ما يتركب منها نوعي فنقول : (قم) فتكون القاف بانضمامها إلى باقي[1] الحروف مفيدة معنى شخصيّاً غير ما تفيده في قولك قلب وغيرهما في قدر وهذا معلوم لمن له معلوم .

فهذه الأرواح أرواح جزئيَّة للشَّخص الإنسانيّ .

١ ـ روح القدس

فروح القدس : هي روح العصمة ولا توجد إلّا في الأنبياء

(١) في نسخة : سائر .

والرُّسل والأئمَّة عليهم السلام ، وبها يمتنعون من المعاصي الصَّغائر والكبائر مع القدرة عليها والتَّمكّن منها اختياراً[١] .

---

(١) في الكافي روى أبو بصير قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ [الإسراء : ٨٥] . قال : (**خلق أعظم من جبرائيل وميكائيل لم يكن مع أحد ممن مضى غير محمد صلى الله عليه وآله وهو مع الأئمة عليهم السلام يسدّدهم وليس كلّ ما طلب وجد**) أصول الكافي : ١ / ٢٧٣ ح ٤ ، وبصائر الدرجات : ٤٥١ ـ ٤٤٥ ، ونور الثقلين : ٤ / ٥١٣ ح ٢٣ مورد آية المؤمن ١٥ .

وعن الإمام العسكري عليه السلام في قصة ولادة الإمام المهدي عليه السلام وحكيمة : (فصاح بي أبو محمد عليه السلام فقال : (**يا عمة تناوليه وهاتيه فتناولته وأتيت به نحوه ، فلما مثلت بين يدي أبيه وهو على يدي سلم على أبيه فتناوله الحسن عليه السلام مني والطير ترفرف على رأسه وناوله لسانه فشرب منه ، ثم قال : امضي به إلى أمه لترضعه ورديه إلي**) قالت : فتناولته أمه فأرضعته فرددته إلى أبي محمد عليه السلام والطير ترفرف على رأسه فصاح بطير منها فقال له : (**احمله واحفظه ورده إلينا في كل أربعين يوماً**) فتناوله الطير وطار به في جوّ السماء واتبعه سائر الطير فسمعت أبا محمد عليه السلام يقول : (**أستودعك الله الذي أودعته أم موسى موسى**) فبكت نرجس فقال لها : (**اسكتي فإن الرضاع محرم عليه إلا من ثديك وسيعاد إليك كما ردّ موسى إلى أمه ، وذلك قول الله عزّ وجلّ** : ﴿ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [القصص : ١٣]) قالت حكيمة : فقلت : وما هذا الطير ؟ قال : (**هذا روح القدس الموكل بالأئمة عليهم السلام يوفقهم ويسددهم ويربيهم بالعلم**) .

روضة الواعظين : ٢٥٩ ، وكمال الدين وتمام النعمة : ٤٢٩ باب ٤٢ ح ٢ ، والأنوار النعمانية للجزائري : ٢ / ١٨ ، وبحار الأنوار : ٥١ / ١٤ ح ١٤ .

٢ ـ روح الإيمان

وروح الإيمان : وهي روح اليقين القارّ في الجنان بمطابقة عمل الأركان ممَّا يرضي الرَّحمن ، وتوجد في الأنبياء والرُّسل والأئمَّة عليهم السلام ، وفي المؤمنين المُسْتَقرِّي الإيمان .

٣ ـ روح القوَّة

وروح القوَّة : وهو[١] القوَّة التي يقدر بها على حمل الثَّقيل ومعاناة الأشياء الشَّاقَّة .

٤ ـ روح الشَّهوة

وروح الشَّهوة : وهي التي بها يشتهي الأكل والشّرب والنّكاح وما أشبه ذلك .

٥ ـ روح المدرج

وروح المدرج : وهي القوَّة التي بها يدبُّ في[٢] الأرض ويدرج .

وهذه الأرواح الثلاث[٣] توجد في الأنبياء والرُّسل والأئمة عليهم السلام وفي المؤمنين وفي الكافرين وفي سائر الحيوانات ،

(١) في نسخة : وهي .
(٢) في نسخة : على .
(٣) في نسخة : الثلاثة .

فإذا اجتمعت مع روح القدس استولت على الثلاث ومالت بها إلى مقتضاها من الطّاعات ، بحيث لا تخرج عن سلطانها أبداً إلّا أن يشاء الله تعالى ، فهي مستهلكة الالتفات إلى مقتضى نفسها لغلبة روح القدس عليها وإذا اجتمعت مع روح الإيمان ولم تكن معها روح القدس ، وكانت روح الإيمان مطمئنّةً أو(١) راضية ، بل أو راضية مرضية ما لم تكن كاملة كالأولى ، فإنَّ روح الإيمان تستولي على الثّلاث من غير استهلاك ، فتكون الثّلاث في أغلب أحوالها تابعة لرُوح الإيمان .

وقد تحيص حيصة فتميل بطبعها إلى مقتضى ذاتها لعدم فناء طبيعتها بالكلّيّة ، فتقارف المعاصي وتلمّ لَمَماً وتردّها بالمجاهدات روح الإيمان إلى الطّاعة والتّوبة ، وتستدرك ما قصّرت عنه أو فرّطت فيه من مجاهدتها بالتّوبة أو بالنّدم والاستغفار ، وهو كما روي قائم مقام التّوبة لمن لا يريد بنيّته إلّا مراد الله ومحبته ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴾(٢) .

اللّهمّ اغفر لنا ما مضى من ذنوبنا ، واعصمنا فيما بقي من أعمارنا ، إنّك أكرم المسؤولين .

---

(١) في نسخة : مطمئنةً .

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ٢٠١ .

ففي أهل العصمة عليهم السلام خمسة أرواح وفي المؤمنين أربعة أرواح ، وفي الكافرين والمنافقين والمشركين وسائر الحيوانات ثلاثة أرواح وذلك قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾[١] .

بيان حقيقة الروح الأمرية

وأمَّا قوله : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾[٢] ففيه وجه أنَّ الروح الحيواني ، أي المتحرّك بالإرادة ، وذلك لأنَّ بعض اليهود أتوا إلى النَّبيّ صلى الله عليه وآله وقالوا : نسأله عن الرّوح ، فإن أجاب فليس بنبيّ ، لأنَّ الأنبياء حكماء لا يتكلَّمون لأحد بما لا يفهمه ، وإن لم يُجِبْ فهو نبيٌّ ، ولمَّا كان صلى الله عليه وآله حجَّة الله على جميع خلقه ولا يجوز أن يكون لله تعالى حجَّة يسئل فيقول : لا أدري لم يجز ألَّا يجيب إذا سئل ، وكان حكيماً لا يضع الأشياء في غير مواضعها ، ولا يكلِّم أحداً بما لا يفهمه أجاب بحقيقة الجواب على نوع الإبهام[٣] لعدم الجواب فقال : ﴿ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ وذلك بأمر الله وتسديده لنبيّه ، وأمر الله

---

(١) سورة الفرقان ، الآية : ٤٤ .

(٢) سورة الإسراء ، الآية : ٨٥ .

(٣) في نسخة : الإيهام .

هو الحقيقة المحمَّديَّة كما ذكرنا مراراً ويطلق على الفعل أيضاً كما تقدَّم .

إلَّا أنَّه في هذه الآية على هذا التَّوجيه تتعيَّن إرادة الحقيقة المحمَّديَّة منه بقرينة قوله : (من) الدَّالة على الابتداء فإنَّها لا تدخل إلّا على المادَّة ، فتقول : صغت الخاتم من فضَّة ، وخلق الإنسان من تراب .

والفعل لا يصحّ أن يكون مادَّة للمفعول كما ترى في الكتابة ، فإنَّها ليست مركَّبة من حركة اليد بأن تكون مادَّة للكتابة . نعم تكون صورته من هيئة الفعل كما ترى صورة الكتابة من هيئة الفعل .

وأمَّا المفعول الحقيقيّ فكذلك وإن خفي على أكثر الأفهام توهّم أنَّ مادّته من الفعل قياساً على ما فهم من ضرب ضرباً فإنَّ ضرباً هو المفعول الحقيقي ، وهو الذي يقع غايةً وتأكيداً ، لأنَّه ناشىء منه وليس كما فهم من ضرباً وإن كان ضرباً آية للمفعولات بفعل الله ، إلّا أنَّ أحرفه ليست هي أحرف ضرب بعينها ولا منها ، وإنَّما هي مصاغة في قالب أحرف ضرب ، بمعنى أنَّ المتكلّم جذب هواءً إلى جوفه وصاغه أحرفاً بِآلَةِ مخارج[1] الحروف من لسانه وأسنَانه ولهاته وحلقه ، فلمَّا قال : ضرب وأتى

(١) في نسخة : مخرج .

بلفظ دالّ على الفعل وأراد أن يؤكّده بأثره ، والإتيان بغايته وأثره لا يكون إلّا بما يشابهه ، فجذب هواء كالأوّل ، وصاغ حروفه في قالب حروفه ليعلم أنَّه أثره وتأكيداً له ناشىء عنه وليس ناشئاً منه .

فالفعل أحدثه الله بنفسه في الإمكان الرَّاجح وأخذ به هواءً إمكانياً من الرَّاجح ، فصاغه به فيه ، وهو النُّور المحمَّدي صلى الله عليه وآله ثمَّ بعد ما شاء الله من الدُّهور صاغ من[1] النُّور ومن قابليّته التي هي الزَّيت الذي يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار ، أي ولو لم يتعلَّق به الفعل المكنَّى عنه بالنَّار ، أي المشيئة بالفعل المذكور عقلاً ، وهو عقل الكلّ المسمّى بالعقل الكلّي ، وبالرّوح من أمر الله وهو النُّور الأبيض ، وروحاً وهو روح القدس ، وهو روح الكلّ المسمَّى بالرّوح الكلّي ، وبالرّوح من أمر ربِّي ، وقد يطلق على النَّفس أيضاً فيقال : قبض ملك الموت روحه أو نفسه ، وتطلق على العقل ، قال صلى الله عليه وآله : (**أوّل ما خلق الله العقل**)[2] . (**وأوَّل ما خلق الله روحي**)[3] .

---

(١) في نسخة : هذا .

(٢) محاسن البرقي : ١ / ١٩٦، الكافي : ١ / ٢١ ح ١٤ .
وفي لفظ : (**أوّل ما خلق الله عقلي**) انظر شرح الأسماء الحسنى : ١ / ٢٠٣، ونظم المتناثر : ١٨٥ ح ١٩٤، وبحار الأنوار : ١٥ / ٢٤، ومشارق أنوار اليقين : ٤٢ .

(٣) انظر المصدر السابق .

وقال الصَّادق عليه السلام : (**إنَّ الله خلق العقل وهو أوَّل خلق [خلقه]**[(١)] **من الرُّوحانيِّين عن يمين العرش**)[(٢)] .

وفيه وجهٌ آخَرُ ، وهو أنَّه ملك أعظم من جبرائيل وميكائيل .

وروي عنه عليه السلام وهو الذي أشرنا إليه بأنَّه من أمر الله أو من أمر ربِّي ، وهو من الملكوت[(٣)] .

بيان المراد من الملكوت

واعلم أنَّه قد وقع خلاف في الملكوت ، وقد أشرنا إليه قبل

---

(١) زيادة من المصدر .

(٢) في الكافي بإسناده عن الصادق عليه السلام قال : (**إنّ الله خلق العقل وهو أوّل خلق (خلقه) من الروحانيين ، عن يمين العرش من نوره ، فقال له : أدبر فأدبر ، ثمّ قال له : أقبل فأقبل ، فقال الله تعالى : خلقتك (خلقاً) عظيماً وكرّمتك على جميع خلقي**) . ثم قال : (**خلق الجهل من البحر الأجاج ظلمانياً ، فقال له أدبر فأدبر ، ثمّ قال له : أقبل ، فلم يقبل ، فقال له استكبرت ، فلعنه**) محاسن البرقي : ١ / ١٩٦ ، والكافي : ١ / ٢١ ح ١٤ ، وعوالم العلوم والمعارف للبحراني : ٤٩ ـ ٥٠ قسم العقل .

(٣) في الكافي روى أبو بصير قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْـرِ رَبِّى ﴾ [الإسراء : ٨٥] قال : (**خلق أعظم من جبرائيل وميكائيل لم يكن مع أحد ممن مضى غير محمد صلى الله عليه وآله وهو مع الأئمة عليهم السلام يسدّدهم وليس كلّ ما طلب وجد**) . انظر أصول الكافي : ١ / ٢٧٣ ح ٤ ، وبصائر الدرجات : ٤٥١ ـ ٤٤٥ ، والأنوار النعمانية : ٢ / ١٨ .

وقد تقدم تفصيل ذلك من المصنف قدس سره في الجزء الأول فليراجع .

هذا فيما تقدَّم إلى بعضه ، والأكثر على أنَّه تحت الجبروت ، والجبروت فوقه بناء على أنَّ الملكوت عالم النُّفوس ، والجبروت عالم الأرواح وقال بعض بالعكس وهو مرويّ أيضاً ، وهنا في هذا الحديث فيه احتمالان ناشئان من أنَّ الرّوح المذكورة في الحديث المفسّر للآية هل المُراد به العقل الذي هو من أمر الله ؟ أم الرّوح التي هي من أمر الرَّبّ ؟ والفرق في التَّعبير بين أمر الله وأمر الرَّبّ أنّا نريد بأمر الرّب ، أي المربِّي ، وهو اسم الرَّحمن الذي استوى برحمانيّته على العرش فأعطى كلّ ذي حقّ حقّه ، وساق إلى كلّ مخلوق رزقه ، وأمر الله هو اسم الله ، وهو العقل والألف القائم ، وصورته في بساطته هكذا (ا) ، والألف المبسوط هو النَّفس ، أي اللَّوح المحفوظ ، وصورته هكذا (ا) والرّوح بينهما وصورتها هكذا (لـ) فافهم .

في بيان روح القدس

قال : وقد أَخَذَ هذا الكلام من أحاديث أئمَّتنا المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين ، والمراد من روح القدس الرّوح الذي كان مع الله من غير مراجعة إلى ذاته ، وهو المسمَّى عند الحكماء بالعقل الفعَّال ، ومن روح الإيمان العقل (المستفاد) الذي صار عقلاً بالفعل بعدما كان عقلاً بالقوَّة ، ومن روح القوَّة النَّفس الناطقة الإنسانيَّة وهي عقل هيولاني بالقوَّة ، ومن روح الشَّهوة

النَّفس الحيوانية التي شأنها الشَّهوة والغضب ، ومن روح المدرج الرّوح الطبيعي الذي هو مبدأ التَّنمية والتَّغذية ، وهذه الأرواح الخمسة متعاقبة الحُصول في الإنسان على التَّدريج .

أقول : قوله : (أخذ هذا الكلام) إلخ يريد به الصَّدوق رحمه الله وقوله : (والمراد من روح القدس - إلى قوله - إلى ذاته) يريد منه غير ما تدلّ عليه عبارته ، فإنَّ الذي تدلُّ عليه عبارته أنَّه الرّوح المخلوقة وهو الملك الذي يكون مع الأنبياء والرُّسل والأئمَّة عليهم السلام وأنَّها مع الله بالإقبال عليه وعدم الغفلة عن ذكره ، ولذا قال : وهو المسمَّى عند الحكماء بالعقل الفعَّال .

وأمَّا مراده ، فإنَّه يعني به الرّوح الذي هو أمره تعالى ، وهو : (كن) ، وليس صادراً من (كن) الذي هو أمره ، وهو ناشىء من ذات الله نشوء الضّوء من الشَّمس ، والنَّداوة من البحر ، كما تقدَّم الإشارة إليه وإلى فساده .

وأمَّا قوله : (بالعقل الفعَّال) فاعلم أنَّ العقل الفعَّال يطلقه الحكماء الإلهيُّون الأوَّلون على عقل الكلّ الذي فوَّض الله تعالى إليه الإيجاد ، فهو بالله يصنع ما دونه ، وبعضهم وهم أصحاب العقول العشرة يطلقونه على العقل العاشر الذي هو عقل العناصر ، وقد قرَّرنا بطلان قول هؤلاء ، ولو فرض صحّته فالعقل الكلّ[(١)] أحقّ بهذه الصِّفة .

---

(١) في نسخة : الكلّيّ .

وفي العلل للصّدوق رحمه الله بسنده إلى عمر بن عليّ عن أبيه علي بن أبي طالب صلوات الله عليه أنَّ النَّبيّ صلى الله عليه وآله سئل ممَّ خَلق الله عزَّ وجلَّ العقل فقال : (**خلقه ملكاً له رؤوس بعدد الخلائق من خُلِقَ ومن لم يُخلَق إلى يوم القيامة ، ولكلّ رأس وجه ، ولكلّ آدمي رأس من رؤوس العقل ، واسم ذلك الإنسان على وجه ذلك الرأس مكتوب على كلّ وجه سترٌ ملقىً ، لا يكشف ذلك السّتر من ذلك الوجه حتَّى يولد هذا المولود ويبلغ حدّ الرِّجال أو حدّ النِّساء ، فإذا بلغ كشف ذلك السّتر ، فيقع في قلب هذا الإنسان نور ، فيفهم الفريضة والسُّنَّة والجيّد والرَّديّ ، ألا ومثل العقل في القلب كمثل السِّراج وسط البيت**)[١] انتهى .

أقول : فهذا بعض ما ذكر من فعله في عالم الغيب وما ذكر في فعله في عالم الشَّهادة ، والشَّهادة قول الله عزَّ وجلَّ له : (**أقبل فأقبل ، ثمَّ قال له : أدبر فأدبر فقال تعالى : وعزَّتي وجلالي ما خلقت خلقاً أحبّ إليَّ منك ، بك أُثيب ، وبك أُعاقب ، ولا أكملتك إلّا فيمن أُحب**)[٢] انتهى .

أقول : وقد تقدَّم أنَّه يكون مع الأنبياء والمرسلين بوجه من وجوهه ، وهو روح عصمتهم ولم ينزل بكلّه قبل ولادة محمَّد

(١) علل الشرائع : ١ / ٩٨ ح ١، ومستدرك الوسائل : ١ / ٨١ ح ٣١، والبحار : ١ / ٩٩ ح ١٤ .

(٢) الكافي : ١ / ١٠ ح ١، ووسائل الشيعة : ١ / ٣٩ ح ٦٢ .

صلى الله عليه وآله ومنذ نزل عليه لم يصعد قطّ ، فهو بكلّه مع خلفائه عليهم السلام وهو الآن بكلّه مع الحجَّة عليه السلام ، وهو باب إجابة المعصومين ، فمَنْ كانَ عنده بوجه ، فكلّ ما طلب من بابية ذلك الوجه أتاه به ذلك الوجه ، وليس غير ذلك الوجه ، ومحمَّد وآله صلى الله عليه وآله هو عندهم بكلّه ، فكلّ ما يسألون منه يأتيهم به ، وهو نُورُ ليلة القدر .

روى الحسن بن سليمان الحلّي[(١)] في مختصر بصائر سعد بن عبد الله الأشعري[(٢)] .

وفيه عن الحسن بن عبَّاس بن جريش ، عن أبي جعفر الجواد عليه السلام قال : سأل أبا عبد الله عليه السلام رجل من أهل بيته عن سورة ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾[(٣)] فقال : (**ويلك سألت عن عظيم ، إيَّاك والسّؤال عن مثل هذا**) .

فقام الرجل ، قال : فأتيته يوماً فأقبلتُ عليه فسألتُه[(٤)] فقال

---

(١) هو الشيخ عزّ الدين أبو محمّد الحسن بن سليمان بن محمّد بن خالد الحلّي المولد ، العاملي المحتد ، من تلامذة الشهيد الأوّل المستشهد سنة ٧٨٦ هـ ، كان حيّاً سنة ٨٠٢ هـ . انظر روضات الجنّات : ٢ / ٢٩٣ ـ ٢٩٤، وأمل الآمل : ٢ / ٦٦ .

(٢) هو الشيخ سعد بن عبد الله بن أبي خلف الأشعري القمّي ، المعاصر للإمام الحسن العسكري عليه السلام .

(٣) سورة القدر ، الآية : ١ .

(٤) في نسخة : وسألته .

عليه السلام : (﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ ﴾ **نور عند الأنبياء وعند الأوصياء ، لا يريدون حاجة من السَّماء ولا من الأرض إلّا ذكروها لذلك النُّور فأتاهم بها**)[١] .

وفيه بهذا السند قال الصادق عليه السلام : (﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ ﴾ **نور كهيئة العين على رأس النَّبي والأوصياء عليه وعليهم السلام صلوات الله عليه وعليهم أجمعين لا يريد أحد منَّا علم[٢] أمر من أمر الأرض أو من أمر السَّماء إلى الحجب التي بين الله وبين العرش إلّا رفع طرفه إلى ذلك النُّور فرأى تفسير الذي أراد مكتُوباً**)[٣] انتهى .

أقول : قوله : (كهيئة العين) قيل : لعلَّ المراد بالعين هنا عين الشَّمس ، ويحتمل أن يكون المراد[٤] بها الدور بين الدورتين . انتهى .

والذي أفهم أنَّ المراد بها عين تعقله[٥] من دماغه عليه السلام .

---

(١) بصائر الدرجات : ٣٠٠، والبحار : ٢٥ / ٥١ .
(٢) في نسخة : على .
(٣) بصائر الدرجات : ٤٦٢ ح ٥، والبحار : ٢٦ / ١٣٥ ح ١١ .
(٤) في نسخة : أن يراد .
(٥) في نسخة : تعلّقه .

معاني العقل وأقسامه

قوله : (ومن روح الإيمان ـ يعني به المراد من روح الإيمان ـ العقل المستفاد الذي صار عقلاً بالفعل بعدما كان عقلاً بالقوَّة) .

أقول : العقل لغةً الحَبْسُ ، وعند أهل الشَّرائع والملل يطلق على معان على حسب مراداتهم ومذاقاتهم .

١ ـ العقل هو التَّكليف الشَّرعيّ

الأوَّل : العقل الذي هو مناط التَّكليف الشَّرعيّ من حيث إنَّه يدعو إلى التأدّب بالآداب الشَّرعيَّة بقدر الوسع ، أو دون الوسع ، علماً وعملاً ، فلا يتوجه إلى فاقده التكليف ، وقيل في تحديده بوجوه متقاربة :

منها : أنَّه قوَّة غريزيَّة يلزمها العلم بالضَّروريات عند سلامة الآلات ، فالنائم على هذا التَّعريف لا يسمَّى عاقلاً لعدم العلم ، ومثله ما يعرف به حُسْنُ الحَسَن وقبح القبيح .

ومنها : أنَّه قوَّة إدراك الخير والشَّرّ والتَّميز[1] بينهما والتَّمكّن من معرفة أسباب الأُمور وما يؤدِّي إليها وما يمنع منها .

ومنها : أنَّه العلم ببعض الضَّروريَّات ، وهو العقل بالملكة ،

---

(١) في نسخة : التَّمييز .

وقريب منه ما قيل : إنَّه العلم بوجوب الواجب واستحالة المستحيل في مجاري العادات .

ومنها : أنَّه عدم الجنون عمَّا من شأنه ذلك ، فهو صفة أُولى للإنسان تدعو إلى الأفعال الحسنة ، وضدّه الجهل والهوى ، أو صفة يستعدّ بها لاستنتاج[1] المجهولات من المعلومات ، وضدّه الجنون .

٢ ـ العقل هو العلم التَّامّ

المعنى الثاني : العقل هو العلم التَّامّ بالشَّيء الحاصل من التَّأمُّل التَّامّ فيه .

٣ ـ العقل هو التَّأدّب بالآداب الحسنة

المعنى الثالث : هو التَّأدّب بالآداب الحسنة في طلب العلم بالأشياء من حيث حسنها وقبحها ، وكمالها ونقصها ، ونفعها وضرّها ، والعمل بذلك .

٤ ـ العقل هو التَّأدُّب بالآداب المستفادة

المعنى الرابع : العقل هو التَّأدُّب بالآداب المستفادة من التَّجارب بمجاري الأحوال .

---

(١) في نسخة : لاستفتاح .

٥ ـ العقل هو جودة الذّهن

المعنى الخامس : العقل هو جودة الذّهن وسرعة انتقاله إلى الدقائق مع حبس النَّفس على الحقّ ، وهو الذي أُشير إليه في الحديث : **(العقل ما عُبِدَ به الرَّحمن واكتسب به الجنان)**[١] وقد يطلق عليه : الذكاء ، والفطنة ، والفهم ، والبصيرة ، وكذا الكياسة ، وإن كان مع حبس النَّفس على ضدّ الحقّ مع رعاية منافع الدُّنيا فقط فليس بعقل ، بل تسمَّى[٢] النكراء ، والشيطنة ، والجربزة ، والفطانة البتراء ، ويقابل هذا : العقل ، الجهل ، والحمق ، والغباوة ، والبلاهة ، والبلادة .

٦ ـ العقل هو ميل النَّفس إلى الأفعال الحسنة

المعنى السادس : العقل ميل النَّفس إلى الأفعال الحسنة ، والعقل بهذا المعنى فطريّ وكسبيّ ، وكذا بالمعنى الذي قبله ، والفطريّ منه ما خلقه الله تعالى مع خلق النّطفة وهو الأعلى من مراتب الفطريّ ، ومنه ما يخلق عند الولادة وهو المتوسّط ، ومنه ما يخلق عند البلوغ وهو الأدنى ، والكسبيّ ما يحصُل بعد ذلك بتكرّر مراجعة العقل في المعاني ومعالجة الصَّنائع ووقته كلّ العمر ، وهو قول الحكماء في إشاراتهم : إنَّ زمن الرَّبيع لا يعدم

---

(١) شرح أصول الكافي : ١ / ١٥٤، وتفسير الميزان : ١ / ٣٠٠ .

(٢) في نسخة : يسمَّى .

من العالم ، أي أنَّ وقت تحصيل الكمالات لا يفقد في أوَّل العمر وفي وسطه وفي آخره .

وهذا الكسبيّ اختياريّ ، فمن طلب وجد .

وأمَّا الفطريّ فقيل : إنَّه اختياري عند التَّكليف الأوَّل في عالم الذَّرّ ، وقيل : إنَّه إيجابيّ ، لأنَّ تنزّلات العقل الأوَّل في المراتب الكونيَّة عند ظهوره بها بإذن الله عزَّ وجلَّ إيجابيّ تكويني .

أقول : والحقّ أنَّه اختياريّ ، بل الحقّ أنَّه ليس في الوجود اضطرار ، بل كلّ الموجودات مختارة لأنَّها[1] أثر المختار ، فهم من فهم ، وقد حقَّقناه في مباحثاتنا وفي الفوائد بما لا مزيد عليه ولا مناص عنه .

٧ ـ العقل هو النَّفس النَّاطقة الإنسانيَّة

المعنى السابع : العقل هو النَّفس النَّاطقة الإنسانيَّة باعتبار مراتبها في استكمالها علماً وعملاً ، ويطلق هذا المعنى على نفس تلك المراتب وعلى قواها في تلك المراتب ، وذلك أنَّ للنَّفس قوَّة باعتبار تأثّرها عمَّا فوقها وتلقّيها ما يكمل جوهرها من التَّعقّلات ، ويسمَّى ذلك عقلاً نظريًّا ، وباعتبار تأثيرها في البدن بتكميل جوهره اختياريًّا لأنَّه آلة لها في تحصيل العلم والعمل ، وللنَّفس أيضاً قوَّة أُخرى تسمَّى عقلاً عمليًّا .

(١) في نسخة : لأنَّه .

مراتب العقل النَّظريّ

وللأوَّل : ـ أعني العقل النَّظريّ ـ أربع مراتب :

الأولى : استعداد بعيد للكمال وهو محض قابليتها للإدراك ، ويسمَّى عقلاً هيولانيًّا تشبيهاً بالهيولى المجرَّدة عن الصُّور احترازاً عن الهيولى الثَّانية التي أخذت الصّورة فيها ـ أعني المادَّة ـ وهي الجسم .

الثَّانية : استعداد متوسط لتحصيل النَّظريَّات بعد حصول الضَّروريات بالأولى ، ويسمَّى عقلاً بالملكة ، يعني بالقوَّة لا بالفعل .

الثَّالثة : استعداد قريب لاستحضار النَّظريَّات متى شاء ، ويسمَّى عقلاً بالفعل ، وقيل : يسمَّى هذا عقلاً مستفاداً .

الرَّابعة : الكمال ، وهو تحصيل النَّظريَّات مشاهدة ، ويسمَّى عقلاً مستفاداً ، وقيل : يسمَّى هذا عقلاً بالفعل ، وقد يعتبر هذا بالقياس إلى جميع مدركاته ، بحيث لا يغيب عنه شيء ، وهو بهذا المعنى إنَّما يكون في الآخرة ، كذا قيل .

ومنهم من جوّزه في الدُّنيا لنفوس قويَّة لا تشتغل بشيء ، ولا شكَّ في وجوده في الدُّنيا مع أهل العصمة عليهم السلام وهو قوله

تعالى[١] : (**ولا أكملتك إلّا فيمن أحب**)[٢] وأهل محبته على الحقيقة محمّد وأهل بيته الطّاهرين عليه وعليهم السلام ومن دونهم شيعتهم من الأنبياء والمرسلين والخصّيصين من أتباعهم .

وللثّاني : وهو العقل العملي أيضاً أربع مراتب :

الأولى : تهذيب الظاهر باستعمال الشّرائع المعنويّة .

الثّانية : تهذيب الباطن من المهلكات الرّديّة ، وترك الشّواغل عن عالم الغيب .

الثالثة : تجلّي النّفس بالصّور القدسيّة بعد القرب والاتصال بعالم الغيب بمباشرة روح اليقين .

الرّابعة : انجلاء ضياء المعرفة بالفؤاد واسغراقه بأنوار الجلال والجمال ، وهو مقام الصّدق في المحبّة مع الله في جميع المواطن ، بحيث لا يفقده حيث يحبّ ولا يجده حيث يكره .

ما يطلق عليه اسم العقل

واعلم أنّ ما يطلق عليه اسم العقل اثنان :

أحدهما : الجوهر الدّرّاك للأشياء ، وهو متعلّق بباطن الجسم الصّنوبريّ الذي في الصّدر ، وهو القلب الذي عناه الله سبحانه

---

(١) في الحديث القدسي .

(٢) كنز الفوائد للكراجكي : ١٤، وشرح الكافي : ١ / ٧١ .

بقوله تعالى : ﴿ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾[1] تعلّق التَّدبير .

ومرادنا بقولنا : بباطن الجسم ، أنَّه لا يتعلَّق بالأجسام إلّا بالواسطة ، والواسطة هنا هي النَّفسُ المسماةُ بالصَّدر ، فإنَّ المراد بالصدر هنا هو النَّفْس والخيال ، فإنَّه صدر القلب الذي هو العقل الجوهريّ ، وهو رأس من العقل الكلّيّ أو وجه منه ، فالنَّفسُ مستنيرة بإشراقه عليها كاستنارة الجدار بإشراق الشَّمس عليهِ .

وثانيهما : فعله ، وإدراكه ، وبصره ، وسمعه ، وهو متعلّق بباطن الدِّماغ ، ومرادنا بباطن الدِّماغ الذي في الرَّأس فعل النَّفس والخيال وإدراكهما ، وبصرهما ، وسمعهما ، وذلك في دماغ الرَّأس ، فهما ـ أي فعل النَّفس والخيال ـ وإدراكهما وبصرهما وسمعهما مشرقان بإشراق وجه العقل عليهما كإشراق النَّفس والخيال بإشراق القلب عليهما ، والأوَّل رأس من عقل الكلّ ، وذلك الرَّأس هو أمر الله الخاصّ بعقل ذلك الشَّخص ، وعقل ذلك الشَّخص الخاصّ به الذي يقبل الزِّيادة والنقصان هو إشراق وجهه ، أعني الرَّأس الخاصّ به من العقل الكلّيّ عليه ، فالإشراق عقل الشَّخص يزيد بإصلاح قلبه بحسن الغذاء وبالأعمال الصَّالحة والنِّيَّات الخالصة ، وينقص بعكس ذلك .

---

(١) سورة الحج ، الآية : ٤٦ .

وأمّا وجهه الخاصّ به من عقل[1] الكلّ فلا يزيد ولا ينقص ، والمستفاد وبالفعل هو القابل للزّيادة والنّقصان ، وحيث كان اختيار المصنّف أنَّ المستفاد هو النّهاية جعله روح الإيمان ، وكان الذي يجول في خاطري أنَّ المرتبة الثَّالثة هي المستفاد وبالفعل هي الرَّابعة .

الفرق بين روح الإيمان والعقل

ثمَّ اعلم أنَّ روح الإيمان ليست هي العقل ، لأنَّ العقل هو وجه الوجود ، أعني الفؤاد الذي هو حقيقة الشيء من ربّه ، وهو نور الله الذي ينظر به المؤمن ، وله هيكل معنويّ مركَّب من حدود جبروتيَّة معنويَّة ، أحدها : روح الإيمان ، فروح الإيمان ركن من أركان العقل الشَّرعيّ ، لأنَّه نور صوّر على هيئات هياكل التَّوحيد .

وقوله : في وصف (المستفاد الذي صار عقلاً بالفعل بعدما كان عقلاً بالقوّة)[2] يريد به الفعل ما يقابل القوَّة لا قسيم المستفاد .

وقوله : (ومن روح القوَّة ـ أي المراد من روح القوَّة في الحديث ـ النَّفس النَّاطقة الإنسانيَّة وهي عقل هيولاني بالقوَّة) ليس بصحيح ، لأنَّ العقل بجميع أنواعه قوى للنَّفس النَّاطقة الإنسانيَّة ، لأنَّه إن أراد بها الفلكيَّة ـ أي الحيوانيَّة الحسِّيَّة ـ فهذه مركب

---

(١) في نسخة : العقل .

(٢) في نسخة أخرى : بالفعل .

للنَّفس الكليَّة التي هي مركب العقل ، وإن أراد بها النَّاطقة القدسيَّة ، فالعقل من قواها ، بل هو مركبها وهي روحه ، لأنَّها هي الفؤاد مَنْ عَرَفَ نفسه فقد عرف ربّه ، على أنَّ الإمام عليه السلام في نفس حديث الأرواح الخمس فسَّرها بالقوَّة التي يحمل بها الأثقال ، ولهذا تكون في كلّ حيوان ناطق أو صامت ، وأين هذه من العقل الهيولاني الذي النُّور الأولي ، أعني أوَّل إشراق وجهه من عقل[١] الكلّ على باطن قلبه الصَّنوبريّ .

وكذلك قوله : (المراد من روح الشَّهوة النَّفس الحيوانيَّة) فإنَّ هذه هي الحسَّاسة الفلكيَّة التي أصلها الأفلاك ومقرَّها القلبَ ، لها قوى ثلاث : روح المدرج ، وروح الشَّهوة ، وروح القوَّة ، والإمام عليه السلام حين ذكر الأرواح فسَّر روح القوَّة بالقُّوة التي يحمل بها الثَّقيل ، وروح الشَّهوة التي بها يأكل ويشرب وينكح ، وروح المدرج التي بها يدبُّ ويدرج ويمشي وكلّ الثلاث من قوى الحيوانيَّة الحسَّاسة الفلكيَّة .

وإنَّما فسَّرها بهذا حيث لم يأخذ الحديث من أصله ، وإنَّما أخذه من اعتقاد ابن بابويه[٢] ، فاقتصر على ما فيه ووجَّه الأرواح الثَّلاث على هذه المعاني الغيبيَّة .

---

(١) في نسخة : العقل .

(٢) هو الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه المشتهر بالصدوق . =

والمراد من الطَّبيعيّ الذي هو مبدأ النّموّ هو النَّفسُ النَّباتيَّة، وهي غذاء تركّب من جزء من التُّراب، وجزء من الهواء، وجزء من النَّار، وجزأين من الماء بعد تعديلها وتميّزها عن الغرائب على ما قرَّر في العلم الطَّبيعيّ.

قوله: (وهذه الخمسة متعاقبة الحُصول على التَّدريج) يريد أنَّ كلّ واحدة شرط لما بعدها والشَّرط سابق على المشروط فتكون متعاقبة في حصولها للشَّيء شيئاً فشيئاً.

وهذا الكلام ربَّما يجري في البعض لكن ليس على ترتيب ما ذكره، لأنَّ الثلاثة الأواخر ـ أعني روح القوَّة وروح الشَّهوة وروح المدرج ـ في الحقيقة متساوقة لكن كلّ واحدة من متمِّمات الأُخرى، لكن إذا غفلنا عن هذا النَّظر في الحقيقة واعتبرنا الظَّاهر، فالحصولُ قسمان: حصول دهريّ وحصول زمانيّ.

بيان الحصول الدهريّ والحصول الزمانيّ

أمَّا الحصُولُ الدَّهري: فالسَّابقة روح القدس بما لا يكاد يتناهى، وفي الحصول الزَّمانيّ: هي آخرها حصولاً، ومن دون روح القدس، في الحصول الدَّهريّ روح الإيمان، وهي قبل روح القدس في الزَّمانيّ(١). ومن دونها روح القوَّة في الحصول

= ولد بدعاء الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه بقم المقدسة بعد سنة ٣٠٥ هـ توفي بالري سنة ٣٨١ هـ ودفن فيها قرب السيد عبد العظيم الحسني.

(١) في نسخة: الزَّمان.

الدَّهريّ ، لكونها من آثار الطَّبيعة الكلّيَّة كما أشار سبحانه إليه ، قال تعالى : ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ ﴾(١) وهو جبرائيل عليه السلام حامل النُّور الأحمر ، وهو الطَّبيعة .

ومن دون روح القوَّة روح المدرج في الدَّهريّ ، وهي بعد روح الشَّهوة في الحصول الزَّمانيّ ، لأنَّ روح الشَّهوة هي ميله إلى التّكوّن والغذاء ، وهو حاصل في النّطفة .

قال : فالإنسان ما دام في الرَّحم ليس له إلّا النَّفسُ النَّباتيَّة ، ثمَّ تنشأ له بعد الولادة النَّفس الحيوانيَّة ـ أعني القوَّة الخياليَّةَ ـ ثمَّ يحدث له في أوان البلوغ الحيوانيّ(٢) والاشتداد الصّوري النَّفس النَّاطقة ، وهو العقل العلمي . وأمَّا العقل بالفعل فلا يحدث إلّا في أفراد البشر وهم العرفاء والمؤمنون حقاً بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر . وأمَّا روح القدس فهو المخصوص بأولياء الله .

أقول : قوله : (فالإنسان ما دام في الرَّحم ليس له إلّا النَّفس النَّباتيَّة) ، يدلُّ على أنَّه يريد بتلك الأرواح المذكورة (ما فوق) الماديات لحصره(٣) الإنسان من النّطفة إلى الولادة في النَّفس

---

(١) سورة النجم ، الآيتان : ٥ ، ٦ .

(٢) في نسخة : الحيوانية .

(٣) في نسخة : بحصره .

النَّباتيَّة ، وقد أشرنا إلى أنَّ أرواح[١] الشهوة مساوقة للنَّباتيَّة ، لأنَّ النّمو إنَّما يكون بالاغتذاء بالملائم ، ولا نعني بروح الشَّهوة إلّا الميل إلى الملائم ، وهذا موجود في النّطفة ، وإلَّا لم تكن علقة . نعم هي في الحيوان أظهر ، وهي تلك بعينها ، ولكنَّها قبل ضعيفة لضعف إحساس النّطفة بالنّسبة إلى إحساس الحيوان وإن كانت فيها وراء هذا العالم ظاهرة .

قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه : (**إنَّ لله في كلّ يوم ثلاثة عساكر : عسكر ينزلون من الأصلاب إلى الأرحام ، وعسكر ينزلون من الأرحام إلى فضاء الدُّنيا ، وعسكر يرتحلون من الدُّنيا إلى الآخرة**)[٢] انتهى .

والمصنّف تَكَلَّفَ هذا التَّأويل بصرف تلك القوى إلى النُّفوس لأجل ذكرها بلفظ الأرواح .

والإمام عليه السلام بيَّن أنَّ روح القوَّة مثلاً بها يحمل الثَّقيل ، وروح المدرج بها يسعى ويدبّ ويدرج ، وروح الشَّهوة بها يأكل ويشرب وينكح وكلّ هذه أرواح مزاجيَّة ، وهي قوى للنَّفس الحيوانيَّة الحسِّيَّة ، لا أنَّ روح القوَّة التي يحمل بها الثَّقيل هو العقل الهيولانيّ كما توهَّمه ، ولا أنَّ روح الشَّهوة التي بها يأكل

(١) في نسخة : روح .
(٢) روضة الواعظين : ٤٩ .

ويشرب وهو القوَّة الخياليَّة ، ولا أنَّ روح المدرج هو الذي يحدث عند البلوغ الحيوانيّ .

فعلى قوله : (لا يقدر على المشي[١] قبل البلوغ حتَّى يحصل له العقل العلميّ) أي الكسبيّ وأين كلامه من كلام الإمام عليه السلام وإنَّما تكلَّف هذا التَّأويل البعيد حيث إنَّ الإمام عليه السلام عبَّر عنها بالأرواح ، والمصنّف لا يعرف من الأرواح إلّا المجرّدات .

وقوله : (وأمَّا العقل بالفعل فلا يحدث إلّا في أفرادِ البشر) ويريد به المرتبة الثَّالثة من العقل وهو المستفاد ، ويريد به ما أراد الإمام عليه السلام من روح الإيمان ، وليس كما أراد ، لأنَّه عليه السلام يعني بروح الإيمان نور اليقين الناشىء عن الأعمال الصَّالحة والنِّيَّات الخالصة ، لا التَّلوين النَّاشىء من مداومة قراءة المثنويّ وأوهام الملَّا رومي كما قال (وهم العرفاء) ، وعطفه المؤمنين على العرفاء يدلّ على أنَّهم غيرهم .

وعلى كلِّ تقدير فإنَّما يعني ما يزنه بميزانه ، فالمؤمنون حقًّا بالله عندهم[٢] الَّذين يقولون : إنَّ بسيط الحقيقة كلّ الأشياء وأمثالُ هذا في الملائكة والكتب والرُّسل واليوم الآخر ، فإنَّ اللَّفظ وإن صحَّ في أصل الوضع لم يصحّ في نفس إرادته .

---

(١) في نسخة : الشَّيء .

(٢) في نسخة : عنده .

وأمَّا روح القدس ، فكما قال مخصوص بأولياء الله إلّا أنَّ المراد منها في هذا المكان غير الملك الذي يسدّدهم عليهم السلام(١) ، بل المراد به نفوسهم الملكوتيَّة الإلهيَّة التي أصلها العقل ، منه بدت وعنه وعت كما يأتي إن شاء الله .

---

(١) في الكافي روى أبو بصير قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْـرِ رَبِّى ﴾ [الإسراء : ٨٥] قال : **(خلق أعظم من جبرائيل وميكائيل لم يكن مع أحد ممن مضى غير محمد صلى الله عليه وآله وهو مع الأئمة عليهم السلام يسدّدهم وليس كلّ ما طلب وجد)** أصول الكافي : ١ / ٢٧٣ ح ٤ ، وبصائر الدرجات : ٤٥١ ـ ٤٤٥ ، ونور الثقلين : ٤ / ٥١٣ ح ٢٣ مورد آية المؤمن ١٥ .

وعن الإمام العسكري عليه السلام في قصة ولادة الإمام المهدي عليه السلام وحكيمة : (فصاح بي أبو محمد عليه السلام فقال : **(يا عمة تناوليه وهاتيه فتناولته وأتيت به نحوه ، فلما مثلت بين يدي أبيه وهو على يدي سلم على أبيه فتناوله الحسن عليه السلام مني والطير ترفرف على رأسه وناوله لسانه فشرب منه ، ثم قال : امضي به إلى أمه لترضعه ورديه إلي)** قالت : فتناولته أمه فأرضعته فرددته إلى أبي محمد عليه السلام والطير ترفرف على رأسه فصاح بطير منها فقال له : **(احمله واحفظه ورده إلينا في كل أربعين يوماً)** فتناوله الطير وطار به في جوّ السماء واتبعه سائر الطير فسمعت أبا محمد عليه السلام يقول : **(أستودعك الله الذي أودعته أم موسى موسى)** فبكت نرجس فقال لها : **(اسكتي فإن الرضاع محرم عليه إلا من ثديك وسيعاد إليك كما ردّ موسى إلى أمه ، وذلك قول الله عزّ وجلّ** : ﴿ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴾ [القصص : ١٣]) **قالت حكيمة : فقلت : وما هذا الطير ؟ قال : (هذا روح القدس الموكل بالأئمة عليهم السلام يوفقهم ويسددهم ويربيهم بالعلم)** .

روضة الواعظين : ٢٥٩ ، وكمال الدين وتمام النعمة : ٤٢٩ باب ٤٢ ح ٢ ، والأنوار النعمانية للجزائري : ٢ / ١٨ ، وبحار الأنوار : ٥١ / ١٤ ح ١٤ .

أنوار الأرواح الخمسة

وقال : وهذه الأرواح الخمسة أنوار متفاوتة في شدَّة النُّوريّة وضعفها ، كلّها موجودة بوجود واحد ، أي مراتب مندرجة[١] الحُصُول فيمن وجدت له ، والذي يَعْضُدُ ما ذكره صاحب الاعتقادات من طريق الرِّواية ما نقل عن كميل بن زياد أنَّه قال : سألت مولانا أمير المؤمنين (صلوات الله عليه وعلى أولاده أجمعين) فقلتُ : يا أمير المؤمنين أُريد أن تعرّفني نفسي ، قِال : (يا كميل أيّ نفس تريد أن أُعرّفك ؟) قلت : يا مولاي ، وهل هي إلّا نفس واحدة ؟

قال : (يا كميل إنَّها هي أربع : النَّامية النَّباتيَّة ، والحسِّيَّة الحيوانيَّة ، والنَّاطقة القدسيَّة ، والكلّيَّة الإلهيَّة ، ولكلّ واحدة من هذه خمس قوى وخاصيّتان فالنَّامية النَّباتيَّة لها خمس قوى : جاذبة ، وماسكة ، وهاضمة ، ودافعة ، ومربيَّة ، ولها خاصيتان : الزِّيادة والنّقصان ، وانبعاثها من الكبد . والحسِّيَّة الحيوانيَّة لها خمس قوى : سمع ، وبصر ، وشمّ ، وذوق ، ولمس ، ولها خاصيّتان : الرِّضا والغضب ، وانبعاثها من القلب . والنَّاطقة القدسيَّة لها خمس قوى : فكر ، وذكر ، وعلم ، وحلم ، ونباهة ،

---

(١) في نسخة : متدرّجة .

وليس لها انبعاث ، وهي أشبه الأشياء بالنُّفوس الملكيَّة ، ولها خاصيتان : النَّزاهة والحكمة . والكلّية الإلهيَّة لها خمس قوى : بقاء في فناء ، وسقم في شفاء[1] وعزّ في ذلّ ، وفقر في غناء ، وصبر في بلاء ، ولها خاصيّتان : الرِّضا والتَّسليم ، وهذه التي مَبْدَؤُها من الله وإليه تعود ، قال الله تعالى : ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾[2] وقال : ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) ﴾[3] والعقل وسط الكلّ)[4] .

أقول : قوله : (وهذه الأرواح الخمسة أنوار متفاوتة في شدَّة النُّوريَّة وضعفها) ليس بصحيح ، لأنَّ شأن المتفاوتة في الشدَّة والضّعف أن تكون من نوع واحد كما ذكره بقوله : (وكلّها موجودة بوجود واحد) وهذه شهادة منه أنَّ روح القدس التي ربَّما رفع رتبتها عن[5] الإيجاد ، بل قال : (إنَّها لم تخرج من (كن)) كما يظهر من كلامه السَّابق لمن تدبَّر فيه .

وروح الشَّهوة الحيوانيَّة كما قال من نوع واحد ليس بينهما فارق ولا مميّز إلّا شدَّة روح القدس وضعف روح الشَّهوة ، لأنَّ

---

(١) في نسخة : (**ونعيم في شقاء**) .

(٢) سورة الحجر ، الآية : ٢٩، وسورة ص ، الآية : ٧٢ .

(٣) سورة الفجر ، الآيتان : ٢٧ ، ٢٨ .

(٤) بحار الأنوار : ٥٨ / ٨٥، ومجمع البحرين : ٤ / ٣٤٨ .

(٥) في نسخة : من .

الخمس كلّها موجودة بوجود واحد من طينة واحدة ، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العلي العظيم .

وقد أشرنا أنَّ روح القدس لم يخرج منها شيء ولم يخلق منها شيء إلّا الأربعة عشر معصوماً عليهم السلام إن أُريد بها صفة النَّفس الكلّيَّة كما يأتي ، وإن أُريد بها العقل أو الملك لم ينزل في غيرهم .

نعم خلق الله من شعاعها أرواح أنبيائه[1] ورسله مئة ألف نبيّ وأربعة وعشرون ألف نبيّ ، وذلك بعدما مضى منذ خلقوا عليهم السلام ألف دهر كلّ دهر مئة ألف سنة ، وبقي الأنبياء يدينون الله سبحانه بدين الأربعة عشر عليهم السلام ألف دهر كذلك[2] .

---

(١) في نسخة : الأنبياء .

(٢) كما في الحديث الشريف ، ولفظه كما في الاختصاص بإسناده عن محمد بن سنان قال : كنت عند أبي جعفر عليه السلام فذكرتُ اختلاف الشيعة فقال : **(إنّ الله لم يزل فرداً متفرداً في الوحدانيّة ثم خلق محمداً وعلياً وفاطمة عليهم السلام فمكثوا ألف دهر ، ثم خلق الأشياء وأشهدهم خلقها وأجرى عليها طاعتهم وجعل فيهم ما شاء ، وفوّض أمر الأشياء إليهم في الحكم والتصرّف والإرشاد والأمر والنهي في الخلق لأنهم الولاة فلهم الأمر والولاية والهداية ، فهم أبوابه ونوّابه وحجّابه يحلّلون ما شاء ويحرّمون ما شاء ، ولا يفعلون إلّا ما شاء ، ﴿ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأنبياء : ٢٦ ، ٢٧] فهذه الديانة التي مَن تقدّمها غرق في بحر الإفراط ، ومن نقّصهم من هذه المراتب التي رتّبهم الله فيها زهق في بحر التفريط ولم يعرف آل محمّد حقهم فيما يجب على المؤمن من معرفتهم)** الكافي : ١ / ٤٤١ ح ٥ ،=

ثمَّ خلق من شعاع أرواح الأنبياء عليهم السلام أرواح المؤمنين ، أعني الأرواح النَّاطقة القدسيَّة للمؤمنين التي عناها أمير المؤمنين عليه السلام بقوله السَّابق التي ليس لها انبعاث ، وهي أشبه الأشياء بالنُّفوس الكلّية[١] ، ومن أشعَّتها خلق نفوس الملائكة ، ومن أشعَّة نفوسهم خلق النَّفس الحيوانيَّة ، وأين هذا من ذلك[٢] ؟ وكيف تكون الخمس موجودة بوجود واحد ؟ بل ليست بوجود واحد ولا بإيجاد واحد إلّا على رأي المصنف بأنَّ كلّ الأشياء بوجود واحد ، وهو وجود[٣] صانعها ، فإن أراد هنا ما يعتقده كما ذكر سابقاً فقد أبطل مدلولات الألفاظ ومعانيها كما أبطل الاعتقاد .

وقوله : (فإنَّها مندرجة[٤] الحُصول فيمن وجدت له) يعني به أنَّ حصولها لمن هي فيه على التدريج كحصولها في نفسها في مراتب وجودها ، وعلى قوله فما أكبر روح الشَّهوة وما أصغر روح القدس ، لأنَّ الذي بينهما درجتين : روح القوَّة وروح الإيمان .

والحاصل لا فائدة في البيان هنا ولا في العتاب .

= وبحار الأنوار : ٢٥ / ٣٣٩ ح ٢١ ـ ٤٤، ومجمع النورين للمرندي : ٢٤، وموسوعة أحاديث أهل البيت : ٢ / ١٩٥ ح ١٦٥ .

(١) في نسخة : الملكيَّة .

(٢) في نسخة : ذاك .

(٣) في نسخة : بوجود .

(٤) في نسخة : متدرّجة .

وقوله : (ويعضد ما ذكره صاحب الاعتقادات) إلخ ، هذا لا يعضُده وليس بينهما مناسبة ، لأنَّ حديث الأرواح يذكر فيه قوى النَّفس النَّاطقة وملكاتها ، وقوى جسدها وطبيعته ، وحديث كميل في تعداد الأنفس ذواتها لا صفاتها ، ولهذا كانت الأنفس باعتبار ذواتها أربعاً ، والأرواح خمس ، لأنَّ روح القدس في الحديث الأوَّل صفة النَّفس الكلّيَّة الإلهيَّة في حديث كميل ، وروح الإيمان صفة النَّاطقة القدسيَّة ، وروح القوَّة وروح الشَّهوة وروح المدرج صفات وقوى للحيوانيَّة الحسِّيَّة بمعونة القوى الجسمانيَّة التي هي قوى النَّفس النَّباتيَّة .

أقسام النفس وقواها

١ ـ النَّفس النَّامية النَّباتية

والنَّفس النَّامية النَّباتية : هي مركَّبة من العناصر الأربعة ، جزء من الغذاء النَّاري ، وجزء من التُّرابيّ ، وجزء من الهوائيّ ، وجزآن من المائي اجتمعت الخمسة واتحدت بالانحلال حتَّى صارت كيموساً ، فنضجت بنظر الكواكب ، فصارت نفساً نباتيّة نامية ، ولها خمس قوى تستمدّ منها ما تلطَّف لها[1] من الأغذية .

أ ـ قوة النفس الجاذبة

جاذبة : من المرّة الصفراء وما تقوم مقامها كما في الشَّجر من

(١) في نسخة : تلطّفه بها .

الحرارة واليبوسة ، وهي ركن العنصر النَّاريّ ، وشأنها جذب مادَّة الغذاء وجذب الغذاء بعد تخليصِه من المادَّة .

ب ـ القوة الماسكة

وماسكة : من المرّة السَّوداء وما يقوم مقامها[١] من اليبوسة والبرودة ، وهي الرُّكن التُّرابيّ ، وشأنها إمساك الغذاء على ما يناسبه .

ت ـ القوة الهاضمة

وهاضمة : من الدم وما يقوم مقامه ، ومنبعها الكبد من الحرارة والرُّطوبة ، وهي الرُّكن الهوائيّ ، وشأنها ضمّ المادَّة والكيلوس والكيموس[٢] وإحالته من نوع العضو .

ث ـ القوة الدافعة

ودافعة : من البلغم وما يقوم مقامه ، ومنبعها الرّئة من الرطوبة والبرودة وهي[٣] الرُّكن المائي ، وشأنها دفع الغذاء إلى العضو ودفع فاضله إلى ما بعده .

---

(١) في نسخة : مقامهما .

(٢) الكيلوس : هو الطعام إذا انهضم في المعدة قبل أن ينصرف عنها ويصير دماً ، ويسمونه أيضاً الكيموس . انظر لسان العرب ، مادة : كمس .

(٣) في نسخة : هو .

د ـ القوة المربّية

ومربّية : وهي قوَّة من النَّفس تفعل النَّفس بها تنمية الأعضاء بما هو من نوعها من الغذاء ، فهي فعل النَّفس النَّامية ، لأنَّها تألَّفت من الطبائع الأربع السَّابقة ، فكانت طبيعة خامسة .

فللنَّفس النباتية خمس قوى ، أربع مركَّبة كلّ واحدة من طبيعتين ، والخامسة من الجميع لاحتياج الرتبة(١) إلى الكلّ ، لأنَّ النّمو يحتاج إلى الأربع السَّابقة على جهة الشيوع لا التَّمايز .

وللنَّفس النَّامية خاصيّتان :

الزيادة : عند اتصال الغذاء على الوجه الملائم المقارب للاعتدال وهي النّمو .

والنُّقصان : عند اختلال الشَّرائط ، وهو الذُّبول وانبعاث النَّفس النَّامية من الكبد لأنَّها محلّ الرُّطوبة والحرارة ، واللذين هما علَّة الهضم الذي هو علَّة الاتّحاد الذي هو منشأ النَّفس النَّامية .

٢ ـ النَّفس الحسِّيَّة الحيوانية

والثَّانية النَّفس الحسِّيَّة الحيوانية : وهي من النُّفوس الفلكيَّة ، لأنَّ النَّفس النَّامية مقرّها الدَّم الأصفر المتعلّق بالعلق الدَّم الذَّي في تجاويف القلب من الجانب الأيسر أكثر ، فتلك الأجزاء اللَّطيفة

(١) في نسخة : التَّربية .

التي هي النَّفس النَّامية إذا اعتدل نضجها حتَّى كانت بخاراً لطيفاً بتأثير أشعَّة الكواكب كالشَّمس والقمر والنُّجوم ، وبمرّ اللَّيل والنَّهار تلطّف ذلك البخار المعتدل في ميزانه ونضجه ، حتَّى ساوى جرم الأفلاك ، فأشرقت عليه النَّفس الفلكيَّة ، فتحرك بحركتها .

مثاله إذا قرّبت خشبةً يابسةً من الجمر الملتهب فإنَّها تصفرّ ثمَّ تسود بحرارة الجمر ، ثمَّ تشتعل فيها النَّار وإن لم تتّصل بها ، لأنَّها بحرارتها تكلَّست حتَّى صارت فحماً ، فتعلّقت النَّار بها بواسطة الهواء المتصل بالجمر والخشبة ، فهذه هي النَّفس الحيوانيَّة الحسِّيَّة ، وتكون في كلّ حيوان برّي أو بحريّ من إنسان أو غيره ، مؤمن أو كافر ، نبي أو غيره ، كما أنَّ النَّباتيَّة تكون في كلّ من ذكر وتكون في سائر النَّباتات ، بل قد تكون في ما دون النَّباتات من البرازخ كالمرجان ، فإنَّه وإن كان من الأحجار فهو من الأشجار ، لأنَّه ينمو ، ولذا قيل : إنَّه برزخ بين النَّبات[1] والمعدن .

ولها خمس قوى تدرك بها المحسوسات :

أ ـ قوة السمع

سمع : تدرك به الأصوات ، إذا دقَّ الصَّوت بواسطة الهواء باب سمعها أدركته بصوته في حجابها ، وهو الطَّبل المصنوع على باب الدِّماغ من خرق الأُذنين .

(١) في نسخة : النَّباتات .

ب ـ قوة البصر

وبصر : تدرك به الألوان والأضواء بانطباع صورها في جليدية العينين بالقوَّة التي في تقاطع قصبتي العينين .

ج ـ قوة الشم

وشمّ : تدرك به روائح الأشياء بواسطة حلمتي المنخرين بانبساطهما في الرائحة الطَّيِّبة وانقباضهما في الخبيثة .

د ـ قوة الذوق

وذوق : تدرك به الطُّعوم بواسطة اللِّسان بنفوذ لطيف من ذي الطَّعم ملائم أو منافر في تجاويف مسامّه .

هـ ـ قوة اللمس

ولمس : تدرك به لين الأشياء وخشنها برقَّة(١) إحساس سارية منها في سائر الجَسَد ، إلّا أنَّها في أنملة السّبَّابة أقوى لشدَّة رقَّة الإحساس فيها .

ولها خاصيّتان : الرِّضا والغضب ، والرِّضا اختيار الشيء وطمأنينة القلب عنده لانبساط ببرودة الرُّوح ، والغضب بالعكس ، وهو غليان دم القلب لطلب الانتقام لالتهاب حرارة النَّفس وانبعاثها من القلب ، لأنَّ سبب تعلّقها من الأفلاك بالحيوان هو

---

(١) في نسخة : قوَّة .

الأبخرة المعتدلة في الوزن والنُّضج ، المتعلّقة بالدَّم الأصفر ، المتعلق بالعلق الدَّم الكائنة في تجاويف القلب من الجانب الأيسر منه أكثر كما مرّ .

٣ ـ والنَّفس النَّاطقة القدسيَّة

والنَّفس النَّاطقة القدسيَّة : وهي جوهر نورانيّ ، ووصف قدسيّ ، إلهيّ ، وأُنموذج تصويري فهوانيّ ، وكتاب صوريّ ربَّانيّ ، فهي هيكل التَّوحيد والمثل المنزّه عن التَّحديد ، أصلها النُّور ، ووكرها قمة الطّور .

وله خمس قوى :

أ ـ قوة الفكر

فكر : من عطارد .

ب ـ قوة الذكر

وذكر : من زحل .

ج ـ قوة العلم

وعلم : من المشتري .

د ـ قوة الحلم

وحلم : من القمر .

هـ ـ قوة النباهة

ونباهة : من الشَّمس ، وليس لها انبعاث لتجرّدها من الموادّ العنصريَّة والمدد الزَّمانيَّة ، وهي أشبه الأشياء بالنُّفوس الملكية التي هي عالية عن[١] الموادّ عارية عن القوَّة والاستعداد .

ولها خاصيّتان :

النَّزاهة : لتقدّسها عن أوساخ الطَّبيعة ، وانطباعها بموافقة أحكام الشَّريعة .

والحكمة : لتلاشيء إنّيَّتها في الأنوار العقليَّة .

وروي عن الصادق عليه السلام : أنَّه قال : (**إنَّ الصّورة الإنسانيَّة أكبرُ حجَّة الله على خلقه وهي الكتاب الذي كتبه بيده ، وهي الهيكل الذي بناه بحكمته ، وهي مجموع صورة العالمين ، وهي المختصر من اللوح المحفوظ ، وهي الشَّاهد على كلِّ غائب ، وهي الحجَّة على كلِّ جاحد ، وهي الصِّراط[٢] المستقيم إلى كلّ خير ، وهي الصِّراط الممدود بين الجنَّة والنَّار**)[٣] انتهى .

---

(١) في نسخة : من .

(٢) في نسخة أخرى : الطريق .

(٣) التعليقة على الفوائد الرضوية للقاضي القمي : ٥٣، وجامع السعادات : ١ / ١٨٠ .

وفي كتاب الغرر والدرر عن أمير المؤمنين عليه السلام ، (**الصورة الإنسانية هي أكبر حجة الله على خلقه ، وهي الكتاب الذي كتبه بيده ، وهي الهيكل الذي بناه بحكمته ، وهي مجمع صور العالمين ، وهي المختصر من اللّوح** =

وهذه النَّفس شعاع من النَّفس الرَّابعة أعني النَّفس الكلّيَّة الإلهيَّة ، فهي بالنّسبة إلى الكلّيَّة نور وعرض قائم بها ـ أي بنورها ـ قيام تحقّق وهو القيام الرُّكني وهيكل الإنسان الظَّاهر ظلّ هيكلها ، فهو مثلها وهي أصله تتعلَّق بهذا البدن تعلّق إشراق ، لأنَّها لا تنزل من روحها ، وإنَّما هي كما قال الشَّاعر :

هِيَ الشَّمسُ مَسكَنُهَا فِي السَّمَاءِ فَعَزِّ الفُؤادَ عَزَاءً جَميلا
فَلَنْ تَستَطِيعَ إِلَيهَا صُعُودَا وَلَن تَستَطِيعَ إِلَيكَ النُّزُولا(١)

٤ ـ والرَّابعة النَّفس الكليَّة الإلهيَّة

والرَّابعة النَّفس الكليَّة الإلهيَّة : هي الكتاب المبين ، والكتاب الحفيظ ، والنُّور الأخضر ، والكون المائي ، و(الباء) من بسم الله الرَّحمن الرَّحيم وهي(٢) اسم الرَّحمن ، وهو شريك الفرقان ،

= **المحفوظ ، وهي الشاهد على كل غائب ، وهي الحجة على كل جاحد ، وهي الصراط المستقيم إلى كل خير ، وهي الصراط الممدود بين الجنة والنار)** الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية للملا صدرا : ٩ / ٣٥٦ باب ٧ فصل ١ ، وتفسير الأصفى للفيض : ١ / ٨ ، وشرح الأسماء الحسنى للسبزواري : ١ / ١٢ ، وجامع السعادات للنراقي : ١ / ١٨٠ ، والكلمات المكنونة للفيض الكاشاني : ١٩٢ كلمة فيها إشارة إلى أن الإنسان الكامل كتاب الحق وصورته ، وقرة العيون للفيض الكاشاني : ٣٦٣ كلمة بها يتبيّن معنى قوله تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة : ٣١] .

(١) أعيان الشيعة : ٨ / ٩٧ .

(٢) في نسخة : هو .

وهي نفس الله التي لا يعلم ما فيها عيسى ابن مريم في قوله تعالى : ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَۚ﴾[(١)] ويأتي بعض أوصافها في حديث الأعرابي .

ولها قوى خمس :

أ ـ قوة البقاء

بقاء بالله : في الفناء في سبحات وجهه .

ب ـ قوة السقم

وسقم[(٢)] : من خشيته في شفاء[(٣)] نعمته ورحمته .

ج ـ قوة العزّ

وعزّ : بخدمته وعبادة[(٤)] وتفويض الأُمور إليه ، في ذلّ عبوديتها لعزّ ربوبيته .

د ـ قوة الفقر

وفقر : مغن إليه في غنى التَّوكّل عليه .

هـ ـ قوة الصبر

وصبر : على المكروه في بلائه .

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ١١٦ .
(٢) في نسخة : ونعيم .
(٣) في نسخة : شقاء .
(٤) في نسخة : وعبادته .

ولها خاصيّتان :

الرِّضا : بما يفعله ، وهو العبوديَّة الخالصة .

والتسليم له : في كلّ ما يجريه ، وهذه النَّفس التي مبدؤها من الله ، أي من فعله ومحبته ، لا من ذاته ، لأنَّه لا يخرج منه شيء ولا يعود إليه شيء ، ولكن كلّ شيء مبدؤه من الله ، أي من أصله الصَّادر عن فعل الله تعالى ، فإنَّه يقال له : من الله وإليه تعود أي إلى مبدئها من أثر فعله تعود كما قال : ﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾[1] أي إلى حكمه وتقديره وقال الله تعالى : ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾[2] وهي روح خلقها وكرَّمها وشرَّفها بالانتساب إليه والاختصاص به كما قال : (بيتي وعبدي) كما شرَّفها بانتساب مبدئها منه وعودها إليه وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ ﴾[3] بمأواك[4] من فضله ورحمته ورضوانه ، ﴿ مَّرْضِيَّةً ﴾ أي راضياً لك وعنك ، شاكراً لأعمالك .

(والعقل وسط الكلّ) أي : باطن هذه النُّفوس الأربع لأنَّها تنزّلاته في إدباره حين قال تعالى له : أدبر فأدبر أو في إقباله إليها عنه حين قال تعالى : أقبل فأقبل ، ففي النُّزول نزل بها وفي الصعود صعد بها .

---

(١) سورة الحديد ، الآية : ٥، وسورة فاطر ، الآية : ٤ .

(٢) سورة الحجر ، الآية : ٢٩ .

(٣) سورة الفجر ، الآيتان : ٢٧ ، ٢٨ .

(٤) في نسخة : بما أراك .

وروي أنَّ أعرابيًّا سَأَلَ أمير المؤمنين عليه السلام عن النَّفس ، فقال عليه السلام : **(عن أيّ الأنفس**[١] **تسأل ؟)** .

فقال : يا مولاي هل النَّفس عديدة ؟

فقال عليه السلام : **(نعم ، نفسٌ نامية نباتيَّة ، ونفسٌ حسِّيَّة حيوانيَّة ، ونفسٌ ناطقة قدسيَّة ، ونفسٌ إلهيَّة ملكوتيَّة)** .

فقال : يا مولاي ما النَّباتية ؟

قال : **(قوَّة أصلها الطبائع الأربع ، بدءُ إيجادها عند مسقط النّطفة ، مقرّها الكبد ، مادّتها من لطائف الأغذية ، فعلها النّمو والزيادة ، وسبب فراقها اختلاف المتولّدات**[٢] **، فإذا فارقت عادت إلى ما منه بُدِئَتْ عَوْد ممازجة لا عود مجاورة)** .

فقال : يا مولاي وما النَّفس الحيوانيَّة ؟

قال عليه السلام : **(قوَّة فلكيَّة ، وحرارة غريزيَّة أصلها الأفلاك ، بدءُ إيجادها عند الولادة الجسمانية ، فعلها الحياة ، والحركة ، والظّلم ، والغشم ، والغلبة واكتساب الأموال ، والشّهوات الدّنيويَّة ، مقرّها القلب ، سبب فراقها اختلاف المتولدات ، فإذا فارقت عادت إلى ما منه بدئت عود ممازجة لا**

---

(١) في نسخة : النفس .

(٢) في نسخة : المولّدات .

عود مجاورة ، فتنعدم صورتها ، ويبطل فعلها ووجودها ، ويضمحلّ تركيبها) .

فقال : يا مولاي وما النَّفس النَّاطقة القدسيَّة ؟

قال : (قوَّة لاهوتيَّة بدء إيجادها عند الولادة الدّنيويَّة ، مقرّها العلوم الحقيقية الدِّينيَّة ، موادّها التأييدات العقليَّة ، فعلها المعارف الرَّبانيَّة ، فراقها عند تحلّل الآلات الجسمانية ، فإذا فارقت عادت إلى ما منه بدئت عود مجاورة لا عود ممازجة) .

فقال : يا مولاي ، وما النَّفس اللَّاهوتية الملكوتيَّة ؟

فقال : (قوَّة لاهوتيَّة ، وجوهرة بسيطة حيَّة بالذَّات ، أصلها العقل ، منه بدئت ، وعنه وعت ، وإليه دلَّت وأشارت ، وعودتها إليه إذا كملت وشابهته ، ومنها بدئت الموجودات وإليها تعود بالكمال ، فهي ذات الله العليا ، وشجرة طوبى ، وسدرة المنتهى ، وجنَّة المأوى ، من عرفها لم يَشْقَ ، ومَنْ جهلها ضلَّ سَعْيُهُ وغوى) .

فقال السائل : يا مولاي وما العقل ؟

قال : (العقل جوهر درّاك محيط بالأشياء من جميع جهاتها ، عارف بالشيء قبل كونه ، فهو علَّة الموجودات ، ونهاية المطالب)[١] انتهى .

---

(١) كلمات مكنونة للفيض الكاشاني : ٧٦، وشرح الأسماء الحسنى : ٢ / ٤٦ .

أقول : (قوله عليه السلام : (**بدؤها عند مسقط النّطفة**) يعني في الرحم ، إذ قبل سُقُوطها هي من المعادن ، فلمَّا سقطت في الرّحم وكانت نطفة الرَّجل حارَّة يابسة التقت بنطفة المرأة وهي باردة رطبة ، حصلت النّفرة بين ما هو كالنَّار وبين ما هو كالماء ، فصرف الله تعالى بحكمته دم الحيض إليهما فتوسَّط بينهما ، وفيه مزاج بارد يابس وهو التُّراب الذي أخذ مادّته الملك من الأرض من الموضع الذي إذا مات لا يدفن إلّا فيه ، فَمَاثَهُ ومزجه بإذن الله عزَّ وجلَّ في النّطفتين ، فببرودته يكسر حرارة نطفة الرَّجل لئلَّا تحرق نطفة المرأة ، وبيبوسته يكسر رطوبة نطفة المرأة لئلا تطفىء نطفة الرجل ، وتكون نطفة الرَّجل بقدر نصف نطفة المرأة ليعتدلا في الطَّبائع ، والتُّراب قد يكون بقدر نطفة الرجل ، أو نصفها ، أو ربعها ، أو سدسها ، أو أقل ، وكلّ هذا يكفي في مطلق التَّوفيق بينهما ، إلّا أنَّه إذا كان بقدر نطفة الرَّجل أو أكثر ربَّما فسد المزاج فغلبت السَّوداء ، فربَّما تكون محترقة ، وإذا قلَّ كثيراً ربَّما فسدَ المزاج فتغلب الصفراء أو البلغم ، وإذا كان بقدر النصف إلى ما يقرب من مساواة نطفة الرجل صلح المزاج وكانت السَّوداء معتدلة في رجحانها فيعتدل المزاج ، فيكون عاقلاً ، عالماً ، حافظاً ، زكيًّا ، فإن خلص التُّراب من الشوائب كانت صافية فيكون حينئذ نبيًّا أو وصيّ نبيّ .

قال الرِّضا عليه السلام : (**ما بعث اللهُ نبيًّا إلّا صاحب مرّة سوداء صافية**)[١] انتهى .

فإذا اجتمعت الأسباب تألفت القوَّة أي النَّفس النَّامية النَّباتيَّة التي بها يحصل العقد والنّموّ وحينئذ بتقدير الله تعالى تحصل للمرأة حمّى ضعيفة لتعين بحرارتها حرارة الرّحم ، ليحصل التَّعفين الذي هو علَّة الانحلال ، ليحصل الغذاء الذي به النّمو ، وليحصل العقد الذي هو علَّة الامتزاج .

ولذلك قال عليه السلام : (**بدؤها عند مسقط النّطفة**) .

قال عليه السلام : (**وسبب فراقها اختلاف المتولدات**) أي المتولدات من الغذاء الطعام والشراب بزيادة أحد الطَّبائع الأربع بعضها على بعض حتَّى تُبْطِلَ الطَّاغيةُ الزَّائدةُ الأُخرى النَّاقِصةَ ، فيبطلُ تركيب القوَّة المتألّفة من الكلّ بالاعتدال ، فتفارق الأخلاط ، (**فإذا فارقت عادت إلى ما منه بدئت عَوْد ممازجة لا عَوْد مجاورة**) ، فتلحق حرارتها بالنَّار ، فتمتزج بها وتلحق رطوبتها بالهواء فتمتزج به وتلحق برودتها بالماء فتمتزج به ، وتلحق يبوستها بالتُّراب فتمتزج به في كلّ ذلك امتزاج استهلاك للتّميز[٢] لا استهلاك فناء .

---

(١) الكافي : ٨/ ١٦٥ ح ١٧٧ ، والبحار : ١١ / ٦٤ ح ٣ ، وتفسير نور الثقلين : ٥ / ١٤٨ ح ١٦ .

(٢) في نسخة : للتمييز .

وقوله عليه السلام : (**في النَّفس الحيوانية قوَّة فلكيَّة وحرارة غريزية أصلها الأفلاك**) يريد أنَّ النَّفس الحيوانية من نفوس الأفلاك على نحو ما أشرنا إليه قبل ، وهي حرارة لأنَّها من علَّة الكون وركن الحياة وغزيريَّة ـ أي طبيعيَّة ـ أصلها الأفلاك كما مرّ سابقاً ، وهي في غيب النَّامية النَّباتيَّة ، لأنَّ متعلّقها الذي هو الأبخرة المعتدلة وزناً ونضجاً كامنة في النّطفة الأمشاج ، وفي غذائهما ـ أي النّطفتين ـ وفي التُّراب الذي يقال : إنَّه ليس منهما ولا من غيرهما ، وهذه كلّها مختلطة بالغرائب والأعراض الفاسدة ، فهي حينئذ متعلّقة في غيبها .

فإذا تخلصت من الأعراض الغريبة واتّحدت بالتَّعديل والنُّضج ، ظهر المتعلّق المتخلّص المعتدل بالنُّضج ، وظهرت النَّفس الكامنة فيه عند تمام الأربعة الأشهر التي هي الولادة الجسمانيَّة ، لأنَّ الجسم ولد النَّفس ، وهو أوَّل إيجادها ـ أي ظهورها في متعلّقها ـ والولادة الثَّانية التي هي الولادة الدّنياويَّة(١) وهي خروج الجنين من بطن أُمّه صورة للأولى .

فقوله عليه السلام : (**إيجادها**) إن أُريد به ظهورها من الغيب إلى الشَّهادة فهي الأُولى والثانية صورة لها ، وإن أُريد به ظهورها إلى فضاء الدُّنيا فهو على الظَّاهر ظاهر ، ولا يصحّ أن يراد

(١) في نسخة : الدّنيويَّة .

بإيجادها من الغيب عند الولادة الظَّاهرة ، كيف وهو الحاكم بوجودها وتحقّقها عند تمام الأربعة الأشهر .

وقوله : (**وفعلها**) إلخ ، أي فعلها الطَّبيعي الحياة ، أي التَّحرُّك بالإرادة والحركة ، أي الكون الأوَّل في المكان الثاني ، والظّلم أي وضع الأشياء في غير مواضعها ، والغشم أي الأخذ بعنف ، والغلبة أي الاستيلاء واكتساب الأموال والشَّهوات الدّنيويَّة لشدَّة الحرص مقرّها القلب ، لأنَّها متعلّقةٌ بالأبخرة الصَّافية المعتدلة النَّاضجة ، المتعلّقة بالدَّم الأصفر ، المتعلّق بالعلق الدَّم الكائنة في تجاويف القلب ، سبب فراقها اختلاف المتولّدات ، لأنَّها إذا اختلفت الطَّبائع وما تولّد منها أَفْسَدَ القَوِيُّ منها ضدَّه ، فلم يَبْقَ لها قرار لفساد مكانها وخرابه .

فإذا فارقت عادت إلى ما منه بدئت ، أي إلى نفوس الأفلاك عود ممازجة ، لأنَّها من قوى متعدّدة من الأفلاك المتعددة ، فإذا تفكَّك تركيبها بطلت ، فامتزج كلّ جزء منها بأصله كقطر(١) الماء في البحر ، فيبطل فعلها ووجودها ويبطل تركيبها .

وقال عليه السلام : (**النَّفس النَّاطقة القدسيَّة قوَّة لاهوتيَّة** ـ أي روحانية ـ **بدءُ إيجادها عند الولادة الدّنيويَّة**) معناه كما تقدَّم في الحيوانية الحسِّيَّة ، بل سابقة على النّطفة ، لأنَّها كانت في غيب النّطفة المعنويَّة .

---

(١) في نسخة : كقطرة .

ففي الكافي[١] بسنده إلى أبي إسماعيل الصَّيقلي الرَّازيّ ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : (**إنَّ في الجنَّة لَشَجَرَةً تسمَّى المزن ، فإذا أراد الله أن يخلق مؤمناً أقطر منها قطرة فلا تصيب بقلة ولا تمرة أكل منها مؤمن أو كافر إلّا أخرج الله تعالى من صلبه مؤمن**)[٢] انتهى .

فهي كامنة في النّطفة القاطرة من شجرة المزن على البقلة والثمرة[٣] فإذا أكلها انتقلت إلى الكيلوس[٤] ، ثمَّ إذا صفى انتقلت إلى الكيموس ، ثمَّ إلى النَّطفة التي في الصّلب ، ثمَّ إلى الرّحم في النّطفة ، ومنها إلى العلقة ، ثمَّ إلى المضغة ، ثمَّ إلى العظام ، ثمَّ إذا تمَّت الخلقة ظهرت ، ثمَّ إذا ولد طلعت كما مرّ مقرّها العلوم الحقيقيَّة الدِّينيَّة ، أي العلوم المقرونة بالأعمال الصَّالحة ، فإنَّها مسكن طمأنينتها موادها التأييدات العقليَّة أي

---

(١) هو للشيخ محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي ، ويعرف بالسلسلي البغدادي أبو جعفر الأعور .
كان زمن وكلاء الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه ، انتهت إليه رئاسة فقهاء الإمامية في أيام المقتدر .
توفي في بغداد في شهر شعبان سنة ٣٢٩ هـ وقيل ٣٢٨ هـ .

(٢) الكافي : ٢ / ١٤ ح ١، والبحار : ٦٤ / ٨٤ .

(٣) في نسخة : التَّمرة .

(٤) الكيلوس : هو الطعام إذا انهضم في المعدة قبل أن ينصرف عنها ويصير دماً ، ويسمونه أيضاً الكيموس . انظر لسان العرب ، مادة : كمس .

استمدادها من الأنوار العقليَّة المشرقة على كنهها ، فعلها المعارف الرَّبَّانيَّة ، أي أنَّها تنزع إلى معرفة خالقها ، فراقها عند تحلل الآلات الجسمانية التي هي محل إشراقها وتعلّقها .

فإذا تحلّلت وتفكّكت بسبب اختلاف الأخلاط فارقت صاعدة إلى ربّها ، راضية بما قضى عليها ، فتعود إلى ما منه بدئت عود مجاورة لا عود ممازجة ، لأنَّ بدءها دائماً يتجدَّد في أوَّليّته ، فإذا عادت إليه لم تمتزج به لأنَّه كان تحت بدئها حال رجوعها ، فإذا صعدت إلى مبدئها المتجدد الأعلى لم تصل إليه إلّا وقد تجدّد لها بدءُ قبله وفوقه ، وهكذا من فضل رفيع الدَّرجات الذي لا تفنى خزائنه ، فلا تزال مجاورة لبدئها غير ممازجة له لتجدّدها ، لتجدّد بدئها ، ففي كلّ آن لها بدء جديد .

وقال عليه السلام : (**النَّفس اللّاهُوتيَّة الملكوتيَّة قوَّة لاهوتيَّة ، أي روحانية قدسيَّة ، وجوهرة بسيطة**) إنَّما قال : جوهرة بسيطة ، مع أنَّ النَّاطقة القدسيَّة كذلك ، لأنَّ تلك ، وإن كانت في نفسها جوهرة بسيطة لكنَّها بالنّسبة إلى هذه عرض مركب من شعاع هذه وظلّ هيئتها ، فكانت هذه أحقّ بالجوهرة البسيطة حية بالذَّات ، أي لا تموت ، بل باقية بإبقاء الله ، لأنَّها وجهه الذي لا يهلك(١) إلى سائر خلقه وبالذَّات ، لا أنَّ حياتها من فاضل نفس فوقها ،

---

(١) في نسخة : لا تهلك .

كالنُّفوس الثَّلاث المتقدِّمة ، إذ ليس فوق هذه إلّا العقل ، وهي مَرْكَبُهُ ومأواه ، أصلها العقل لأنَّه لها كالنّطفة للجنين ، لأنَّها تطوّره الثَّاني ، والرّوح تطوّره الأوَّل ، فبه علمت ، وبه نطقت ، وإليه دلَّت وأشارت بأنَّه نورها وحياتها ، وبه عملت وأطاعت كما قال تعالى : ﴿ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ﴾(١) فعلّمه الله تحقّق العبوديَّة بحق الرّبوبيَّة ، فلمّا علّمها تابت عن إنّيتها وأقامت الصلاة التي أمرها بها ، وآتت الزكاة فكانت أُخته بعد أن كانت بنته كما قال تعالى : ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ ﴾(٢) .

قال عليه السلام : (**وعودتها إليه إذا كملت وشابهته**) أي كانت أُخته في الدِّين ومنها بدئت الموجودات كالنَّاطقة القدسيَّة ، فإنَّها أوَّل من بدىء منها وإليها تعود .

قال صلى الله عليه وآله : (**ظهرت الموجودات من (باء) بسم الله الرَّحمن الرَّحيم**) رواه ابن أبي جمهور(٣) في المجلّى(٤) .

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ٤ .

(٢) سورة التوبة ، الآية : ١١ .

(٣) الشيخ محمد بن أبي جمهور الأحسائي . كان عالماً فاضلاً راوية ، له كتب منها كتاب غوالي اللآلي ، كتاب الأحاديث الفقهية على مذهب الإمامية ، كتاب معين المعين ، شرح الباب الحادي عشر ، كتاب زاد المسافرين في أصول الدين . وله مناظرات مع المخالفين كمناظرة الهروي وغيرها ، ورسالة في العمل بأخبار أصحابنا وغير ذلك . وقيل اسمه محمد بن علي بن إبراهيم بن أبي جمهور ، وهو الأصح كما في أمل الآمل رقم ٧٤٩ ، وانظر مجالس المؤمنين .

(٤) في الحديث : (**ظهرت الموجودات من باء بسم الله الرحمن الرحيم وهي** =

وإليها تعود أي الموجودات بالكمال ، فهي ذات الله العليا ، قال عليه السلام : (**يا من دلَّ على ذاته بذاته**)[١] أي بذاته التي خلقها وكرَّمها وشرَّفها بنسبتها إليه ، فقال : ذاتي كما قال : بيتي وعبدي ، وشجرة طوبى ، وسدرة المنتهى . طوبى : اسم الجنَّة ، وقيل : بلغة أهل الهند .

وفي الحديث : (**شجرة طوبى هي شجرة في الجنَّة أصلها في دار النَّبي صلى الله عليه وآله وليس مؤمنٌ إلّا وفي داره غصنٌ منها ، لا تخطر على قلبه شهوة إلّا أتاه بها ذلك الغصن ، ولو أنَّ راكباً مجدًّا سار في ظلّها مئة عام ما خرج ، ولو طار من أسفلها غراب ما بلغ أعلاها حتَّى يسقط هرماً**)[٢] .

وعن النَّبيّ صلى الله عليه وآله : (**طوبى شجرة في الجنَّة ، أصلها في داري وفرعها في دار عليّ**) .

فقيل له في ذلك .

= **اللوح**)انظر الأسرار الفاطمية : ٢٣٥ ، ومشارق أنوار اليقين : ٥٢ ، وقد رواه المصنف في نهاية شرح الزيارة الجامعة .

رواه البرسي بلفظ : قال علي عليه السلام : (**عن الباء ظهر الوجود ، وبالنقطة تبين العابد عن المعبود**) .

(١) من دعاء الصباح لأمير المؤمنين عليه السلام ، انظر بحار الأنوار : ٨٤/ ٣٣٩ ح ١٩ وج ٩١ / ٢٤٣ ح ١١ ، ونهج السعادة : ٦ / ١٢٨ .

(٢) أمالي الصدوق : ٢٩٠ ح ٤٢٣ .

فقال : (**داري ودار عليّ في الجنَّة بمكان واحد**)[١] انتهى .

أقول : وظاهر الحديث الثَّاني أنَّ شجرة طوبى من باب إضافة الموصوف إلى صفته ، لأنَّ طوبى من الطّيب وأُبدلت الياء واواً لمناسبة الضمة أو أنَّ الإضافة بيانيَّة .

والمراد في[٢] تسمية هذه النَّفس القُدسيَّة بهذا الاسم إمَّا على نحو من المجاز أو لأنَّها أي الشَّجرة المذكورة صفتها و[٣] مثلها أو خلقت منها على هيئتها .

وسدرة المنتهى في النِّهاية : (**شجرة في أقصى الجنَّة إليها ينتهي علم الأوَّلين والآخرين ولا يتعدّاها**)[٤] انتهى .

وعلى ما ذكره في النِّهاية هي هذه النَّفس الكلّيَّة لأنَّها هي اللَّوح المحفوظ ، وليس وراءَه للعلم ذكر ، وإنَّما ذلك للعقل والروح ، ومداركه هي المعاني المجرّدة عن المادَّة العنصريَّة والمدَّة الزَّمانيَّة والصّورة[٥] الجوهرية والمثاليَّة .

والعلم : حقيقته الصُّور الجوهرية المجرّدة عن المادَّة

---

(١) مناقب آل أبي طالب : ٣ / ٣٢، والبحار : ٨ / ١٥١ ح ٩٠، وتفسير فرات الكوفي : ٢٠٨ ح ٢٧٦ .

(٢) في نسخة : من .

(٣) في نسخة : أو .

(٤) بحار الأنوار : ٥٥ / ٥٢ .

(٥) في نسخة : الصُّور .

العنصريَّة والمدَّة الزَّمانيَّة ، والموجود منه في أذهان البشر غير ذهن علَّة الوجود ، وهو أظلّة تلك الجواهر وأشباحها .

فالعلم : هو الصُّور ، سواء كانت جوهرية أم شبحيَّة ، فيكون كلّ علم للخلق منتهياً إليها ، إذ ليس وراءها شيء من الصُّور . نعم وراءها معان في العقل ورقائق في الروح .

وجنَّة المأوى عن ابن عبَّاس : هي جنَّة تَأْوي إليها أرواح الشُّهداء ، وقيل : هي عن يمين العرش .

أقول : إن أُريد أنَّها تأوي إليها الأرواح ، فهي عن يمين العرش ، لأنَّها هي الرُّكن الأيمن الأسفل منه ، وإن أُريد أنَّها تأوي إليها النُّفوس ، فهي عن يسار العرش ، لأنَّها هي الرُّكن الأيسر الأعلى منه ، والنَّفس الكلّيَّة على فرض أنَّها مغايرة للرُّوح الكلّيَّة كما هو أكثر الاستعمالات والإطلاقات هي الرُّكنُ الأيسر الأعلى منه لأنَّ الرُّكن الأيمن الأسفل هو الرُّوح الكلّيَّة محلّ الرقائق ومبدؤها ، والعقل الكلّي ركنه الإيمن الأعلى ، والطَّبيعة الكلّيَّة ركنه الأيسر الأسفل منه ، وهذه النَّفس هي الشَّجرة الطَّيّبة .

وروى أبو حمزة الثّمالي أنَّه سئل الباقر عليه السلام عن قوله تعالى : ﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾(١) فقال عليه السلام : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : (**أنا**

---

(١) سورة إبراهيم ، الآية : ٢٤ .

أصلها ، وعليّ فرعها والأئمَّة أغصانها ، وعلمنا ثمرها ، وشيعتنا ورقها ، يا أبا حمزة إنَّ الولد ليولد من شيعتنا فتورّق ورقة فيها ، ويموت فتسقط منها ورقة) .

وقال رجل : جُعلت فداك ﴿ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ ﴾[١] .

قال : (**ما يفتي الأئمَّة شيعتهم من الحلال والحرام**)[٢] انتهى .

وبالجملة فالمراد بها نفسهم الطَّيِّبة عليهم السلام التي هي اللَّوح المحفوظ وباطن اللَّوح المحفوظ وعلّته ، فهي نفس الكرسي والباب الظَّاهر عن[٣] العلم .

وقال عليه السلام : (**والعقل جوهر درّاك محيط بالأشياء من جميع جهاتها**)[٤] يعني أنَّ العقل جوهر مركَّب من نور الأنوار أعني الحقيقة المحمَّديَّة ، لأنَّ مادّته منها وصورته من هيئتها ، فهو وجهها إلى الأشياء ، فهو علَّة الأشياء كما أنَّ الشُّعلة المرئية من السِّراج هي علَّة جميع الأشعَّة ، كذلك العقل ، فإنَّه من نور الأنوار ، كالشُّعلة من السِّراج فهو جوهر للأشياء درَّاك محيط بالأشياء لكونها متقوِّمة به تقوّم تحقّق ، لأنَّه من أمر الله الذي به

---

(١) سورة إبراهيم ، الآية : ٢٥ .
(٢) بصائر الدرجات : ٧٩، وبحار الأنوار : ٢٤ / ١٣٩ .
(٣) في نسخة : من .
(٤) كلمات مكنونة للفيض الكاشاني : ٧٦، وشرح الأسماء الحسنى : ٢ / ٤٦ .

قام كلّ شيء ، لا لأنَّه بسيط كما أشار إليه المصنّف ، بل هو مركَّب من مادة وصورة ، وإنَّما أحاط بها لأنَّها إنَّما قامت به وصدرت من النَّفس الكلّيَّة عنه ، ومعنى قيام الأشياء به أنَّ جميع موادها في الغيب والشَّهادة من أشعّته ، وصورها من هيئات أفعاله ، صاغها في النَّفس الكلّيَّة وبثَّها منها ، فهو علَّة الأشياء والنَّفس محلّها ، ومنها ظهرت الموجودات .

في حدوث العالم

قال : المشعر الثَّالث : في حدوث العالم . العالم بجميع ما فيه حادث زمانيّ ، إذ كلّ ما فيه مسبوق الوجود بعدم زماني ، بمعنى أَلَّا هوية من الهويَّات الشَّخصيَّة إلّا وقد سبق عدمها وجودها سبقاً زمانيًّا . وبالجملة لا شيء من الأجسام والجسمانيَّات المادّيَّة فلكيًّا كان أو عنصريًّا ، نفساً كان أو بدناً إلّا وهو متجدّد الهويَّة غير ثابت الوجود والشَّخصية ، مع برهان لاح لنا من عند الله لأجل التدبّر في آيات الله وكتابه العزيز ، مثل قوله تعالى : ﴿ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾[1] وقوله تعالى : ﴿ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[2] وقوله تعالى : ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا

---

(١) سورة ق ، الآية : ١٥ .

(٢) سورة الواقعة ، الآية : ٦١ .

جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ﴾(١) وقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾(٢) وقوله تعالى : ﴿ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾(٣) وقوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾(٤) وقوله تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾(٥) وقوله تعالى : ﴿ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ ﴾(٦) .

أقول : (العالم حادث) بمعنى أنَّه لم يكن فكوّنه سبحانه ، يعني أنَّه تعالى كان ولم يكن معه غيره كائناً ولا مذكوراً أصلاً ، ثمَّ جعله بعد أن كوَّنه مذكوراً بما هو هو .

ومراد المصنّف بالحادث من العالم هو ما وقع في الزَّمان لا ما سوى الله ، فإنَّ ممَّا سوى الله الرّوح وهو ليس خارجاً من (كن) وما ليس خارجاً من (كن) لم يكن حادثاً ، وعنده هي باقية

---

(١) سورة النمل ، الآية : ٨٨ .

(٢) سورة إبراهيم ، الآية : ١٩ .

(٣) سورة الزمر ، الآية : ٦٧ .

(٤) سورة مريم ، الآية : ٤٠ .

(٥) سورة الرحمن ، الآيتان : ٢٦، ٢٧ .

(٦) سورة مريم ، الآيات : ٩٣ ـ ٩٥ .

ببقاء الله دون إبقائه . وعندنا المراد بالعالم الحادث هو كلّ ما سوى الله ، وكلّ ما سوى الله فهو خارج من (كن) يعني مخلوقاً بها حتّى (كن) نفسها فإنّها مخلوقة بنفسها ولا دور ، لأنَّ الدَّور إنّما منع منه لاستلزامه المحال ، وهو أنَّ الشَّيء يكون سابقاً على نفسه بمرتبتين أو أكثر ، ولا تسلسل لعدم ترامي الحوادث ، وأنَّ العقل والروح وغيرهما باقية بإبقاء الله تعالى لها بما يمدّها به ، كلّما فني شيءٌ جدَّد شيئاً ، وهو على كلِّ شيء قدير .

وقوله : (العالم بجميع ما فيه حادث زمانيّ) غلط لأنَّ العقول والنُّفوس من العالم وليست حادثة في الزَّمان ، بل هي حادثة مخلوقة مركَّبة من الموادّ[1] النُّورانيَّة والصُّور النُّورانيّة قبل الزَّمان .

وأيضاً الزَّمان ، هل هو شيء أم لا ؟ فإن كان شيئاً فهل هو مخلوق أم قديم ؟ فإن كان شيئاً مخلوقاً ففي أيّ ظرف خلق فيه ؟ وإن كان كما توهمه بعضهم من أنَّه خلق في زمان موهوم ، فننقل هذا الكلام إلى الموهوم لينطبق على المعلوم وإن كانوا كارهين ، وإن كان قديماً فمع لزوم تعدّد القدماء لا يكون القديم ظرفاً للحوادث ، وإن لم يكن شيئاً فالعالم لم يخلق في شيء .

وقوله : (إذ كلّ ما فيه مسبوق بعدم زمانيّ) صحيح على

---

(١) في نسخة : مواذّ .

الظَّاهر وعلى الحقيقة ليس بصحيح ، أمَّا صحَّته على الظَّاهر فظاهرة ، لأنَّا نقول بحدوث العقول والنُّفوس ولم يكن في الزَّمان ، وأحاديث أئمَّتنا صلوات الله عليهم كثيرة جدًّا في أنَّ الله خلقهم عليهم السلام أنواراً أو أشباحاً قبل أن يخلق عزَّ وجلَّ أرضاً ولا سماءً ، ولا ليلاً ولا نهاراً ، ولا فلكاً ولا شمساً ، ولا قمراً ، ولا سيَّما على قول من يقول : لأنَّ[1] الزَّمان عبارة عن حركة الفلك ، بل قال تعالى[2] : (**لولاك لما[3] خلقت الأفلاك**)[4] .

فدلَّ هذا ونظائره ممَّا هو أصرح في الدَّعوى ، بأنَّ نور محمَّد وأهل بيته صلى الله عليه وآله (وأهلَ بيته الطَّاهرين) خلقه الله قبل خلق كلّ شيء ، ولم يخلق قبله أو معه شيء ، وحينئذ أين كان الزَّمان وتقسيم الحادث إلى ذاتيّ وزمانيّ ؟ وإن كان لا مشاحَّة في الاصطلاح وأنَّ الأمر قد كان بأنَّ الله سبحانه خلق خلقاً قبل الزَّمان ، وخلقاً مع الزَّمان ، وخلقاً بعد الزَّمان ، إلَّا أنَّه ليس بشيء لإثارته شبهة القِدَم عند من ليس ثابت القَدَم ، لأنَّ العبارة

(١) في نسخة : أنَّ .
(٢) في الحديث القدسي .
(٣) في نسخة : ما .
(٤) الفوائد المجموعة : ٣٢٦، وجامع الأسرار : ٣٨١ ح ٧٥٨، وشرح أصول الكافي : ١٢ / ١٢٩ .

الحقّ أنَّ كلّ ما سوى الله سبحانه مخلوق ، فقولهم : ذاتيّ وزمانيّ لا صلاح[١] فيه إلّا كما قال عليّ عليه السلام : (**العلم نقطة كثّرها الجاهلون أو الجهّال**)[٢] .

وأمّا أنّه على الحقيقة ليس بصحيح ، فلأنّه أراد حصر الحوادث في الكائنات في الزّمان وليس بصحيح ، ولأنّه قال : كلّ ما فيه فجعل جميع الأفلاك فيه وهو سابق لها وليس بصحيح ، لأنّه الآن هو ظرف للأجسام خاصّة ، ولا يكون ظرفاً لغيرها ولا غير ظرف ، فإذا كان قبلها فقد وجد فارغاً من الحال فيه ، أو ظرفاً للمجردات ، وكلّ هذا لا يجوز حتّى عند المصنف .

ومن قال بأنَّ الزّمان عبارة عن حركة الفلك ، فقوله : ليس بصحيح أيضاً إذ يلزم منه وقوع الأفلاك ، وهي أجسام خارجة عن[٣] الزّمان ، فلا يكون الزّمان غير ظرف ، ولا ظرفاً للمجرّدات ، ولا ظرفاً فارغاً في حال ولا الأجسام قبل الزّمان ، لئلّا تقع في ظرف المجرّدات أعني الدّهر ، ولا تقع بغير وقت ، وكذلك حكم المكان ، فكان الجسم وجد في الزّمان والمكان ، والزّمان وجد في الجسم وللجسم ، وفي المكان والمكان وجد

---

(١) في نسخة : لا اصطلاح .

(٢) عوالي اللآلي : ٤ / ١٢٩ ح ٢٢٣، وأعيان الشيعة : ٢ / ٥٩٢، وشرح إحقاق الحق : ٣٢ / ٥١ .

(٣) في نسخة : من .

فيهما ولهما ، فوجود الثلاثة دفعة في الظُّهور ، بمعنى أنَّها متساوقة الوجود .

وأمَّا في الذَّات ، فالجسم سابق كسبق الكسر على الانكسار ، لأنَّه هو المادَّة وهما من حدود الصّورة فافهم .

وقوله : (بمعنى أَلَّا هويَّةَ من الهويَّات الشَّخصيَّة إلّا وقد سبق عدمها وجودها سبقاً زمانياً) غلط ، فإنَّ العقل الكلّي هويَّة شخصيَّة ولم يسبق عدمه وجوده في الزّمان ، بل ولا في الدَّهر إلّا بمعنى أنَّه لم يكن موجوداً في رتبة ما فوقه .

وأمَّا أنَّه يقال عليه أنَّه كلّيّ ، فليس المراد أنَّه كلّيّ طبيعيّ لا يوجد في الخارج إلّا في أفراده ، ولا منطقي لا يوجد في الخارج ، وإنَّما يوجد في الذّهن ، ولا كلّي عقليّ لأنَّه لا يوجد حينئذ في الخارج ، ولا الكلّي العقلي كذلك ، بل المراد يكون العقل كلّيًا لكونه محيطاً بما تحته من العقول ، بمعنى قيوميّته لها ، لا بمعنى أنَّها أفراد له كالإنسان الطَّبيعي الكلّي ، فإنَّ زيداً وعمراً وبكراً أفراده ، لأنَّه في الحقيقة انتزعه الذّهنُ من شيء يتحقَّق في كلّ واحد منهم فهو ظلّهم وشبحهم في الذّهن ، ولذا قيل : يوجد في الخارج في أفراده .

وليس المراد من العقل الكلّي هذا المعنى ، بل مرادنا أنَّ العقل ذات شخصيَّة متميّزة بحدودها ومميّزاتها الشَّخصيَّة ، فإنَّه

ملك يؤدّي إلى اللّوح ، وهو ملك يؤدّي إلى إسرافيل كما مرّ[١] ، إلّا أنّه نور خلقه الله وكمّله بحسن قابليته عن ربّه ، فخلق الله من فاضل كماله أشعّة هي حقائق جميع العقول ، وهي قائمة بفاضل وجوده ، ومتذوتة بفاضل تذوّته كقيام شعاع الشّمس بفاضل وجود الشّمس ، وتذوّته بفاضل تذوت الشّمس .

فكون العقل كلّيًا إنّما هو بهذا المعنى لا بمعنى الكلي الطّبيعيّ ، أو المنطقي ، أو العقلي ، ليخرج بقوله : (الهويات الشّخصية) بل هو هويّة شخصيّة متعيّنه بذاتها في الخارج ، ولم يسبق عدمه وجوده في الزّمان .

وقوله : (وبالجملة لا شيء من الأجسام والجسمانيّات المادّيّة) إلخ ، لا يقال عليه أنّه ما أراد بالهويّات الشّخصيّة إلّا الأجسام بقرينة قوله هذا فلا اعتراض عليه ، لأنّا نقول : ليس اعتراضنا عليه من هذه الحيثيّة ، بل من حيث إنّ قوله : (بمعنى ألّا هويّة من الهويّات الشّخصيّة) يريد منه أنّ العقل وسائر المجرّدات إنّما خرج لعدم كونه متشخّصاً ، لأنّها كلّيّات فلا تدخل في الزّمان ، فلا تكون من العالم الحادث كما أشار سابقاً إلى هذا المعنى في عدّة مواضع من كتابه .

---

(١) في الحديث عن الصّادق عليه السلام حين سأله سفيان الثوري عن قوله : ﴿ نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ [القلم : ١] قال : (**نون ملك يؤدّي إلى القلم ، وهو ملك يؤدّي إلى اللّوح ، وهو ملك يؤدّي إلى إسرافيل**) الحديث .

ثمَّ إنَّ قوله : فلكيًّا كان أو عنصريًّا ، نفساً كان أو بدناً إلّا وهو متجدّد الهويَّة ، غير ثابت الوجود والشَّخصيَّة . هذا في الظَّاهر حق ، ويأتي الكلام في الباطن .

فإن قلتَ : قوله : (نفساً كان أو بدناً) يدلُّ على أنَّه أراد بأنَّ النُّفوس من الأجسام وأنت تقول به ، فلِمَ أنكرتَ أن يكون (تكون) الأجسام في ظرف المجرّدات وأنت لا تنكر كون النُّفوس مجرّدة ؟

قلتُ : أمَّا كون النُّفوس أجساماً فهو حق ، وهي آخر مراتب ما يصدق عليه اسم الأجسام من جهة العلوّ ، ولكن إذا كانت أجساماً فهي هويَّات متشخّصة ، فيجب أن تكون في الزَّمان كما يقوله المصنف ، فهي حادث زمانيّ مع أنَّه لا يقول به . أمَّا نحن فنريد بالنُّفوس الجسميَّة والجسمانيَّة ، لأنَّ النُّفوس الحيوانية الحسِّيَّة من الأفلاك وهي أجسام فتكون الحسِّيَّة جسمية وهي في الزَّمان .

ولهذا قلنا فيما تقدَّم تبعاً لقول أمير المؤمنين عليه السلام : (**إنَّها إذا فارقت عادت إلى ما منه بُدِئَت عَوْد ممازجة لا عَوْد مجاورة**)[1] .

وأمَّا النُّفوس العلويّة فنسمّيها أجساماً باعتبار كونها مركَّبة من

---

(١) كلمات مكنونة للفيض الكاشاني : ٧٦، وشرح الأسماء الحسنى : ٢ / ٤٦ .

مادَّة هي نور ومن صورة شخصيَّة شبحية مقداريَّة هندسيَّة ، وباعتبار أنَّ فعلها منوط بالأجسام والزَّمان ، ولهذا تسمعهم يقولون : إنَّ النُّفوس مفارقة في ذاتها للمادّيَّات مقارنة لها بأفعالها .

ومن هنا عبَّرنا عنها بالجسمانيَّة لا الجسميَّة ، لانتسابها إلى الأجسام بأفعالها لا بذاتها . ألا ترى أنَّك تدرك صور ما مضى وما لم يأت وأمثاله ، وليست مدركاتك في الزَّمان ، لأنَّ النَّفس بذاتها أدركتها ولو أردت أن تفعل شيئاً لم يكن فعلك إلّا في زماني ، فلا يكون الزَّمان ظرفاً لشيء من المجرّدات وإن تعلقت أفعالها به .

وقولي : على قول المصنف (متجدّد الهويَّة) أنَّه حقّ في الظَّاهر ، أُريد أنَّه إنَّما قال ذلك على جهة الحصر بأنَّ غير الأجسام غير متجدّد الهويَّة ، وهذا المعنى باطل .

وقولي : ويأتي الكلام في الباطن إشارة إلى عدم صحَّة كلامه في نفس الأمر على إرادة الحصر ، لأنَّ العقول والنُّفوس وكلّ ما سوى الله سبحانه مشترك في التَّجدّد إذ الحادث لا يستغني عن المدد ، لا فرق بين العقول وغيرها ولا يمدّ إلّا بما لم يصل إليه قبل ذلك ، وإذا وصل المدد إليه فلا بدَّ من كسره وصوغه بالمدد صوغاً جديداً ، فهو أبداً يصاغ ويكسر ويصاغ ، وهذا حكم كلّ ما سوى الله وآية هذا ما برهن عليه في العلم الطَّبيعيّ المكتوم ، وهذا

لا شبهة فيه إلّا في جهة واحدة عظمت فيها الشُّبهة على الأكثر حتَّى عثر فيها المحقّقون في طرفها الأعلى والأسفل .

أما الأعلى فقال من أشرف على هذه الدَّقيقة : إنَّ الأشياء لا تبقى في آنَيْن ، بل هي دائماً متجدّدة متبدّلة ، فهي في كلّ آن غيرها في الآن الآخر ، وذلك كالنهر ، فإنَّه وإن كان في الظَّاهر أنَّ ماءه اليوم هو ماؤه أمس حتَّى صحَّ أن يقال : شربنا من هذا الماء بالأمس ، مع أنَّه في كلّ آن غيره في الآن الذي بعده ، فزيد غيره في الآن الآخر ، وفي هذا فساد الثواب والعقاب ، فلا تجد محسناً ولا مسيئاً ، لأنَّه إذا أحسن ذهب مع إحسانه ، فالموجود في كلّ آن ليس بمحسن ولا مسيء .

وأمَّا الأسفل فقد أنكر آخرون التَّعبير[١] والتَّبديل وفي هذا استغناؤه عن المدد ، فيكون قائماً بنفسه باقياً بذاته ، وكلا القولين باطل .

والحقّ أنَّه غير مستغن عن المدد ، وأنَّه يكسر ويصاغ في كلِّ آن فهو هو وهو غيره ، كما قال الصادق عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ﴾[٢] حين اعترض عبد الكريم بن أبي العوجاء لعنه الله فقال : ما ذنبُ هذا

---

(١) في نسخة : التغيير .
(٢) سورة النساء ، الآية ، الآية : ٥٦ .

الغير ، قال عليه السلام : (**هي هي وهي غيرها**) ثمَّ مثَّل له باللّبنة تكسرها وتصوغها فهي هي وهي غيرها(١) .

وأمَّا ما نحن فيه فما يذهب منه يخرج عن كونه أو عن مكانه ويمدّ به ، فهو باعتبار هو هو لا يتبدَّل ، وهو غيره ، لأنَّه كلّ آن في لبس من خلق جديد ، لأنَّه أبداً لا يمدّ إلّا بما له وبما منه ، فما له هو ممَّا يترقَّى إليه ويصاغ فيه به وما منه فهو ما ذهب منه بالذُّبول الظَّاهريّ والمعنويّ يذهب عنه من كونه إلى إمكانه ، ثمَّ يكون له ، وهو ممَّا له ، وقد يذهب عن مكانه إلى مكان آخر من الغيب الكوني ويعود إليه ، وهو ما منه ، فهو كالنَّهر المستدير الذي يمد أوَّله بآخره وآخره بأوَّله وظاهره بباطنه ، وباطنه

---

(١) في تفسير علي بن إبراهيم قيل لأبي عبد الله عليه السلام : كيف تبدّل جلودهم غيرها ؟ .
قال : (**أرأيت لو أخذت لبنة فكسرتها ثم صيرتها تراباً ثم ضربتها في القالب أهي التي كانت إنما هي ذلك وحدث تغير آخر**) بحار الأنوار : ٨ / ٢٨٨ ح ٢٠ ، ومستدرك سفينة البحار : ١ / ٣٠٦ .
وفي الاحتجاج للطبرسي وعن حفص بن غياث قال : شهدت المسجد الحرام وابن أبي العوجاء يسأل أبا عبد الله عليه السلام عن هذه الآية ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾ [النساء : ٥٦] فقال : ما ذنب الغير ؟ قال : (**ويحك هي هي وهي غيرها**) . قال : فمثّل لي في ذلك شيئاً من أمر الدنيا ؟ قال : (**نَعم أرأيت لو أنّ رجلاً أخذ لبنة فكسرها ثم ردّها في ملبنها فهي هي وهي غيرها**) الاحتجاج : ٢ / ١٠٤ ، وبحار الأنوار : ٧ / ٣٨ ، وعين اليقين للفيض الكاشاني : ١٦٧) .

بظاهره ، وهو تأويل قوله تعالى : ﴿ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِۚ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾(١) فكلّ مخلوق متجدّد الوجود متبدل الكون والشَّخصيَّة .

وقوله : (ببرهان لاح من عند الله لأجل التَّدبُّر في آيات الله وكتابه العزيز) ، يريد به أنَّ دليلنا من ذلك .

وأقول : اعلم أنَّ الله سبحانه يقول : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْآفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّۗ ﴾(٢) وقال تعالى : ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾(٣) ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾(٤) وأمثال ذلك ، وذلك لأنَّه تعرَّف لكلّ شيء في كلّ شيء ، وعرَّف من شاء بما شاء ، فجعل كلّ شيء خلقه دليلاً ومدلولاً عليه ، وعلَّةً ومعلولاً ، وشاهداً ومشهوداً ، وكتاباً ومكتوباً ، وحافظاً ومحفوظاً .

والحاصل ما من شيء إلّا وهو آية لشيء ودليل عليه ومبيّن لما خفي قال الصادق عليه السلام : (**العبودية جوهرة كنهها الرُّبوبيَّة** ،

---

(١) سورة ق ، الآية : ١٥ .
(٢) سورة فصلت ، الآية : ٥٣ .
(٣) سورة يوسف ، الآية : ١٠٥ .
(٤) سورة العنكبوت ، الآية : ٤٣ .

فما فقد في العبوديَّة وجد في الرُّبوبيَّة ، وما خفي في الرُّبوبيَّة أُصيب في العبوديَّة)[١] الحديث .

وقال الرِّضا عليه السلام : (**قد علم أُولو الألباب أنَّ الاستدلال على ما هنالك**[٢] **لا يعلم إلّا بما هاهنا**)[٣] انتهى .

وهذا ممَّا لا شكَّ فيه ولا إشكال يعتريه ، وإنَّما الإشكال في تحصيل الحقّ من تلك الأمثال ، لأنَّه لمَّا كان الباطل يشابه الحقّ كما قال تعالى : ﴿ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾ وقال : ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾[٤] فشبّه الحقّ بالشَّجرة والباطل بالشَّجرة ، وقال : ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًاۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَۚ ﴾[٥] فشبّه الحقّ بالزّبد ، والباطل بالزّبد ، وكان النَّاظر إنَّما ينكشف له من الشيء المتشابه ما هو بصدده خفي الأمر على النَّاظرين ، إذ كلّ ينظر ليستدلّ على مذهبه ورأيه ، فيؤتى من حيث طلب .

---

(١) مصباح الشريعة : ٧، وتفسير نور الثقلين : ٤ / ٥٥٦ ح ٧٧، والأصول الأصيلة للفيض : ١٩٣ .

(٢) في نسخة : هناك .

(٣) توحيد الصدوق : ٤٣٨، وعيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ / ١٥٦ .

(٤) سورة إبراهيم ، الآيتان : ٢٤ و٢٦ .

(٥) سورة الرعد ، الآية : ١٧ .

ولو أنَّ النَّاظر لم يلتفت إلى مذهبه ولا إلى ما اعتادته نفسه وأَنِسَتْ به ، ولا إلى قواعد عنده بأن يطلب ما يطابق قواعده ، بل نظر إلى نفس الآية والمثل ، مع قطع النَّظر عن كلّ ما ذكرنا لأصحاب المطالب واستهدى الله سبحانه ، وجعل نفسه مسترشداً بالله عزَّ وجلَّ وبكتابه التَّدويني وبكتابيه الأكبر ، أعني[1] الآفاق ، والأصغر أعني الأنفس ، لوقع على الحقّ وأصاب الصَّواب ، فما أشار إليه المصنف هو ما أراد الله سبحانه ، ولكن بما ذكرنا من الشرائط ، ألا ترى ما أكثر النَّاظرين وأقلَّ المصيبين .

وقوله : (مثل قوله : ﴿ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾[2] يريد به ما في الزَّمان من الأجسام وصفاتها ، وفيه أنَّه إن كانت العلَّة واحدة في الجميع وهي الافتقار إلى الصَّانع عزَّ وجلَّ وإلى صنعه وإلى التَّقوّم بأمره ، فلا فرق بين المجرّدات والمادِّيَّات وإن فرض أنَّ الأمر مختلف ، فالله يحكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون ، وتأويل الآية أنَّهم إنَّما وجدوا بفعله ، وإنَّما قاموا بأمره وما قاموا به[3] في قبضته لا يخرج عن سلطانه ، فبه قوامهم ، كما أنَّ منه بدؤهم فهو في كلّ آن يلبسهم خلَعةً من الوجود كالأُولى إن شاء وإلَّا كغيرها على ما يشاء .

---

(١) في نسخة : يعني .

(٢) سورة ق ، الآية : ١٥ .

(٣) في نسخة : بأمره .

وكذا قوله : (﴿ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ ﴾[١] أي بمثلها إن شئنا أو بما شاء[٢] من الهيئات وننشئكم بما نبدلّ فيما لا تعلمون من الهيئات ﴿ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾[٣] وكذا قوله : ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً ﴾ لعدم نموّها في الظاهر ﴿ وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ ﴾[٤] في سرعة سيره وخفاء ذلك لكبره ، فإنَّها دائماً في التَّحلّل والتَّبدُّل شديدة السير إلى أمر الله وحكمه في السلسلة العرضيَّة حتَّى لا يكاد الجاهل يشعر بذلك السَّير .

وكذلك قوله : (﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ ﴾ وقد شاء ذلك من المخاطبين بذلك الخطاب ﴿ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾[٥] ، فالإذهاب هو كسر البُنْية الأُولى ، والخلق الجديد هو الصّوغ الثَّاني ، وبالكسر تتبدَّل الأمثال ، وبالصوغ الإنشاء فيما لا يعلمون إن كانوا لا يعلمون ، وإن كانوا يعلمون أشهدهم خلق أنفسهم) .

وكذا قوله : (﴿ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ ﴾[٦] وهو كشطها وكسرها) .

وكذا قوله : (﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا ﴾ بإرجاع ما

---

(١) سورة الواقعة ، الآية : ٦١ .
(٢) في نسخة : نشاء .
(٣) سورة الإنفطار ، الآية : ٨ .
(٤) سورة النمل ، الآية : ٨٨ .
(٥) سورة إبراهيم ، الآية : ١٩ .
(٦) سورة الزمر ، الآية : ٦٧ .

تحلّل منهم أو ما نحلّله منهم ﴿ وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾[1] أي إلى ما حكمنا عليهم به يرجعون وهذا حكم الآن بعد الآن ، إذ كلّ ذرَّة من الأرض وممَّن[2] عليها من أمرنا بدأت وإليه تعود ، فالطَّريق بين الفيض والمفاض عليه مملوء من النَّازلات والصَّاعدات ﴿ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾)[3] .

وكذا قوله : (﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ أي في بقائه لدوام المدد والكسر والصّوغ : ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾[4] أي وجه الشَّيء الفاني من ربّه ، فإنَّه كلّ ما فني من الشَّيء شيء أبدله ربّه من وجه ذلك الشيء من ربّه بدل ما فني ، إمَّا بإعادته عليه بعد إحيائه أو بتكوينه بعد انعدامه ، أو يبقى وجهه تعالى أي بابه إلى الشيء وهو محمَّد وآله صلى الله عليه وآله ، لأنَّ الشَّيء الفاني مادّته من أشعَّة أنوارهم ، فما فني منه شيء عوّضوه بدله) .

وفي زيارة شهر رجب (**أنا سائلكم وآملكم فيما إليكم التَّفويض وعليكم التَّعويض ، فبكم يجبر المهيض ، ويشفى المريض ، وعندكم ما تزداد الأرحام وما تغيض**)[5] انتهى .

---

(١) سورة مريم ، الآية : ٤٠ .
(٢) في نسخة : من .
(٣) سورة الأنبياء ، الآية : ٣٣ .
(٤) سورة الرحمن ، الآيتان : ٢٦ ، ٢٧ .
(٥) بحار الأنوار : ٩٩ / ١٩٥ .

وعلى هذا التأويل يكون الضَّمير في عليها في ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾يعود إلى الأرض الجرز أرض الإمكان أو أرض الأكوان .

وكذا قوله : (﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴾[١] أي كل من هو محتاج إلى فعله وأمره في إمكانه ، وكونه يحتاج إلى فعله وأمره في بقائه ، فمن فعله تكوينه في كسره وصوغه ، ومن أمره مدده في مادّته من شعاع أمره ، وفي صورته من شعاع هيئته .

وكذا قوله : (﴿ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴾[٢] ويوم القيامة إنَّهم يرونه بعيداً أي لم يكن ونراه قريباً قد كان ، فيرجع إلى أمره الفعلي وأمره المفعولي ، كلّ شيء بانفراده ، وكلّ ذرَّة بانفرادها ، و﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾[٣] .

واعلم أنَّ الكلام في شرح أحوال التَّجدّد والتَّبدّل طويل الذَّيل ، ولا يسع إلّا الاقتصار على مثل ما أشرنا إليه ، فإنَّ في ذلك كفاية وتبصرة لأُولي الأبصار .

---

(١) سورة مريم ، الآية : ٩٣ .

(٢) سورة مريم ، الآية : ٩٥ .

(٣) سورة الأعراف ، الآية : ٢٩ .

قال : ومبدأ هذا البرهان المشار إليه تارة من جهة تجدّد الطَّبيعة وهو صورة جوهريَّة سارية في الجسم هي المبدأ القريب لحركته الذَّاتيَّة وسكونه ومنشأ آثاره ، وما من جسم إلّا وتتقوَّم ذاته من هذا الجوهر الصّوريّ السَّاري في جميع أجزائه وهو أبداً في التَّحوّل ، والسَّيلان ، والتَّجدُّد ، والانصرام ، والزّوال ، والانهدام ، فلا بقاء لها ولا سبب لحدوثها وتجدّدها ، لأنَّ الذَّاتيّ غير معلّل بعلَّة سوى علَّة الذَّات ، والجاعل إذا جعلها جعل ذاتها المتجدّدة .

برهان تجدد الطبيعة على حدوث الأجسام

أقول : يريد أنَّ مأخذ البرهان على حدوث الأجسام هو تجدّد طبيعتها ، فإنَّ التَّجدُّد إنَّما يكون للمتغيّر الفاني المتبدّل ، وهذا دليل ظاهر لا إشكال فيه ، وإنَّما الإشكال فيما يبنونه عليه وفيما يفرِّعون عليه كما ستسمع .

فقوله : (وهي ـ أي الطَّبيعة ـ صورة جوهريَّة) أي منسوبة إلى الجوهر لأنَّها بنفسها جوهر ، لأنَّ ذلك إنَّما يكون في الصّورة المقوّمة للشَّيء التي هي جزء ماهيته ، ولو أراد العرضية لتوجَّه إليه المنع ، فإذا أراد بها الصّورة التي هي جزء ماهية الشيء وكنهه من نفسه ، كانت عبارة عن الماهيَّة التي هي الانفعال والقابليَّة ، وتجدّد القابليَّة لتجدّد المقبول ، أعني المدد الدائم .

فقوله : (سارية في الجسم) ينافي في الظَّاهر كونها صورة جوهريَّة لأنَّ الجسم إنَّما هو جسم بمادّته وصورته ، فهذه السارية مغايرة لماهيّته ، والمغاير للماهيَّة مغاير لطبيعته ، فيمكن أن نقول : لعلَّه أراد بالجسم المادَّة ليتم له مراده .

وقوله : (هي المبدأ القريب لحركته الذَّاتيَّة ـ التي بها يترقّى وينحطّ ـ وسكونه) أي الذَّاتيّ بقرينة ذكر الحركة الذَّاتيَّة ، وهو ما أقامه تعالى وأمسكه[1] بظلّه الذي يعبّرون عنه بالقيام بنفسه يعني ما به حصول جوهريته ومعروضيته[2] وهي أيضاً منشأ آثاره ، ينبغي أن يقيّد الآثار بإضافة بعض آثاره ، لأنَّ من آثاره وأعظمها ما نشأ من جهة وجوده ومادّته الذي هو نور الله أي أثر فعله فافهم .

وقوله : (وما من جسم إلّا وتتقوَّم ذاته من هذا الجوهر الصّوري السَّاري في جميع أجزائه) كأنه يريد به لازم الماهيَّة كالحرارة للزَّنجبيل الظَّاهرة على الملاقي لا[3] الحرارة التي هي جزء الماهية فإنَّه لا يقال : إنَّ الصورة في السَّرير سارية في جميع أجزائه ، وما السرير قبل الصّورة وإنَّ ما هو قبلها هو الخشب ، وما السَّاري في السَّرير بعد كونه سريراً ؟ وما السَّاري في المادَّة

---

(١) في نسخة : وأسكنه .
(٢) في نسخة : جوهرية ومعروضية .
(٣) في نسخة : إلى .

حتَّى كانت به سريراً ؟ وإنَّما الماهيّة والطَّبيعة إذا وجدت المادَّة انوجدت بوجودها المادَّة كالكسر والانكسار .

وفي الحقيقة أوجد الله المادَّة التي هي الأب ، ثمَّ أوجد من المادَّة التي هي الأب الصّورة التي هي الأُمّ وهي الماهيّة والانفعال[١] والقابلية كما قال تعالى : ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ وهي آدم وهي المادَّة ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾[٢] وهي حواء ، وهي الصّورة ، وهي الأُمّ كما قرَّرنا سابقاً فراجع ، لا كما ظنَّه الخرَّاصُون من أنَّ الأب هو الصّورة ، والأُمّ هي المادَّة ، ولو كان كذلك لكان من قوله عليه السلام : (**السَّعيد من سعد في بطن أُمّه ، والشقي من شقي في بطن أُمّه**)[٣] أن يكون شقاوة الصَّنم من الخشب لا من صورته والحقّ خلافه ، وإذا سامحنا **قلنا** : إنَّ المصنف تساهل في التعبير أو غفل في التقدير .

والحاصل أنَّ الطَّبيعة هي هويَّة الشَّيء من نفسه ، وهي في الخلق الثَّاني ما لبسها من صورة إجابته حين ورد عليه ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾[٤] وهو أي الجسم أبداً في القبول والسَّيلان بقابليّته وطبيعته والتَّجدُّد عند كلّ مدد ورد عليه ليكسر به ويصاغ خلقاً

---

(١) في نسخة : والانفعاليَّة .
(٢) سورة النساء ، الآية : ١ .
(٣) شرح أصول الكافي : ١ / ٢٣٣، وشرح الأسماء الحسنى : ١ / ٢٦٢ .
(٤) سورة الأعراف ، الآية : ١٧٢ .

جديداً هو الأوَّل في مادته وهو غيره في صورته والانصرام للبنية الأُولى لانتهاء أجلها الذي أجَّل لها والزّوال والفناء للهيئة الأُولى والانهدام للبناء الأول لانقضاء أجله وتجديد[١] الأجل الثَّاني ، وهو الصَّوغ الثَّاني كما تكسّر الخمسة إذا وضع عليها خمسة فيصاغ الجميع عشرة ، فهو بعد زيادة المدد عشرة ، لا أنَّه خمسة وخمسة ، فيكون اثنين ، فلا بقاء لها ، أي للأجسام لتجدّد المدد دائماً ، لأنَّ بقاءها إنَّما هو به كما مرّ ، ولا سبب لحدوثها وتجدّدها .

وقوله هذا مبنيّ على قواعدهم المنهدمة من أنَّ الحدوث أمر اعتباريّ ليس بشيء وليس بموجود ، وهذا هو قوله المتناقض ، لأنَّ الذَّاتيّ غير معلّل بعلَّة سوى علَّة الذَّات ، وهذا لا معنى له ، فإنَّ الحدوث إذا لم يكن شيئاً لم يكن المتّصف به حادثاً ، وإذا لم يكن حادثاً كان قديماً ، إذ لا واسطة بين الحادث والقديم ، فإذا لم يكن حادثاً كان قديماً ، وإذا لم يكن قديماً كان حادثاً ، وليس قديماً إلّا باتِّصاف ذاته بالقدم الوجوديّ الذي هو عين ذاته ، والحادث ليس حادثاً إلّا باتِّصاف ذاته بالحدوث الذي هو ذاته ، فلو قلت في زيد الحادث : هو قديم لم يكن بقولك قديماً ما لم تتصف ذاته بقدم وجوديّ هو ذاته ، لا بقولك وفرضك . ﴿ فَأَيْنَ

(١) في نسخة : يتجدَّد .

تَذْهَبُونَ﴾(١) ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾﴾(٢) .

وقوله : (ولا سبب لحدوثها) جوابه : إنَّ سبب حدوثها جعل جاعلها ممكنةً ، وجعله لها مكوّنة بجعل غير جعل الذَّات التي هي المادَّة وإن كان مترتّباً على جعلها ، لأنّا قد قرَّرنا أنّها هي صورة الإجابة ، أعني القابليَّة التي تسمّى بالماهيَّة ، وهي من المادَّة كالانكسار من الكسر ، فإنَّ الكسر مجعول بجعل فاعله ، والانكسار مجعول بجعل من ذلك الجعل مترتّب عليه مغاير له ، فإنَّ ما به يصدر النُّور على هيئته غير ما تصدر عنه الظّلمة على هيئته وإن كان مترتّباً عليه كما ترتَّب الانكسار على الكسر .

بل أقول : بأنَّ الكسر والانكسار كان بأربعة جعلات : أحدها : جعل الكسر ، والثاني : جعل الانكسار ، والثَّالث : جعل التَّلازم بينهما ، والرابع : جعل الإلزام به بينهما ، أي إلزام أحدهما الآخر وبين الأوّل والثَّاني سبعون سنة ، وبين الثَّاني والثالث كذلك ، وبين الثالث والرابع كذلك ، وكيف لا يكون الحدوث والتَّجدُّد مخلوقاً وهو صفة وجودية لموصوف موجود ، فلفظ الحدوث مهمل أو مستعمل ، فإذا كان مستعملاً فقد وضع

---

(١) سورة التكوير ، الآية : ٢٦ .

(٢) سورة الصافات ، الآيات : ١٥٤ ـ ١٥٧ .

بإزاء معنى موجود وإلّا فهو مهمل ، فإذا كان معنى موجوداً إمّا أن يكون مخلوقاً أو قديماً ، وإنّما جروا على كلام قاله من لم يعلم .

قال : ما خلق الله المشمش مشمشاً وإنّما خلق المشمش .

فقلنا له : كون المشمش مشمشاً شيء أو ليس بشيء ؟ فإن كان شيئاً فالله سبحانه خالقه وإن كان ليس بشيء فما الذي تنفيه ، فأيُّها المتسمّي بالشّيعيّ ؟ أما قرأتَ دعاء السّمات دعاء حجّة الله في أرضه وسمائه عجّل الله فرجه : (**وخلقت بها الشّمس ، وجعلت الشّمس ضياء**) إلى آخر كلماته عليه السلام[(١)] ، والضياء هو الشّمس كما قال تعالى : ﴿ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا ﴾[(٢)] وإنّما مالوا إلى ذلك الكلام الباطل فراراً من لزوم الجبر في أفعال العباد الاختياريّة ، ومن كان هذا ملجؤه فلا ملجأ له ، فالذّاتيّ إذا كان مغايراً للذّات كانت علّته غير علّة الذّات ولو بالمفهوم والاعتبار ، وإلّا وقع تغاير المفهوم والاعتبار باطلاً .

فيا سبحان الله كيف كبت جياد الفحول حتّى بقوا يحرمون في تحقيقاتهم حول الألفاظ والمفاهيم اللّفظيّة ، مع أنّهم لو فهموا مدلولات الألفاظ وحقائق المفاهيم ما تجاوزوا الحقّ إلى أُمور صناعيّة وتقريبات اصطلاحيّة ما أنزل الله بها من سلطان .

---

(١) مصباح المتهجد : ٤١٧ ، وجمال الأسبوع لابن طاوس : ٣٢٢ .
(٢) سورة يونس ، الآية : ٥ .

ومنها قوله : (هي المبدأ القريب لحركته الذَّاتيَّة) يعني أنَّ الطَّبيعة لمَّا كانت مبدأً للحركة المتجدّدة السَّيَّالة وجب أن تكون هي كذلك ، لاستحالة صدور المتجدّد عن الثَّابت ، مع أنَّهم لا يعرفون إلّا صدور المتجدّد عن الثَّابت كصدور المتجدّدات عن الله سبحانه ، أو عن فعله ، أو عن العقل الكلي ، وأمثال هذه الكلمات ، فيقول في تقرير كون الحدوث والتَّجدُّد غير مجعولين ، والجاعل إذا جعلها جعل ذاتها المتجدّدة .

وأمَّا تجدّدها فليس بجعل جاعل ، فإذا صدرت المجعولة المتجدّدة عن جاعلها وجب أن يكون متجدّداً ، ولزمه أيضاً أن يكون التَّجدُّد قديماً ، أو يكون قوله بثبوت التَّجدُّد لها كذباً ، أو أنَّها هي التَّجدُّد أي (هي) تجدّدها ، فهي صفتها ، ثمَّ يلزمه مجعوليَّة التَّجدّد لأنه هو المتجدّد المجعول .

هذا قولي ، ولا أدري ماذا يعتذر به إلّا أنَّه يقول في رسالته الموضوعة في حدوث العالم : (التَّجدُّد للشَّيء إذا لم يكن صفة ذاتيَّة له ففي تجدّده يحتاج إلى مجدّد متجدّد ، وإن كان صفة ذاتيَّة له كما نحن فيه فلا يحتاج[1] إلى جاعل يجعل ذات الشيء ، أي إلى جاعل يجعلها متجدّدة ، إذ الذَّاتيَّات لا تعلّل) انتهى .

فإذاً ذات الشَّيء من الذَّاتيَّات للشيء ، فلا يحتاج إلى جاعل إذ الذَّاتيَّات لا تعلّل .

---

(١) في نسخة : إلّا .

قال : وأمَّا تجدّدها فليس بجعل جاعل وصنع فاعل ، وبها يرتبط الحادث بالقديم ، لأنَّ وجودها بعينه هذا الوجود التَّدريجي وبقاؤها عين حدوثها ، وثباتها عين تغييرها ، والصَّانع بوصف ثباته وبقائه أبدع هذا الكائن المتجدّد الذَّات والهويَّة ، والَّذي جعله الحكماء واسطة لارتباط الحادث بالقديم ، وهي الحركة غير صالحة لذلك ، فإنَّ الحركة أمر عقليّ إضافيّ عبارة عن خروج الشَّيء من القوَّة إلى الفعل ، لا ما به يخرج منها إليه ، وهو نحو من الوجود والحدوث التَّدريجي ، والزَّمان كمّيَّة ذلك الخروج والتَّجدُّد ، فالحركة خروج هذا الجوهر من القوَّة إلى الفعل تدريجاً ، والزَّمان مقداره ، وشيء منها لا يصلح أن يكون واسطة في ارتباط الحادث بالقديم ، وكذا الأعراض لأنَّها تابعة في الثَّبات والتَّجدُّد لمحالّها ، فلم يبق إلّا ما ذكرناه ، وقد بسَّطنا القول المشبع لإثبات هذا المرام في سائر صحفنا بما لا مزيد عليه .

أقول : قد بيّنّا بطلان قوله : (وأمَّا تجدّدها فليس بجعل جاعل وصنع فاعل) .

وقوله : (وبها يرتبط الحادث)[1] بالقديم ، أي وبالطَّبيعة

---

(١) في نسخة : الحادثات .

يرتبط الحادث[١] بالقديم ليس بصحيح ، لأنَّ القديم إذا وقع بينه وبين غيره ارتباط حادثاً كان أو قديماً كان حادثاً لحصول الاقتران الممتنع من القدم الممتنع من الحدوث ، وإنّما الارتباط بين الحادث والحادث ، أعني فعله وإرادته كما قال أمير المؤمنين عليه السلام : (**انتهى المخلوق إلى مثله ، وألجأه الطّلب إلى شكله**)[٢] والارتباط بين الفعل وبين الظّاهر به نفس الفعل ، لأنّه

---

(١) في نسخة : الحادثات .

(٢) ورواه المصنف في الجزء الثاني من شرح العرشية ، قال عليه السَلام في خطبته : (**وإن قلتَ : مِمَّ هُو ؟ فقد باين الأشياء كلّها فهو هو ، وإن قلتَ : فهو هو ، فالهاء والواو كلامه صفة استدلال عليه لا صفة تكشف له ، وإن قلتَ : له حدّ فالحدّ لغيره ، وإن قلتَ : الهواء نسبه فالهواء من صنعه رجع من الوصف إلى الوصف وعمي القلب عن الفهم والفهم عن الإدراكِ ، والإدراكُ عن الاستنباط ، ودام الملك في الملك ، وانتهى المخلوق إلى مثله وألجأه الطّلب إلى شكله ، وهجم به الفحصُ إلى العجز ، والبيانُ على الفقدِ ، والجهد على اليأس ، والبلاغ على القطع ، والسبيل مسدود ، والطلب مردود ، دليله آياته ، ووجوده إثباته**) .

وهي الخطبة المعروفة بدرّة التوحيد روى بعضها السيد حيدر الآملي في جامع الأسرار ومنبع الأنوار : ٢٣٤، وأولها : (**الحمد لله حمد معترف بحمده مغترف من بحار مجده بلسان الثناء شاكر . .**) .

وفيها : (**السبيل مسدود والطالب مردود دليله آياته ووجوده إثباته ، ومعرفته توحيده ، وتوحيده تنزيهه من خلقه ، بأين لا بمسافة قريب لا بمداناة . له حقيقة الربوبيّة إذ لا مربوب ومعنى الإلهيّة إذ لا مألوه . صفة أنّه ربّ وغيره خلق . له تأويل البينونة لا بينونة له ، ما تصوّرته الأوهام فهو بخلافه . ليس بربّ من** =

تعالى خلقه بنفسه ، كما قال جعفر بن محمد عليهما السلام : (**خلق الله المشيئة بنفسها ، ثمَّ خلق الخلق بالمشيئة**)[١] انتهى .

والمشيئة هي الفعل ، والظَّاهر بها هو الفاعل لها ، والفاعل صفة الذَّات البحت كما قرَّرنا فيما تقدَّم أنَّ القائم هو اسم فاعل القيام ، وفاعل القيام هو الظَّاهر به ، والظَّاهر به صفة زيد ومثاله ، وليس ذات زيد بنفسها ظاهرة بالفعل ، بل معنى كونها ظاهرة به أنَّها[٢] فاعلة له بواسطة الفعل نفسه ، فكان الإيجاد

= **أطرح تحت البلاء ، ولا بمعبود من وجد في وعاء هواء وغير هواء . فهو في الأشياء كائن لا كينونة محصور (محظورة ـ م) بها عليه . ومن الأشياء بائن لا بينونة غائب عنها . .) إلى قوله عليه السلام : (فهو الأوّل لا أوّل له . والآخر لا آخر له . والظاهر لا ظاهر له والباطن لا باطن له) .**

رواه السبزواري والطباطبائي باختصار : (**دليله آياته ، ووجوده إثباته ومعرفته توحيده وتوحيده تمييزه**) . انظر شرح الأسماء الحسنى : ١ / ١٦، وتفسير الميزان : ٦ / ١٠٢ .

ورواه ابن شعبة الحراني عن الإمام الحسين عليه السلام بتفاوت واختصار ، انظر تحف العقول : ٢٤٤، وبحار الأنوار : ٤ / ٣٠١ ح ٢٩ .

(١) قال الإمام الصادق عليه السلام : (**خلق الله المشيئة بنفسها ثم خلق الأشياء بالمشيئة**) . التوحيد : ١٤٨ ح ١٩ باب (١١) صفات الذات وصفات الأفعال ، وشرح الأسماء الحسنى : ١ / ٧، وبحار الأنوار : ٤ / ١٤٥، ومختصر بصائر الدرجات : ١٤١ .

وفي رواية : (**خلق الله المشيئة قبل الأشياء ثم خلق الأشياء بالمشيئة**) التوحيد ح ٨ باب (٥٥) المشيئة والإرادة ، وبحار الأنوار : ٤ / ١٤٥ ح ٢٠ .

(٢) في نسخة : لأنَّها .

منسوباً إلى مثال زيد الذي هو الظَّاهر بالفعل ، ولو كان الظَّاهر بالإيجاد هو نفس زيد من غير توسّط الفعل لكانت ذاته فعلاً ، ولكانت أبداً فاعلة ، بل هي إن شاءت فعلت بواسطة مشيئتها ، وإن شاءت لم تفعل ، وما هذا شأنه لا يكون ذاتياً ، لأنَّه تعالى ليس فاعلاً في أزله ، وإنَّما هو فعَّال لما يريد ، أي في الإمكان الذي تتعلَّق بالإرادة(١) ، فإذا تأخَّرت فاعليّته عن ذاته كانت مغايرة لذاته ، إذ الشَّيء لا يتأخَّر عن نفسه ، وليس شيء غير ذاته إلّا فعله وفاعليّته التي نسمّيها صفته ومثاله .

وقوله : (لأنَّ وجودها ـ أي الطَّبيعة ـ هذا الوجود التَّدريجي) أي هي هذا الوجود التَّدريجي ، وهذا لا إشكال فيه إنَّما الإشكال في أنَّ هذا التَّدريجي هو الارتباط بين الحادث والقديم ، أمَّا من جهة فيناسب له المتجدّد التَّدريجي ، وأمَّا القديم فلا يصحّ أن يرتبط به التَّدريجي ، لأنَّ التَّدريجي مختلف ، فإذا ارتبط به القديم وجب أن تختلف جهاته لاختلاف المرتبط بها ، ويلزم أيضاً أنَّها لم تكن صادرة عن فعله ، وإلَّا لكان الرَّبط منسوباً إليه ، ويلزم أيضاً ما قلنا أوَّلاً من الاقتران المستلزم للحدوث بالاتِّفاق بين الحكماء والعقلاء .

وقوله : (وبقاؤها عين حدوثها) ليس بصحيح ، لأنَّ بقاءها

---

(١) في نسخة : يتعلَّق به الإرادة .

ليس إلّا بالمدد ، والحدوث إنَّما كان بالإيجاد الابتدائيّ وليس ما بالمدد عين ما بالإيجاد ، بل هو مغايرٌ له على أنَّ الحدوث مناف للبقاء وإنَّما يجتمعان من جهتين ، فجهة ما به البقاء هو الإبقاء بالمدد ، وجهة ما به الفناء هو الحدوث ، وكذا حكم الثَّبات والتَّغيّر .

وقوله : (الصانع بوصف ثباته وبقائه أبدع هذا الكائن المتجدّد الذَّات والهويَّة) متنافي المعنى ، لأنَّ مقتضى الإبداع بوصف الثَّبات والبقاء إيجاد الكائن الثَّابت الباقي ، فإيجاد الكائن المتجدّد الذَّات والهويَّة دليل على صدوره عن متجدّد ومتغيّر وليس إلّا الفعل ، فالعبارة الصحيحة أن يقال : إنَّ الصَّانع الفيَّاض أبدع المتجدد ، لأنَّ الفيض متجدّد والفعل متجدّد ، وهما علّتا المصنوع القريبتان ، والأثر يشابه هيئة المؤثّر ، أي المؤثّر القريب ، فإنَّ حلاوة العسل مشابهة للعسل لا للنحل ، والكتابة تشابه هيئة حركة يد الكاتب لا الكاتب ولا يده .

وقوله : (والَّذي جعله الحكماء واسطة لارتباط الحادث بالقديم ، وهي الحركة غير صالح لذلك) غلط في قولهم ، فإنَّ قول الحكماء بتوسّط الحركة هو الصَّحيح الواجب الحصول ، وإن كنَّا نمنع الارتباط لما سمعت ، لكنَّا نقول : إنَّ المفعول لا يمكن حصوله وصدوره بدون الفعل ، لأنَّ الصَّادر لو فرض إمكانه بدون

فعل من المصدر لم يكن[١] بدون فعل من الصادر أو بمعونته ، كالولادة فلا بدَّ من توسط الفعل من المصدر ، أو الصَّادر ، أو من كلّ منهما ، أو من خارجيّ ، سواء كان على نحو الاختيار أم لا .

هل الحركة أمر عقليّ إضافيّ ؟

وقوله : (إنَّ الحركة أمر عقليّ إضافيّ) ففيه أنَّ الحركة ليست أمراً عقليّاً ، بمعنى إرادته من أنَّ الذي هو الظَّاهر ، إنَّما هو الفاعل والمفعول ، بل الفعل أشدّ تحقّقاً ووجوداً من المفعول الذي حقيقته أثر الفعل وتأكيده كما نحن بصدده ، فإنَّ المتحقّق بعد تحقّق الفاعل إنَّما هو الفعل ، وأمَّا المفعول إذا لم يكن ثابتاً متحقّقاً بمادّته فليس شيئاً إلّا بالفعل ، مثل ضرباً فإنَّه أثر ضَرَبَ وتأكيده ليست شيئاً إلّا بِضَرَبَ ، فهو بضرب شيء لا بنفسه ولا بالضَّارب من دون فعله ، وأمَّا قياسه على ضرب زيد عمراً من أنَّ المرئي الظَّاهر إنَّما هو زيد الضَّارب وعمرو المضروب .

وأمَّا حركة زيد في ضربه عمراً فأمر عقلي قياس مع الفارق ، لأنَّ عمراً ليس في الحقيقة مفعولاً لزيد ، وإنَّما وقع فعله عليه بعد تحقّقه .

ومراد الحكماء بالحركة التي تكون علّة لكون المعلول وتلك

---

(١) في نسخة : يمكن .

بالنّسبة إلى معلولها أمر متحقّق أشدّ تحقّقاً من معلولها ، والمعلول منسوب إليها صادر منها لصدور هيئته من هيئتها ، فليس أمراً عقليًّا اعتباريًّا كما توهموه على الحكماء ، كيف ؛ والطّبيعة إنّما هي أثره ، فما فيها من التّحقُّق والظُّهور والشّيئية فإنّما هو من أثره ، فإن جعل إضافياً نسبيًّا فهي أثره والمؤثّر أولى من الأثر بالثّبوت .

وقوله : (عبارة عن خروج الشيء من القوّة إلى الفعل) ليس بصحيح ، لأن الحركة التي هي خروج الشيء من القوّة إلى الفعل ليست هي فعل فاعل الشّيء ، وإنّما هي فعل الشيء الخارج ، ولا يعنون بالحركة التي هي الارتباط بين الحادث والقديم حركة الحادث ، وإنّما يعنون بها فعل القديم ، وليس فعل الفاعل هو إخراج معلوله من كتم غيب إمكانه إلى شهادة أكوانه ، لا خروجه الذي علّته فعله ، بل الخروج فعل المعلول ، والخروج يقال للمتحقّق قبل الخروج بخلاف ما نحن بصدده .

وقوله : (لا ما به يخرج منها إليه) إن أراد به ما نفاه من كونه واسطة للارتباط ، فليس هو الخروج من القوّة إلى الفعل ، وإنّما هو ما به الخروج ، أي الحركة المخرجة لا مطلق ما به الخروج لصدقه على كلِّ علّة من العلل الأربع ، وإنّما الصالح لواسطة الارتباط العلّة الفاعليّة ، ونريد بالعلّة الفاعليّة نفس الفعل مع الحامل له ولو جوّزنا الارتباط لقلنا : إنَّ الارتباط هو نفس الفعل ومحلّه ، ولكنّا نمنع الارتباط بين الحادث والقديم كما نثبته بين

الحادث والحادث ، أعني العلَّة الفاعليَّة التي هي الفعل مع محلّه ، وهو كالقائم من زيد فافهم .

وقوله : (وهو نحو من الوجود) ما ندري ما يعني بالوجود مع كثرة ما يقلّبه في معانيه ؟ ! ولا معنى لشيء منها إلّا ما أُريد به ما يعبّر عنه بالفارسية بـ (هستي) ، وما سوى هذا المعنى من المعاني المرادة من لفظ الوجود ، إن أُريد به الحقيقة ففي الحقيقة كلّها وساوس ، إذ ليس إلّا ضدّ العدم أو المادَّة أو الجهة العليا للشَّيء أعني حقيقته من ربّه ، وهذا الأخير من الاصطلاحيّ الصحيح .

وقوله : (وهو نحو من الوجود الحدوثيّ التَّدريجيّ ، يعني أنَّ الخروج من القوَّة إلى الفعل نحو من الوجود) إلخ وهو كما قال من كونه شيئاً حادثاً تدريجيّاً كما هو شأن الحوادث ، فإنَّ كلّ شيء منها تدريجي ، سواء كان من المجرّدات أم من الماديَّات ، لا كما توهَّمه[1] في المجرّدات فإنَّهم توهَّموا فيها أشياء باطلة :

منها : أنَّ معنى كونها مجرّدة ألَّا مادَّة لها ، وهذا باطل ، بل المعنى أنَّ كونها مجرّدة أنَّها مجرّدة عن المادَّة العنصريَّة والمدَّة الزَّمانيَّة ، لا أنَّها لا مادة لها .

ومنها : أنَّها دفعيَّة الكون ليس فيها ما بالقوَّة ، بل كلّ ما لها

---

(١) في نسخة : توهَّموه .

بالفعل غير منتظرة لشيء منها وهو غلط ، لأنَّها في نفس الأمر لا فرق بينها وبين الجمادات وإن كان في بادي الرأي أطول بقاءً وأوسع وقتاً ، إلّا أنَّ المحتاج في كونه وفي بقائه إلى المدد لا يستغني عنه ، كيف لا يكون تدريجاً ؟

ومنها : عدم فنائها لكونها باقية ببقاء الله تعالى لا بإبقائه ، وهو غلط كما تقدَّم وغير ذلك .

وقوله : (والزَّمان كمّيَّة ذلك الخروج التَّجديديّ) يعني أنَّ الحركة عبارة عن خروج الشَّيء ذي الطَّبيعة أو الطَّبيعة من القوَّة إلى الفعل ، وهو نحو من الوجود التَّدريجيّ ، والزَّمان كمّيَّة ذلك الخروج التَّجديديّ ، فيكون كلّ متجدّد متدرّج من الأجسام وطبائعها وحركاتها محدثة في الزَّمان .

وهذا الكلام منه نوع مناقضة لما قال في الرَّدّ على الحكماء ، حيث جعلوا الحركة واسطة للارتباط بين الحادث والقديم بأنَّها أمر عقليّ إضافيّ ، فإنَّها إذا كانت نحواً من الوجود لم تكن أمراً اعتباريًّا ، بل هي شيء محدث بنفسه ، وبه حدثت الطَّبيعة إذ الحكماء لا يعنون حركة الطَّبيعة ، بل يعنون الحركة الإيجاديَّة التي بها كانت الطَّبيعة ، ولو عنى بعضهم حركة الطَّبيعة كان خطأً كما أَخْطَأَ جاعِلُ الطَّبيعة واسطةً للارتباط ، لأنَّها إن أُريد نفسها لا غير كانت إمَّا غير محدثة أو محدثة بحركتها أو بحركة فعل فاعلها ، ولا سبيل إلى الأوَّلين والثَّالث يردّ قول المصنف .

وقوله : (وشيء منهما لا يصلح أن يكون واسطة في ارتباط الحادث بالقديم) إلخ صحيح إلى قوله : (فلم يبق إلّا ما ذكرناه) .

وأنا أقول : وما ذكره فإنَّه أيضاً لم يبق ، لأنَّ الطَّبيعة ليست فاعلة لما دونها ، ولا خرجت إلى الكون بدون فعل فاعلها ، وليس لها أصل غير مخلوق لتكون كامنة فيها فيكون هو المخرج لها من القوَّة إلى الفعل .

وإن كان بالحقّ كما توهَّمه آخرون فلا يصلح شيء من ذلك ممَّا ذكر ، وممَّا ذكروا إن أرادوا غير فعل الفاعل وإن أرادوه فهو صالح للواسطة في الارتباط بينه وبين الحادث ، لأنَّ التَّمكين من القبول للإيجاد منه وهو الرَّابطة وبه القابليَّة التي هي ماهيَّة المحدث ومن الفعل المدد المقبول ، لأنَّه أثره ، فالرابطة التَّمكين والارتباط بين الفعل ـ أي الإيجاد للمدد المقبول لا من شيء وهو مادة المحدث المسماة بالوجود ـ وبين المحدث أي المقبول والقابل أعني الوجود والماهيَّة ، أي المادَّة والصّورة .

قال : وتارة من جهة إثبات الغايات للطبائع وأنَّها تستدعي من جهة استكمالاتها الذَّاتيَّة وحركاتها الجوهريَّة أن يتبدَّل عليها هذا الوجود ، ويزول عنها هذا الكون ، وينقطع الحرث والنَّسل ،

وينهدم هذا البناء ، ويضيق من في الأرض والسَّماء ، ويخرب هذا[١] الدَّار ، ويرجع الأمر إلى الواحد القهَّار .

قال أمير المؤمنين وإمام الموحِّدين علي بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام في خطب نهج البلاغة مشيراً إلى دثور العالم وزواله من جهة إثبات الغاية والرُّجوع إلى البداية : (كلّ شيء خاضع له ، وكلّ شيء قائم به ، غنى كلّ فقير ، وعزّ كلّ ذليل ، وقوَّة كلّ ضعيف ، ومفزع كلّ ملهوف ، من تكلّم سمع نطقه ، ومن سكت علم سرّه ، ومن عاش فعليه رزقه ، ومن مات فإليه منقلبه)[٢] .

ثمَّ ساق الكلام إلى قوله عليه السلام في أحوال الإنسان وولوج الموت فيه على التَّدريج : (فلم يزل الموت يبالغ في جسده حتَّى خالط سمعه ، فصار بين أهله لا ينطق بلسانه ، ولا يسمع بسمعه ، يردّد طرفه في وجوههم ، يرى حركات ألسنتهم ، ولا يسمع رجع كلامهم ، ثمَّ ازداد الموت انبساطاً به ، فقبض سمعه وخرجت الرُّوح من جسده ، فصار جيفة بين أهله ، قد أوحشوا من جانبه ، وتباعدوا من قربه ، لا يسعد باكياً ، ولا يجيب داعياً . ثمَّ حملوه إلى مخطّ في الأرض وأسلموه فيه إلى عمله ، وانقطعوا عن

(١) في نسخة : تخرب هذه .

(٢) نهج البلاغة : ١ / ٢١٠، والبحار : ٤ / ٣١٨ .

زورته ، حتَّى إذا بلغ الكتاب أجله ، والأمر مقاديره ، وأُلحق آخر الخلق بأوَّله ، وجاء من الله ما يريده من تجديد خلقه ، أمار السَّماء وفطرها ، وأرّج الأرضَ وأرجفها ، وقلع الجبال ونسفها ، ودكَّ بعضها بعضاً من هيبة جلاله وخوف سطوته ، وأخرج من فيها ، فجدَّدهم بعد إخلاقهم ، وجمعهم بعد تفريقهم .

ثمَّ ميَّزهم لما يريد من مسألتهم[1] عن الأعمال وجنايا[2] الأفعال ، وجعلهم فريقين أنعم على هؤلاء وانتقم من هؤلاء ، فأمَّا أهل الطَّاعة فأثابهم بجواره وخلَّدهم في داره حيث لا يظعن النّزال ، ولا يتغير بهم الحال ، ولا تهولهم الأفزاع ، ولا تنالهم الأسقام ، ولا تعرض لهم الأخطار ، ولا تشخص لهم[3] الأبصار . وأمَّا أهل المعصية فأنزلهم شرّ دار ، وغلَّ الأيدي إلى الأعناق ، وقرن النواصي بالأقدام ، وألبسهم سرابيل القطران ومقطّعات النِّيران)[4] .

أقول : حيث طال هذا المتن أسلك في طريق المزج للاختصار .

---

(١) في نسخة : مسائلهم .
(٢) في نسخة : خبايا .
(٣) في نسخة : تشخصهم .
(٤) انظر كتاب العرشية : ١٢١ .

وقوله :[(١)] يكون استدلالنا على حدوث الأجسام الزَّمانيَّات على ما يذهب إليه .

ونحن نقول : إنَّ الاستدلال من جهة المبادىء بالتَّجدُّد والتَّغير فهو جار في كلّ ما سوى الله سبحانه ، وإن كان أكثرهم لا يجد للمجرّدات تجدّداً وتغيّراً فإنَّه لضعف بصيرته ، ولئن استشهد على حاله وحالها بتأويل قوله تعالى : ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ﴾[(٢)] فما أخطأت الصَّواب عند أُولي الألباب من جهة إثبات الغايات للطبائع يكون استدلالنا قائماً على حدوث الكلّ .

أمَّا الأجسام فحيث كانت ظاهرةَ الطَّبائع قال بها المصنف وأمثاله .

وأمَّا المجرّدات فتدبَّر قول جعفر بن محمد الصَّادق عليهما السلام : (**العبودية جوهرة كنهها الرُّبوبيَّة ، فما فُقِدَ في العبوديَّة وُجد في الرُّبوبيَّة ، وما خفي في الرُّبوبيَّة أُصيب في العبوديَّة**)[(٣)] الحديث ، فإنَّك تجد أنَّ كلّ ما يوجد في المادِّيَّات يوجد في المجرّدات إذ لا نعني بتجرّدها أنَّها لا مادَّة لها كما توهَّموه ، بل

---

(١) في نسخة : وتارة .

(٢) سورة النمل ، الآية : ٨٨ .

(٣) مصباح الشريعة : ٧، وتفسير نور الثقلين : ٤ / ٥٥٦ ح ٧٧، والأصول الأصيلة للفيض : ١٩٣ .

كلّ ما في المادِّيَّات فإنَّما هو أثر ما في المجرّدات ، إذ هي خزائن المادِّيَّات ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾[1] .

ولا يقال : إنَّ هذا ما استدلوا به من أنَّ معطي الشَّيء ليس فاقداً له في ذاته ، لأنَّا قد بيَّنَّا فساد هذا القول ، وإنَّما هو ليس فاقداً له في ملكه وأمَّا في ذاته فيلزم التَّركيب والتَّكثّر في ذاته تعالى ، وإذا أخرجه لزمت الولادة ، تعالى الله عن ذلك وإن كان بنحو أشرف كما توهمته[2] العقول البادرة والآراء الكاسدة بخلاف الخلق بنسبة بعضه إلى بعض ، فإنَّه تعالى جعل الأعلى خزانة للأسفل ، ولا ينزل إلى الأسفل الذي هو العبوديَّة المذكورة في حديث الصادق صلوات الله عليه إلّا ما خرج من الأعلى الذي هو الرُّبوبيَّة ، فالعبوديَّة المسبّبات والمعلولات ، والأظلّة والأعراض والأشعَّة والآثار وما أشبه ذلك ، والرُّبوبيَّة كالأسباب والعلل وذوي الأظلّة والمعروضات والمنيرات والمؤثرات وما أشبه ذلك .

والحاصل : المراد من دليله أنَّها تعود إلى ما منه بدأت كما بدأت أوَّل مرَّة أي بالتَّدريج والتَّغيّر الذي هو دليل الحدوث ،

---

(١) سورة الحجر ، الآية : ٢١ .

(٢) في نسخة : توهَّمه .

(وأنَّها تستدعي من جهة استكمالاتها الذَّاتيَّة) ، لأنَّها إنَّما أُهبطت من أوج أفلاكها إلى حضيض مراكزها إلّا لتستكمل بمعاناتها ومعالجاتها وأعمالها ممَّا لم تصل إليه قبل الهبوط ، كما قال ابن سينا[(١)] في الرُّوح :

إن كَان أَهبَطَهَا الإلَهُ لِحكمَةٍ ... طُويَت عَن الفَطِنِ اللَّبِيبِ الأَروَعِ
فَهُبُوطُهَا لا شكَّ ضَربةُ لازب ... لِتَكُونَ سَامِعَةً بِما لَم يُسمَعِ
وَتَكونَ عَالِمَةً بِكلِّ خَفِيَّة ... فِي العَالَمِينَ فَخَرقُهَا لَم يُرقَعِ[(٢)]

المستلزمة للتَّنقّل والتَّغيّر والتَّبدُّل في الكسر والصَّوغ المبيّن لحدوثها وحركاتها الجوهريَّة ، وهي ترقّي ذواتها بأطوار قابليَّاتها في درجات كمالاتها ، أو تنزّلها[(٣)] بأطوار قابليَّاتها في دركات

---

(١) هو الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا البلخي ، ثم البخاري ، ويلقب بالشيخ الرئيس (أبو علي) فيلسوف ، طبيب ، شاعر ، مشارك في أنواع من العلوم .
ولد بخرميشن من قرى بخارى في صفر (٣٧٠ هـ ـ ٩٨٠ م) ، وتوفي بهمذان في رمضان سنة (٤٢٨ هـ ـ ١٠٣٧ م) .
وفي الكامل لابن الأثير : مات بأصبهان في شعبان .
من تصانيفه الكثيرة : القانون في الطب ، تقاسيم الحكمة ، لسان العرب في اللغة ، الموجز الكبير في المنطق ، وديوان شعر .
انظر معجم المؤلفين لعمر كحالة : ٤ / ١٩ ، الكامل في التاريخ لابن الأثير : ٩ / ١٥٧ .

(٢) الوافي بالوفيات : ١٢ / ٢٥٢ .

(٣) في نسخة : تنزّلاتها .

نقائصها وبعدها أن يتبدَّل باقتضاء ميولها[١] الذَّاتيَّة عليها هذا الوجود في أطوارها إلى وجود آخر ، فهي أبداً تلبس وتخلع ، وتلبس ويزول عنها هذا الكون ، وتلبسُ كوناً آخر ، فتخرج من كون إلى كون ، لا من كون إلى إمكان ، هذا في الذَّوات .

وأمَّا في الهيئات بل والذرات ، فقد تخرج من كون إلى إمكان ، وينقطع الحرث والنسل الدُّنياويّين لا مطلقاً ، وذلك في المنتقلين عنها إلى دار أُخرى ، وينهدم هذا البناء ليصاغ صيغة لا تحتمل الفساد ، وإنَّما هدم البناء ليُصاغ الصيغة الكاملة ، ويضيق من في الأرض ومن في السماء عند التخلص والانتقال ، ويخرب هذه الدار عند المنتقلين عنها بالانتقال ، ويرجع الأمر عند المنتقلين .

وفي الظَّاهر فلا أمر ، ولا نهي ، ولا ولاية ، ولا عزّ ، ولا انتصار ، ولا شيء من أحوال أهل الدُّنيا لأحد منهم ، بل يرجع أمر كلّ شيء ـ بحسب الظَّاهر ـ إلى الواحد القهَّار مالك يوم الدِّين ، ويكون في الظَّاهر كما هو في نفس الأمر ، لأنَّ الأمر كلّه لله في الظَّاهر والباطن وفي الدُّنيا والآخرة على حدّ سواء ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٢] ويوم تقوم السَّاعة تظهر الحقائق ، فلا يخفى شيء على أحد .

---

(١) في نسخة : ميولاتها .

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ١٨٧ وسورة يوسف ، الآية : ٢١ .

بيان دثور العالم وزواله من جهة إثبات الغاية والرُّجوع إلى البداية

(قال أمير المؤمنين وإمام الموحِّدين عليه الصلاة والسَّلام في خطب نهج البلاغة مشيراً إلى دثور العالم وبطلان هذا البنيان وزواله عن تركيبه الذي يناسب دار التَّكليف من عدم الثَّبات ، ومن شوبه بالمِحَنِ والآفات من جهة إثبات الغاية وأنَّ الحادث غاية[(١)] التَّغيّر والتبدُّل الذي هو لازم الحدوث والانتقال والرُّجوع إلى البداية ، أي إلى محاذي البداية ومقابلها في سائر رتبها ، فيكون الخروج من البداية قوساً نزوليًّا ، والرُّجوع إليها ـ أي إلى مجازيها ـ[(٢)] قوساً صعوديًّا يحدث منها شبه دائرة حدثت من سير الحادث في بدئه وعَوْده ، وليس معنى الرجوع إلى البداية السَّير والرُّجوع القهقرى وإلَّا لعدمت أكوان الأشياء ، فلو رجعت المضغة إلى العلقة ، والعلقة إلى النطفة ، والنطفة إلى الكيموس ، والكيموس إلى الكيلوس[(٣)] ، والكيلوس إلى الطَّعام ، والطَّعام إلى الشَّجر ، والشَّجر إلى التُّراب ، والتُّراب إلى الماء ، والماء

(١) في نسخة : غايته .

(٢) في نسخة : محاذيها .

(٣) الكيلوس : هو الطعام إذا انهضم في المعدة قبل أن ينصرف عنها ويصير دماً ، ويسمونه أيضاً الكيموس . انظر لسان العرب ، مادة : كمس .

إلى الفعل عدمت الأشياء ، ولكنَّها تعود ، في قوس الصُّعود ، ولا تصعد درجة في العود إلّا بما ظهر من مددها في البدء) .

هذا كلام المصنف وأوّل ما نقله من خطبة أمير المؤمنين عليه السلام قوله عليه السلام : (**كلّ شيء خاضع له**) أي ذليل حقير يجد ذلك في نفسه إذا نظر إلى عزّ خالقه وكبريائه ، و(شيء) : هنا أعمّ العام ، فإن كان المصنف صادقاً في قوله : إنَّ عليًّا عليه السلام إمام الموحِّدين فليحكم بكون العقل متغيّراً حادثاً كسائر الأجسام لأنَّه استدلَّ بهذه الفقرة على تغيّرها وانفعالها الدَّال على حدوثها ، والعقل شيء من جملة الأشياء ، أليس هو خاضعاً لله وكلّ شيء قائم به ؟ أي كلّ شيء قائم بأمر الله الفعلي قيام صدور وبأمر الله المفعوليّ قيام تحقّق .

فقوله عليه السلام : (**قائم به**) على المجاز إذا أُريد بالقيام بالله ، وعلى الحقيقة إذا أُريد بالقيام بأمر الله غِنى كلّ فقير وهو ما سوى الله ، فكلّ ما سواه مفتقر إليه ، سواء كان من المفاهيم الغير[1] المجعولة بزعمهم المسماة بالأعيان الثابتة عندهم أم الصّور العلمية الغير[2] المجعولة بزعم آخرين المتعلّقة بذاته تعلّق الظّلّ بالشّاخص على الاتّحاد أو التّغاير في علمه الذي هو ذاته أو

(١) في نسخة : غير .
(٢) في نسخة : غير .

لا ، فإنَّ كلّ ما يعلم تعالى أنّه غيره ، فهو مخلوقه محتاج إليه في تكوّنه وفي بقائه .

(**وعِزَّ كلّ ذليل**) ﴿ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾[١] وقد يلبس من يشاء من شعاع عزّته الحادثة ما يشاء مِنْ خِلْعِ الْعِزّ ، فهم بعزّته يعتزّون ، (**وقوّة كلّ ضعيف**) ﴿ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾[٢] وقد يهب من يشاء من شعاع قوّة أمره ما يشاء ، (**ومفزع كلّ ملهوف**) أي يفزع إليه كلّ مظلوم مستغيث ، من تكلّم سمع نطقه ـ يعني بأُذنه الواعية ـ ومن سكت علم سرّه ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ﴾[٣] ومن عاش فعليه رزقه ، وهو ما كتب من الإمداد بكسر الهمزة من المحتوم .

وأمّا المشروط فموقوف على شرطه أو ما يقوم مقامه من شفاعة ، أو تفضّل ، أو عمل صالح منه أو من غيره ، ومن مات فإليه منقلبه ، أي يرجع إلى أمره وحكمه عزَّ وجلَّ ، وبهذه الفقرة استشهد المصنف . ويجوز بما قبلها أيضاً .

قال المصنف : ثمّ ساق أمير المؤمنين عليه السلام الكلام إلى قوله في أحوال الإنسان وتقلّبه في درجات عروجه من كسر وصوغ والإشارة إلى كسره وولوج الموت فيه على التّدريج ليبيّن للجاهلين وينبّه الغافلين . قال عليه السلام : (**فلم يزل الموت يبالغ في**

---

(١) سورة يونس ، الآية : ٦٥ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ١٦٥ .

(٣) سورة الملك ، الآية : ١٤ .

الولوج في جسده حتَّى خالط سمعه) لأنَّ السَّمع أوَّل ما يتحقَّق ظهور الموت فيه ، كما كان السَّمع علامة النّوم عند تغطيته ، لأنَّه أقوى الحواسّ ، (**فصار بين أهله لا ينطق بلسانه**) لإنقباض الرُّوح منه بعد السَّمع ، (**ولا يسمع بسمعه**) لخروج الرّوح من سمعه ، (**يردّد طرفه في وجوههم**) أي يقلّبه بتكرار ليدرك كلامهم ، والموت قد خالط سمعه ، أي خرجت من سمعه الرُّوح السَّامعة ، (**يرى حركات ألسنتهم ولا يسمع كلامهم ، ثمَّ ازداد الموت انبساطاً به**) وهو عدم الحياة ظاهراً وهو أمر وجودي خلقه الله في الطرف الآخر المقابل لطرف الحياة كما قال عزَّ من قائل : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ ﴾(١) .

ومن قال بأنّه عدميّ اعتباري فقد كذَّبه الله في كتابه ، وأجمع المسلمون أنَّه إذا دخل أهل الجنَّةِ الجنة ، ودخل أهل النَّارِ النَّار ، يؤتى بالموت ويصوّر في صورة كبش أملح ، فيذبح بين الجنَّة والنَّار(٢) ، وكونه بصورة كبش كناية عن ذلّته وحقارته ، وكونه

---

(١) سورة الملك ، الآية : ٢ .

(٢) قال رسول الله صلى الله عليه وآله : (**إذا كان يوم القيامة واستقرّ أهل الجنّة في الجنّة وأهل النار في النار يؤتى بالموت في صورة كبش أملح ويُنادي مناد : يا أهل الجنّة اشرفوا ويا أهل النار اشرفوا فيشرفون كلّهم فيقال لهم : أتعرفون هذا ؟ فيقولون : لا ، فيقال لهم : هذا هو الموت ، فيُذبح بين الجنّة والنار ، وينادي مناد : يا أهل الجنّة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت ، فعند ذلك تعظم حسرات أهل النار ويرجعون باكين ويشتدّ فرح أهل الجنّة** =

أملح لتعلّقه بالمؤمنين الذي يكون لهم نوراً وتخليصاً من الظلمة ، يخرجهم من الظُّلمات إلى النُّور ، ولتعلّقه بالمنافقين الذين يكون لهم ظلمة وإخراجاً من النُّور ، يخرجونهم من النُّور إلى الظُّلمات ، واللَّون الأملح هو ما تركَّب من بياض وسواد ممتزجَيْن ، فقبض بصره كما قبض سمعه ، فصار لا يبصر لقبضه روح الإبصار ـ بكسر الهمزة ـ ، **(وخرجت الرّوح من جسده)** لأنَّ نور البصر آخر ما تتعلَّق به الرّوح ، كما أنّه أوّل ما يعرض له كما في النوم ، وبصره الباقي إلى آخر الرّوح بصر الحسّ المشترك ، فإنَّه يدرك به أهله ويدرك به الملائكة ، **(فصار جيفةً بين أهله)** بعد خروج روحه من جسده ، **(قد أُوحشوا من جانبه وتباعدوا من قربه)** لأنَّ الأُنس الذي يتقرَّبون منه بواسطته هو الرّوح ، **(لا يُسعد باكياً ولا يجيب داعياً)** ، إذ لا إحساس فيه ، **(ثمَّ حملوه إلى مخطّ في الأرض)** وهو ما خطّ له فيها من قبره ولحده ـ بالخاء المعجمة ويجوز بالمهملة ـ ، **(وأسلموه فيه إلى عمله)** بأن خلّوا بينه وبين عمله ، كناية عن تركه وحده وانصرافهم عنه ، **(وانقطعوا عن زورته)** واشتغلوا عنه بأعمالهم الدُّنيويَّة .

= **ويرجعون إلى قصورهم ، فيبعث الله سبحانه وتعالى لهم مغان من الحور العين فيجلسون في رياض الجنّة في إيوان من درّة بيضاء طوله مئة عام وعرضه خمسون عاماً والنساء كلّهنّ عند فاطمة الزهراء عليها السلام والرجال عند النبيّ صلى الله عليه وآله في إيوان آخر . . .)** . قرّة العيون للسمرقندي : ١٧١ ـ ١٧٢ المجلس الثالث والأربعون .

(**حتّى إذا بلغ الكتاب أجله**) بأن انتهت المدَّة المكتوبة للدُّنيا ، (**والأمر مقاديره**) أي بلغ أمر الله وحكمه في خلقه ما قدَّر سبحانه من مدَّة دار التَّكليف وما يترتب على ذلك (**وأُلحق آخر الخلق بأوَّله**) بالموت ونفخة الصعق ، حتَّى صُعق من في الأرض ومن في السَّماوات (**وجاء من الله ما يريده من تجديد خلقه**) أي جاء من أمر الله ما أراد من بعث العباد وإقامة الحساب ، (**أمار السَّماء وفطرها**) أي موّجها وكفّاها بأهلها ، وحرَّكها بسرعة (**وفطرها**) أي شقَّها ، كناية عن كشطها ونسفها ، (**وأرجّ الأرض وأرجفها**) أرجَّها - بتخفيف الراء وتشديد الجيم - أي دقَّ بعضها ببعض وزلزلها ، (**وقلع الجبال ونسفها**) أي دحاها (**ودكَّ بعضها بعضاً من هيبة جلاله**) أي دقَّ بعضها بعضاً ، (**وخوف سطوته وأخرج من فيها فجدَّدهم بعد إخلاقِهِم**) أي أخرج من في الأرض من الحيوانات من النَّاطق والصَّامت ، وذلك بأنْ يأمر بحراً تحت العرش اسمه (**صاد**) رائحته كرائحة المني ، فيمطر على الأرض حتَّى يكون وجه الأرض كلّه بحراً ، فيأمر الرِّياح فتضرب الأمواج وتجتمع لحوم كلّ شخص في قبره مستديرة[١] على هيئة صورته في

---

(١) في الفقيه والكافي بسندهما عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سئل عن الميت يبلى جسده ؟

قال : (**نعم حتى لا يبقى له لحم ولا عظم إلّا طينته التي خلق منها ، فإنها لا تبلى تبقى في القبر مستديرة حتى يخلق منها كما خلق أول مرة**) من لا يحضره =

الدُّنيا ، وتنبت اللُّحوم كما تنبت الكمأة ، فإذا تمَّت البُنيَةُ أَمَر إسرافيل فنفخ في الصُّور ، فتتطاير[١] الأرواح كلّ روح تتألَّف في أماكنها السّتّة في ثقبتها ، لأنَّ إسرافيل إذا نفخ النَّفخة الأُولى نفخة الصَّعق[٢] انجذبت كلّ روح إلى ثقبتها من الصُّور وفيها ستة أماكن ، فتلقى مثالها في الأوَّل ، وهباءها في الثَّاني ، وطبيعتها في الثَّالث ، ونفسها في الرَّابع ، وروحها في الخامس وعقلها في السَّادس .

= الفقيه : ١ / ١٩١ ح ٥٨٠، والكافي : ٣ / ٢٥١ ح ٧، وبحار الأنوار : ٧ / ٤٣ ح ٢١ .

(١) في نسخة : فتطايرت .

(٢) عن ثوير بن أبي فاختة ، عن علي بن الحسين عليهما السلام قال : سئل عن النفختين كم بينهما ؟
قال : (ما شاء الله ، فقيل له : فأخبرني يابن رسول الله كيف ينفخ فيه ؟ فقال : أما النفخة الأولى فإن الله يأمر إسرافيل فيهبط إلى الدنيا ومعه صور ، وللصور رأس واحد وطرفان ، وبين طرف كل رأس منهما ما بين السماء والأرض ، قال : فإذا رأت الملائكة إسرافيل وقد هبط إلى الدنيا ومعه الصور قالوا : قد أذن الله في موت أهل الأرض وفي موت أهل السماء ، قال : فيهبط إسرافيل بحظيرة بيت المقدس ويستقبل الكعبة ، فإذا رأوا أهل الأرض قالوا : أذن الله في موت أهل الأرض ، قال : فينفخ فيه نفخة فيخرج الصوت من الطرف الذي يلي الأرض فلا يبقى في الأرض ذو روح إلا صعق ومات ، ويخرج الصوت من إسرافيل ، قال : فيقول الله لإسرافيل : يا إسرافيل مت ، فيموت إسرافيل . . .) والحديث طويل ، انظر تفسير القمي : ٢ / ٢٥٢ ـ ٢٥٣، وبحار الأنوار للمجلسي : ٦ / ٣٢٥ ح ٢، وتفسير نور الثقلين للحويزي : ٤ / ٥٠٢ ح ١٦ .

فإذا نفخ النفخة الثانية انجذب العقل إلى الرّوح ، وهما إلى النَّفس ، وهي إلى الطبيعة ، وهي إلى الهباء ، والجميع إلى المثال ، وطارت إلى قبرها وولجت في جسمه ، فانشقّ القبر ، فإذا هم قيام ينظرون ، وهو معنى قوله عليه السلام : (**فجدَّدهم بعد إخْلَاقِهِمْ** ـ بكسرة الهمزة ـ **وجمعهم بعد تفريقهم**) بأن تخرج جهنَّم فتحيط بالخلائق ، فتتضايق عليهم حتَّى يجتمعوا ويركب بعضهم على بعض ، (**ثمَّ ميَّزهم لما يريد من مسألتهم عن الأعمال وخبايا الأفعال**) على الصِّراط ، (**وجعلهم فريقينَ أنعم على هؤلاء**) وإن كان بأعمالهم ، فإنَّ نجاتهم في الحقيقة بفضله ورحمته ونعمته ، إذ كلّ مِنَنِه[1] ابتداء ، ولكن من عظيم نعمه عند إنعامه أن نسب فضله عليهم بأعمالهم ، وهو فضل على فضل ونعمة على نعمة ، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام : (**وجعل ما امتنَّ به على عباده كفاءً لتأدية حقّه**) وهؤلاء أصحابُ فضله ورحمته ، (**وانتقم من هؤلاء**) بقدر أعمالهم ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾[2] وهؤلاء أصحاب عدله ونقمته .

(**فأمَّا أهل الطَّاعة فأثابهم بجواره**) قريبين من أبواب رحمته ورضوانه محمَّد وأهل بيته الطَّاهرين صلَّى الله عليه وعليهم

(١) في نسخة : منّه .

(٢) سورة الكهف ، الآية : ٤٩ .

أجمعين وليس ثواب فوق هذا ، (**وخلّدهم في داره**) وهي دار رضاه الجنَّة ، (**حيث لا يظعن النّزال**) بل هم خالدون فيها أبداً بلا انقطاع ﴿ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾[1] ، ولا (**تتغير بهم الحال**) إلى ما هو أدنى وأقل ، بل هم دائماً في زيادة القرب والرضوان ، والعطايا ، والنِّعم ، والشَّباب ، والقوَّة ، والسُّرور ، وهم في هذه وما أشبهها في ترقٍّ لا ينتهي إلى غاية ، (**ولا تهولهم الأفزاع**) فلا ترد عليهم شيء يفزعون منه ، وإنَّما يرد عليهم ما به يفرحون ويستبشرون ، (**ولا تنالهم الأسقام**) لأنَّهم في غاية اعتدال الأمزجة من غير أن يشوبها شيء من الأعراض والغرائب ، وكذلك أرضهم وهواؤها ، وماؤهم ، وطعامهم ، ووقتهم ، لا تتغيَّر منهم حال إلّا إلى أكمل اعتدال ، فمن أين تنالهم الأسقام ؟ (**ولا تعرض لهم الأخطار**) لأنَّهم تركوها بجميع أسبابها في هذه الدَّار ، (**ولا تشخصهم الأبصار**) لعدم خوف يرد عليهم أو حزن يصل إليهم .

(**وأمَّا أهل المعصية فأنزلهم شرّ دار**) وهي دار سخطه وغضبه ، وهي صور أعمالهم ، فحين لبسوها كانوا فيها ، وهو تعالى سيجزيهم وصفهم ، (**وغلَّ الأيدي إلى الأعناق**) حيث عزلوا الحقّ عزَّ وجلَّ عن كثير من ملكه ، (**وقرن النَّواصي**

---

(١) سورة هود ، الآية : ١٠٨ .

بالأقدام) عند قذفهم في دركات الجحيم ، (**وألبسهم سرابيل القطران**) أي ثياباً[١] من القطران ، وهو ما يتخذ من حمل العرعر يُطلى به الإبل الجربى ، وخصَّ به المستكبرون عن عبادة الله إهانة لهم لسواده ، ونتن رائحته ، وحرارته ، وسرعة اشتعال النَّار فيه (**ومقطعات النيران**) وهي ثياب من نار ، أستجيرُ بالله من سخط الله والنَّار .

رجوع كل شيء إلى الواجب تعالى

واعلم أنَّ المصنف يريد بقوله السَّابق : (وتارة من جهةِ إثبات الغايات) أنَّ الأشياء بجميع أنواعها ترجع بمقتضى طبائعها إلى غاية الغايات يعني به الواجب تعالى ، وبيّن مراده كما نقل عنه في رسالة الحشر قال : (إنَّ الله لم يخلق شيئاً إلّا لغاية وإلَّا لكان فعله عبثاً ، وقد ثبت بالبرهان أنَّ الغاية في فعله تعالى هي ذاته ، وذاته غاية الغايات ، كما أنَّه مبدأ المبادىء ، ولا شكَّ أنَّ غاية الشيء ما له بالذَّات أن يتصل[٢] إليه وينتهي به إلّا أن يعوقه عائق ، وكلّ ما يمكن الوصول إليه لم يكن إطلاق اسم الغاية إليه إلّا بالمجاز ، فلا يكون غايةً بالحقيقة ، وقد فرض أنَّه غاية هذا خلف) .

---

(١) في نسخة : ثياب .
(٢) في نسخة : يصل .

فثبت بما ذكرنا أنَّ جميع الممكنات بحسب الجبلّة الغريزيَّة طالبة له ، متحرّكة إليه حركة معنويَّة ، مشتاقة إلى لقائه بالوصول .

وهذه الحركة والرَّغبة لكونها مرتكزةً من الله في ذاتها يجب أن لا تكون عبثاً ولا معطّلاً ، فلا محالة كائنة متحقّقة في غالب الأمر بلا عائق وكاسر ، والقسر على الطَّبع كما ثبت في مقامه لا يكون دائميًّا ولا أكثريًّا فيزول لا محالة ، ولو وجد زماناً طويلاً فيعود حكم الطَّبيعة .

ومن هنا يعلم أنَّ كلّ طبيعة نوعية تؤدِّي يوماً إلى غايتها الأصلية ، وغاية الشَّيء أشرف من الشيء ذي الغاية ، وغاية الجوهر أكمل جوهرية منه[1] وأقوى وجوداً في ذاتها .

وننقل الكلام في ذلك إلى نفس تلك الغاية وتوجهها الذَّاتي إلى غاية الغاية ، وهكذا إلى أنْ تنتهي إلى غاية لا غاية وراءها ، وهي غاية الغايات ، ومنتهى الحركات والرَّغبات ، ومأوى العشّاق الإلهيِّين المشتاقين من ذوي الحاجات ، انتهى كلامه المنقول .

هل الغاية في فعله تعالى هي ذاته تعالى ؟

أقول : قوله : (وقد ثبت بالبرهان أن الغاية في فعله تعالى هي ذاته تعالى) فيه أنَّ الغاية التي لأجلها الفعل قد تكون متأخّرة

(١) في نسخة : أو .

عن الفعل ، ويكون الفعل علَّة لوجودها ، وذلك كأكثر الغايات التي تميل الطباع لطلب استكمالها بها أو منها ، لأنَّ ميلها الذَّاتي إنَّما يكون لافتقارها إلى الاستكمال بالاستمداد من الغاية ، وقد تكون سابقةً على الفعل الذي هو الحركة الذَّاتيَّة ، إلّا أنَّ شرط ميل الطَّبيعة إليها أن تكون الغاية مشتملة على المدد الذي به استكمالها ، ولا يجوز أن يكون الواجب الحقّ عزَّ وجلَّ واحداً منهما .

أمَّا الأوَّل : فلأنَّه تعالى الأوَّل قبل كلّ شيء .

وأمَّا الثَّاني : فلأن المدد الذي يستكمل به الممكن يجب أن يكون ممكناً ، لأنَّه بالوصول إليه يكون جزء ماهيّته بعد كسره عنده وصوغه منه كما أشرنا إلى ذلك مراراً .

ولا يجوز أن يكون الواجب الحقّ سبحانه محلاً للممكن ، ولا أن يستمدّ الممكن من القديم ، ولا أن يترقَّى الممكن عن الإمكان ويبقى بدون مدد يصل إليه ويتقوّم به .

وهذا ممَّا لا إشكال فيه عند الجهَّال فضلاً عن العلماء ولا عند العلماء .

وأمَّا عند العوام فلا تتبادر أفهامهم وعقولهم الفطرية الطَّبعانية إلّا على هذا .

وأمَّا عند العلماء ، فممَّا لا خلاف فيه من أنَّ ما هنالك لا

يعلم إلّا بما هاهنا كما قال سيِّدنا الرِّضا عليه السلام ، وكما قال جدّه الصادق عليه السلام كما ذكرناه مراراً من قوله : (**العبوديَّة جوهرة كنهها الرُّبوبيَّة**)[1] الحديث .

والمصنف ممَّن يقول بأنَّ آيات الحقّ في الآفاق وفي أنفس الخلق كما قال تعالى .

ونحن لمَّا نظرنا في الآفاق رأينا أشعة السِّراج التي هي مثل المخلوقات وطبائعها وأنَّها فانية في طلبها الاستمداد من السِّراج ، وليست غايتها التي تنتهي إليه وتقف في سيرها الحثيث إليه ذات النَّار ، وإنَّما تنتهي إلى غايتها التي ليست لها غاية تأوي إليها ، إلّا الشُّعلة المرئيَّة من السِّراج ، فإنَّها إنَّما تستمدّ وجودها وقوامها منها ، والشُّعلة نفسها تستمدّ لمادّتها من فعل النَّار ومسّها ، ولصورتها من الدّهن الذي أحاله مسّ فعل النَّار دخاناً ، فانفعل ذلك الدّخان بالاستضاءة عن فعل النَّار ، فكانت غاية الأشعَّة التي ليس وراءها لها غاية هي الشُّعلة المرئية ، والشُّعلة ليس لها غاية إلّا الدّهن وفعل النَّار ، ولا يرجع شيء من الأشَّعة ولا من الشُّعلة إلى ذات النَّار أبداً مع شدَّة سير كلّ منها[2] إلى غايته ، فكما لا تتجاوز الأشعَّة الشُّعلة أبداً ولا تستغني عنها ووجهها إليها

(١) مصباح الشريعة : ٧، وتفسير نور الثقلين : ٤ / ٥٥٦ ح ٧٧، والأصول الأصيلة للفيض : ١٩٣ .

(٢) في نسخة : منهما .

خاصَّة ، كذلك الشُّعلة لا تتجاوز الدّهن وفعل النَّار ، وهو قول سيِّد الموحدين أمير المؤمنين عليه السلام : (**انتهى المخلوق إلى مثله ، وألجأه الطلب إلى شكله**)[١] الحديث .

وقد ذكر أبو عليّ بن سينا معنى ما ذكرنا في الإشارات ، قال : (اعلم أنَّ استضاءة النَّار السائرة لما وراءها إنَّما تكون إذا علّقت شيئاً أرضيًّا ينفعل بالضّوء عنها ـ إلى أن قال ـ فإذا طفئت انفصلت النَّار هواء والكثافة دخاناً) انتهى .

وأصرح من هذا وأصحّ قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ ﴾ إلى آخر الآية ، فإنَّها صريحة مثل قوله : ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾[٢] فما أصرحها فيما قلنا لأُولي الأبصار ولكنَّها ﴿ لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾[٣] ولله درّ القائل :

فَهَب أنّي أقُولُ الصُّبحَ لَيلٌ أيَعمَى النَّاظِرُون عَن الضِّيَاءِ[٤]

وقوله : (كما أنَّه مبدأ المبادىء) أقول عليه : هل ذاته بدأت الحوادث منها أم بفعله صدرت لا من شيء ؟

---

(١) تقدم الحديث بطوله قبل صفحات .

(٢) سورة النور ، الآية : ٣٥ .

(٣) سورة الحج ، الآية : ٤٦ .

(٤) الخصائص الفاطمية : ١ / ٢١ .

فإن قلتَ : من ذاته ظهرت فهو إذاً يلد ـ تعالى عن ذلك ـ ثمَّ إنَّه قبل ظهورها له حال غير بعد ظهورها ومختلف الأحوال حادث .

وإن قلت : صدرت بفعله لا من شيء ، بل اخترعها لا من شيء .

قلتُ : هذا هو الحقّ تعالى الحق المبين ، لكنها إن برزت من فعله بمعنى أنَّها كانت كامنة فيه يجب أن تعود إلى كونها وهذا باطل .

وإن قلت : بفعله كوّنها لا من شيء ، فهو حقّ وكلّ شيء يعود إلى مبدئه ، والإمكان لا يتناهى ، لأنَّه محل مشيئته وفعله الذي لا يتناهى ، فالحوادث أبداً يتجدّد بدؤها صاعدة أو سافلة بتجدّد المدد الذي به قوامها ، فالمفعول لا يعود إلى الفعل ، وإنَّما يعود إلى أثر الفعل الذي هو أصله .

جواز إطلاقها الغاية على الواجب تعالى

وقوله : (وكلّ ما يمكن الوصول إليه لم يكن إطلاق اسم الغاية عليه إلّا بالمجاز ، فلا يكون غاية بالحقيقة) ليس بصحيح ، بل يكون غاية على الحقيقة ، بل لا يكون غاية الممكن إلّا بالممكن ، فإنَّ العطشان تكون غايته الماء ، ولهذا يسكن بعد الرّي ، ولو لم يكن غاية على الحقيقة لما سكن في حال ،

والطَّبيعة إنَّما تطلب استكمالها وسدّ فاقتها ، ولا يكون إلّا بمثلها وإن كان المدد لا يكون إلّا بفعل الفاعل ، إلّا أنَّ الفاعل ليس مطلوباً إلّا بالعرض ، وهو سرّ رفع أيدي السائلين إلى جهة العلوّ ، لأنَّها جهة مطالبهم ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ﴾[1] أما سمعتَ قول عليّ عليه السلام : (**انتهى المخلوق إلى مثله**) بل ولا فعله ليس مطلوباً إلّا بالعرض ، فإذا كان ميل الطَّبيعة ليس إلّا للاستكمال ، والاستكمال ليس إلّا بالمدد ، والمدد لا يكون إلّا من الممكن ، والممكن لا يكون إلّا في مثله أو في نفسه كالفعل ، وجب أن تكون غاية الممكن ممكنة .

ولو قال قائل : إن أكمل الاستكمال الفناء في بقاء الباقي عزَّ وجلَّ قيل له : على أي فرض وأي احتمال وأي اعتبار لا يمكن فناء الممكن إلّا في الممكن ، سواء كان في الوجود ، أم في الوجدان بالذَّات ، أم بالأعمال بالجنان ، أم بالأركان ، أم باللِّسان ، ولله درّ الشاعر حيث يقول :

إِذَا كُنتَ مَا تَدرِي وَلا أَنتَ بِالَّذِي ... تُطِيعُ الَّذِي يَدرِي هَلَكتَ وَلا تَدرِي
وَأَعجَبُ مِن هَذا بِأَنَّكَ مَا تَدرِي ... وَأَنَّكَ مَا تَدرِي بِأَنَّكَ مَا تَدرِي

وقوله : (فثبت بما ذكرنا أنَّ جميع الممكنات بحسب الجبلّة الغريزية طالبة له ـ إلى قوله ـ مشتاقة إلى لقائه) إن أراد به اللقاء

---

(١) سورة الذاريات ، الآية : ٢٢ .

الحقيقي بأن تلتقي الذَّاتان أو تريد الطبيعة ذلك فهو باطل ، لأنَّ الطبيعة ما تغلط ، ولو أرادت ما ليس لها فيه مطلب بوجه ما غلطت ، وإنَّما تطلب ما تستغني به عند ميلها ، لأنَّ ميل الطَّبيعة إنَّما هو إلى الملائم ، وإن أراد اللِّقاء المجازيّ الذي هو الثَّواب والقرب ، أي التَّرقّي في معارج مراتب الإمكان العالية فهو ما قلنا .

وقوله : (مرتكزة من الله في ذاتها) إن أراد به من ذات الله ، أي هذا الميل والرَّغبة شيء خرج من ذات الله وركزه في ذاتها فأسوأ حالاً .

وإن أراد أنَّه شيء ممكن أخرجه من الإمكان ، فإنَّه يجذبها إلى مبدئه من الإمكان .

وقوله : (وغاية الشَّيء أشرف من الشَّيء) ليس على عمومه ، بل قد تكون الطَّبيعة طالبة لتكميل صفة من صفات أفعالها ، أو لدافع ألم ، كطلب الطَّعام والشَّراب لدفع ألم الجوع والعطش ، وتكون الطَّبيعة طالبة لذلك وليس بأشرف من ذاتها ، وإن كان باعثاً لميلها الذَّاتي كما أشار إليه الصادق عليه السلام بقوله : (**إنَّ الله خلق ابن آدم أجوف ، فالطعام والشراب ضروريان له**)(١) انتهى .

---

(١) الكافي : ٦ / ٢٨٧ ح ٤، والمحاسن للبرقي : ٢ / ٣٩٧ ح ٦، وفيهما : (. . . **أجوف فلا بد له من الطعام والشراب**) .

والضَّروريَّان له ذاتيان له ، فالميل من الطَّبيعة لهما ذاتيّ ، وقد تكون الغاية أشرف .

وبالجملة ، فالغاية على المجاز لا بأس بإطلاقها عليه تعالى .

وأمَّا على مراده من الغاية ، سواء أراد معنى ما تنتهي إليه الأشواق على الإطلاق أم لا ، بل لإدراك المطالب فلا يصلح في حقّ الحقّ عزَّ وجلَّ إلّا بإرادة المقامات والعلامات التي لا تعطيل لها في كلّ مكان ، وهي على ما حقّقناه مراراً في شرحنا هذا وفي غيره اسمٌ للفاعل ، كالقائم اسم لفاعل القيام ، فافهم يا طالب حق اليقين والنُّور المبين .

في بيان الطرق إلى الله تعالى

قال : اعلم أنَّ الطّرق إلى الله كثيرة ، لأنَّه ذو فضائل وجهات غير عديدة ، وهو ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾(١) ، لكن بعضها أنور وأشرف وأحكم ، وأشدّ البراهين وأوثقها وأشرفها إليه وإلى صفاته وأفعاله هو الذي لا يكون الوسط في البرهان غيره ، فيكون الطَّريق إلى البغية من البغية ، لأنَّه البرهان على كلِّ شيء ، وهذه سبيل جميع الأنبياء والصديقين سلام الله عليهم أجمعين ﴿ قُلْ

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٤٨ .

هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾(١) ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾(٢) .

أقول : إنَّ السَّالكين لهذه الأودية كثيراً ما يقولون : إنَّ الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق ، وهذه العبارة من حيث ظاهرها ومدلول لفظها في الجملة صحيحة .

وأمَّا من جهة ما أرادوا منها ، فأكثرهم يريد منها معنى ليس بصحيح ، لأنَّه يريد أنَّ أهل كلّ ملَّة ونحلة ورأي من مسلم أو مشرك أو دهريٍّ أو غير ذلك موحّدون مقبول منهم ذلك عند الله .

وربَّما قاس بعضهم ذلك على قول الصادق عليه السلام : (**وإنَّ الذَّرَّة لتزعم أنَّ لله زبانيتين**(٣))(٤) لأنَّهما كمالها وتصور أنَّ

---

(١) سورة يوسف ، الآية : ١٠٨ .

(٢) سورة الأعلى ، الآيتان : ١٨ ، ١٩ .

(٣) في نسخة : (زبانين) ، والزباني : القرن .

(٤) مشرق الشمسين للبهائي : ٣٩٨، والرواشح السماوية للميرداماد : ٢٠٦ (١٣٣) ، وبحار الأنوار : ٦٦ / ٢٩٣، وشرح إحقاق الحق : ١٢ / ١٨٦، وكتاب الوافي : ١ / ٨٩، والحكمة المتعالية للشيرازي : ٨ / ٤٢٠، ولفظه فيهم : قال عليه السلام : (**هل سمّي عالماً قادراً إلّا لما وهب العلم للعلماء والقدرة للقادرين ، وكلّ ما ميزتموه بأوهامكم في أدقّ معانيه فهو مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم ، والباري تعالى واهب الحياة ومقدّر الموت ولعل النمل الصغار تتوهّم أن لله زبانيتين لأنّهما كمالها وتتصوّر أن عدمهما نقصان لمن لا تكونان له**) .

عدمهما نقصان لمن لا يكون له ، [لأن كمال نوعها في وجودهما فتصفه بما هو كمال][١] .

وربَّما استشهد لهذا المعنى بقوله تعالى : ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾[٢] كما ذكر المصنف ، ويريد أنَّ الله تعالى هو الذي ساقهم إليه رضاً بها منهم .

والحاصل أنَّ الآراء كثيرة حتَّى أنَّ منهم من يزعم أنَّه تعالى هو الذي ساقهم إليها رضىً بها منهم ، فإذا وحّدوه فعلوا ما أراده منهم ويثيبهم عليه ، وإذا أشركوا به فعلوا ما أراده منهم ويعذّبهم عليه وإن عكس الثّواب والعقاب فعاقب الموحدين وأثاب المشركين حسن منه ذلك وجاز له .

وبالجملة ، الآراء كثيرة والحقّ واحد لا يتكثّر ولا يوجد إلّا عند أهل النُّبوَّة عليهم السلام ، وهم صلَّى الله عليهم يحكمون بكفر أهل الآراء غير ما كان عنهم ، مع أنَّهم عليهم السلام قائلون بمدلول هذه الآية وبمدلول ذلك الكلام على معنى خاصّ ، وهو أنَّ الله سبحانه حقّ وهو يقول الحقّ ويهدي إلى صراط مستقيم ، فمن أطاعه بحصر بصيرته وقصر نظره على ما دلَّ عليه ولاة أمره

---

(١) زيادة من نسخة أخرى .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ١٤٨ .

عليهم السلام فإنَّ الله يهديه إلى قصد السَّبيل وقد ألزم[١] على نفسه ذلك لمن أطاعه .

قال عزَّ من قائل : ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾[٢] ومن أخذ عن غيرهم أو عن نفسه من دون سبيل معرفتهم فإنَّ الله سبحانه يولّيه طريقه الذي تولّاه .

فمن عرف الله بسبيل معرفتهم صلَّى الله عليهم ، ولَّاه الله وجهته من اتِّباعهم الموصل إلى معرفة الله كما تعرّف به لعباده المؤمنين .

ومن طلب معرفة الله من غير سبيل معرفتهم بأيّ نحو كان ، ولَّاه الله سبحانه ما تولَّى .

فالطّرق إلى الله سبحانه بعدد أنفاس الخلائق ، وكلٌّ منها له وجهة ، والله الفاعل بمقتضى القوابل المختلفة هو مولّيها ، فوجهةٌ توصل إلى معرفة الله التي بها أمر ورضيها ، وهي وجهة سبيل معرفتهم عليهم السلام خاصَّة .

ووجهةٌ توصل إلى الشِّرك بالله والكفر بالله ، وهي كلُّ وجهة غير وجهة سبيل معرفتهم عليهم السلام ، فافهم هذا الكلام المكرّر المردّد .

---

(١) في نسخة : ألزمه .

(٢) سورة النحل ، الآية : ٩ .

وقوله : (لكن بعضها أنور وأشرف وأحكم) بعد قوله : (لأنَّه تعالى ذو فضائل وجهات غير عديدة) يريد به أنَّه ذو فضائل من تجلياته على القوابل ، وجهات من عموم قدرته وعلمه وسعة رحمته وكرمه لا تدخل تحت العدّ ، فظهر بتجلّياته على كلّ مظهر ، وتعرّف لكلّ شيء بما ظهر فيه له ، وكلّها طرق موصلة إليه من حيث طلب وأَحَبَّ ، لأَنَّه تجلَّى على الحقائق بجهات فضائله ، إلّا أنَّها متفاوتة بتفاوت المظاهر ، فبعضها أنور وأشرف وأحكم أي أضبط طريقاً واستدلالاً كما يأتي ، وهي طريقة الأنبياء عليهم السلام .

وكان من تلك الطّرق التي هو مولّيها طرق العوام وطرق أهل الضلال ، وكلّها يصدق عليها أنّها طرق معرفة الله وأنَّه تعالى ولّاهم إيّاها ، وأهل هذه الطَّريقة كالمصنّف وأشباهه يقبلون من[(١)] أولئك ما أخطأوا فيه للآية الشَّريفة والله ورسوله صلى الله عليه وآله وأهل بيته يلعنونهم كما قال تعالى : ﴿ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ﴾[(٢)] .

وإنَّما نسبت هذا المعنى الأخير إلى المصنَّف وأشباهه وإن كانوا لم يقولوا به ، لأنَّهم يرتضون القائلين به ويثنون عليهم

(١) في نسخة : عن .
(٢) سورة المائدة ، الآية : ٦٤ .

ويستدلّون بأدلّتهم ويصوّبون آراءهم ويُأوّلون ما اعوجَّ من آرائهم ، فهم منهم ومعهم .

ولا تعجب من كلامي ، فإنَّ المصنّف لمَّا قال مميت الدِّين(١) في الفصوص في فصّ حكمة علويّة في كلمة(٢) موسويَّة في ذكر امرأة فرعون : (فقالت لفرعون في حق موسى إنَّه ﴿ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ﴾(٣) فيه قرَّة عينها بالكمال الذي حصل لها كما قلنا ، وكان قرَّة عين لفرعون بالإيمان الذي أعطاه الله عند الغرق ، فقبضه إليه طاهراً ومطهّراً ليس فهي شيء من الخبث ، لأنَّه قبضه عند إيمانه لم يكتسب شيئاً من الآثام ، والإسلام يَجُبُّ ما قبله ، وجعله آية على عنايته سبحانه بما شاء حتَّى لا ييأس أحد من رحمة الله فـ ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾(٤) فلو كان فرعون ممَّن يئس ما بادر إلى الإيمان ، فكان موسى عليه السلام

---

(١) هو أبو بكر محيي الدين محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن علي من ولد عبد الله بن حاتم الطائي الأندلسي .
ولد بمرسية بالأندلس يوم الاثنين السابع عشر من شهر رمضان المعظم سنة ستين وخمس مئة هجرية (٥٦٠ هـ) (٢٨ / ٧ / ١١٦٥ م) .
مات في ٢٢ ربيع الثانية سنة ٦٣٨ هـ (٢٦ / ١١ / ١٢٤٠ م) .
انظر ترجمته في الدر الثمين : ٣٧، وفوات الوفيات : ٢ / ٣٢٥ .

(٢) في نسخة : كلمة أمر .

(٣) سورة القصص ، الآية : ٩ .

(٤) سورة يوسف ، الآية : ٨٧ .

لما قالت امرأة فرعون فيه : ﴿ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ ﴾(١) وكذلك وقع ، فإنَّ الله نفعهما به عليه السلام وإن كانا ما شعرا به) انتهى كلامه إلى الدّرك الأسفل فقال فيه المصنف : (وهذا كلام يشمّ منه رائحة التَّحقيق) انتهى .

هذا وهم يقرؤون قوله تعالى : ﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾(٢) ويقرؤون في حق فرعون قوله تعالى : ﴿ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِي ٱلْيَمِّ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾(٣) .

وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ﴾(٤) .

وأجمع المسلمون على أنَّ فرعون مات كافراً والقرآن المبين

---

(١) سورة القصص ، الآية : ٩ .

(٢) سورة النساء ، الآية : ١٨ .

(٣) سورة القصص ، الآيات : ٤٠ ـ ٤٢ .

(٤) سورة غافر ، الآيتان : ٨٤ ، ٨٥ .

والإجماع المحقّق العام من المسلمين ما قاوَما عنده كلام مميت الدِّين[١] .

وقوله : (وأشدَّ البراهين ـ إلى قوله ـ هو الذي لا يكون الوسط في البرهان غيره) يريد أنَّ البرهان يكون فيه الوسط هو المعلوم ، وإنَّما يؤتى به ليتوصَّل به إلى حمل ما صحَّ حمله عليه على الأصغر بعد صحَّة حمله ـ أي الوسط ـ على الأصغر ، وهم بعد أن قالوا : إنَّ أهل الشهود برهانهم على إثبات الصَّانع من قوله : ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[٢] قالوا[٣] وهو استدلال لمّيّ ، يريدون به الاستدلال بالعلَّة على المعلول لأنَّه أشرف من الاستدلال الإنّيّ ، وهو الاستدلال بالمعلول على العلَّة ، فحيث كان الاستدلال باللمّيّ أشرف وهو مخالف لمرادهم ، لأنَّهم يريدون الاستدلال على الحقّ تعالى وهو علَّة العلل وما سواه معلول ، فكيف يكون استدلالهم عليه لمّيًّا ؟ بل يكون إنّيًّا .

فقالوا : مرادنا أنَّ شيئاً موجوداً متحقّقاً في الخارج يدلُّ على أنَّ بعض أفراد الموجود المطلق واجب ، فتحقَّق الموجود المطلق حالةٌ أُولى للمطلق ، وكون بعض أفراده واجباً حالة ثانية للمطلق

---

(١) هو محيي الدين بن عربي .

(٢) سورة فصلت ، الآية : ٥٣ .

(٣) في نسخة : قال .

معلولة للحالة الأولى ، لتوقف ثبوتها عليها ، فالمستدل بها هي الحالة الأُولى ، والمستدل عليها هي الحالة الثَّانية كما نقل عن أبي عليّ بن سيناء في الإشارات .

أقول : وهذا معنى صناعيّ لا حقيقي ، لأنَّ الحقيقي أن استدلالهم إنّي لا لمّي وأنَّ الاستدلال بالآية عند أهل الشُّهود ليس بهذا النَّمط ، لأنَّ استدلالهم بدليل الحكمة ، وهذه الطَّريقة يذكرونها وأنَّها ببرهان اصطلاحي مترتّب على مقدِّمتين صغرى ، الأصغر فيها هو الموضوع ، وهو المستدلّ عليه ، وكبرى والأكبر فيها وهو المحمول هو المحكوم به على المستدل عليه ، وهو لازم الدليل ونتيجته .

وهذا البرهان الاصطلاحي هو من دليل المجادلة بالَّتي هي أحسن ، وليس في الحقيقة آلة لمعرفة الله عزَّ وجلَّ الحقيقيَّة ، وإنَّما يفيد معرفة العوامّ وأصحاب الكلام ، لأنَّه محطّ الشُّبَهِ والإشكالات ، لابتنائه على القضايا التي كلّها أو جلّها مبنيَّة على المفاهيم المستنبطة من الألفاظ بالدلالة التي تعرفها عقول العوامّ ، واللّغة لها سبعون معنًى ، ومطلوبهم بالاستدلال وراء السَّبعين ، فكيف يعرف بها الحق الواحد تعالى ، ولهذا[1] تراهم مختلفين ولا يزالون مختلفين منغمسين في الشُّبَهِ إلّا مَن رحم ربّك ، ولذلك خلقهم .

---

(١) في نسخة : لذا .

وإنَّما الاستدلال بالآية للعارفين بالله من كبار شيعة أمير المؤمنين عليه السلام ، وهم الخصّيصون من الشِّيعة ، وهم وإن عرفوا نمط الاستدلال بالآية إلّا أنَّ مقصودهم غير مقصود أئمَّة الحق عليهم السلام بخلاف شيعتهم ، وهو سرّ قوله عليه السلام : (**نحن الأعراف الذين لا يُعرف الله إلّا بسبيل معرفتنا**)[١] ولهذا ترى غيرهم يعرفون كيفيَّة الاستدلال بالآية الشَّريفة ، ويقول أحدهم : هو أنا بلا أنا ، فإذا كان يعرف الاستدلال ويقول فيمن حصل له من الاستدلال : (أنا الله بلا أنا) إذاً لم يعرف المستدلّ عليه ، لأنَّه تعالى لا يعرف إلّا بسبيل معرفتهم عليهم السلام .

وأمَّا الخصّيصون من الشَّيعة فاستدلالهم على طريق استدلال أئمَّتهم عليهم السلام ، والإشارة إلى نوع ذلك يعرف من قول إمامهم الصادق عليه السلام في قوله : ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾[٢] قال : (**يعني في غيبتك وفي حضرتك**)[٣] انتهى .

---

(١) قال عليه السلام : (**على الأعراف نحن نعرف أنصارنا بسيماهم ، ونحن الأعراف الذي لا يُعرف الله إلّا بسبيل معرفتنا ، ونحن الأعراف نوقف يوم القيامة بين الجنّة والنار ، فلا يدخل الجنّة إلّا مَنْ عَرِفَنا وعرفناه ، ولا يدخل النار إلّا من أنكرنا وأنكرناه ، وذلك بأن الله تبارك وتعالى لو شاء عرّف الناس نفسه حتّى يعرفوا حدّه ، ويأتوه من بابه ولكن جعلنا أبوابه وصراطه وسبيله وبابه الذي يؤتى منه**) الكافي : ١ / ١٨٤ ح ٩، والاحتجاج : ١ / ٣٣٨ .

(٢) سورة فصلت ، الآية : ٥٣ .

(٣) مصباح الشريعة : ٧، وتفسير نور الثقلين : ٤ / ٥٥٦ ح ٧٧ .

طريق العرفاء

والمعنى أنَّ العارف ينظر إلى المؤثّر في الأثر ، وإلى المسبّب في السبب ، وإلى المحرّك في الحركة ، فإذا غبت فإنّما تغيب بسبب اشتغالك ونظرك إلى الدُّنيا وأهلها ، أو بشُغْل نَظَرِ عقلِكَ وفكرك بشيء من المعاني أو الصور ، وكلّ شيء يقع عليه نظر بصرك أو بصيرتك من عقل أو علم أو وهم أو خيال أو فكر ، فإنَّه أثر فعله ودليل وجوده ، فهو في غيبتك حاضر عند كلّ مشعر من مشاعرك بأفعاله وآثار أفعاله ، وإذا حضرت بنظرك في آثار صِنعه فإنَّك ترى من الآثار ما كنت تراه في غيبتكَ . بلا فرق في نفس الأمر ، إلّا أنَّك في الغيبة اشتغل نظرك إلى الطعام لا تعرف منه إلّا المصنوع ، وفي الحضور اشتغل نظرك إلى الطَّعام لا تعرف منه إلّا المصنوع ، وقلبك ذاكر صانعه تعالى ، وفي الغيبة لم يكن قلبك ذاكراً صانعه تعالى ، وهو عزَّ وجلَّ موجود في الحالَيْن ، لأنَّك في حال الغيبة تجد أشياء ، وفي حال الحضور تجد أشياء ، ووجودات الحالَيْن قائمة بأمره تعالى قيام صدور وتحقّق ، فما غاب عنك من حضرتك آثار أفعاله ، وما احتجب عنك من أوجدك نفسك وغيرك .

وهذا نوع برهان العارفين من الأنبياء والمرسلين والخصّيصين من أتباعهم ، لا أنَّ برهانهم بترتيب صغرى وكبرى ، حتّى إذا

أرادوا معرفته سبحانه ورتبوا مقدِّمتين فقالوا مثل ما يتوهَّم المصنف عليهم الوجود هو الله ، والله هو الحقّ سبحانه أو بالعكس ، مثل الله هو الوجود والوجود هو الحقّ ، والمعنى واحد ، أو كما يتوهمه كما تشعر عبارته[١] في قوله : (لأنَّه البرهان على كلِّ شيء) فيقول : حقيقة كلّ شيء هو الوجود والوجود هو الله ، فيكون[٢] الطَّريق إلى البغية أي المطلوب من البغية ، يعني أنَّ الطَّريق إليه منه ، وهذه عبارات الصّوفية أصحاب الدَّعاوى .

طريق الأنبياء والأوصياء عليهم السلام

وأمَّا الأنبياء عليهم السلام أصحاب الحقيقة[٣] فهم ينظرون إلى آثار صنعه بنحو ما علّمهم من النَّظر ، فيترقّون من الآثار إلى آياته التي تعرّف لهم بها في آثار صنعه في الآفاق وفي الأنفس كما قال تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾[٤] ثمَّ قال تعالى : إنَّه أظهر في الآفاق من الآفاق وفي الأنفس من الأنفس ، فقال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِ

---

(١) في نسخة : عباراته .
(٢) في نسخة : فتكون .
(٣) في نسخة : الحقائق .
(٤) سورة فصلت ، الآية : ٥٣ .

بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾(١) فإذا نظروا إلى شيء لم ينظروا إليه إلّا كنظرك إلى زجاجة المرآة حين أنت تنظر وجهك فيها ، فإنَّك غير ناظر إلى الزجاجة حينئذ ، وإنَّما أنت ناظر صورتك وإن كنت تراها بالعرض .

فحين أمرهم تعالى بالنَّظر فقال : ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾(٢) وقال : ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾(٣) وقال : ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِم ﴾(٤) إلى غير ذلك نظروا إليه فيها ، والمنظور إليه فيها ما تَعَرَّفَ به لهم ممَّا وصف به نفسه ، وهو ما ألقى في هويَّاتهم من هويَّاتهم الذي هو الوصف الفهواني ، وهو ظل أثر فعله أعني شبح هياكل التَّوحيد ، فينظرون إلى آياته في الآثار ، كما روي عن سيِّد الشُّهداء عليه السلام في ملحقات دعاء عرفة قال : (**إلهي أمرتَ بالرجوع إلى الآثار فأرجعني إليها بِكِسوة الأنوار وهداية الاستبصار ، حتَّى أرجعَ إليك منها كما دخلتُ إليك منها مَصُونَ السِّرّ عن النَّظر إليها ، ومرفوعَ الهِمَّة عن الاعتماد عليها إنَّك على كلِّ شيء قدير**)(٥) انتهى .

(١) سورة فصلت ، الآية : ٥٣ .
(٢) سورة يونس ، الآية : ١٠١ .
(٣) سورة آل عمران : ١٩١ .
(٤) سورة الروم : ٨ .
(٥) بحار الأنوار : ٩٥ / ٢٢٦، دعاء عرفة .

وهذا الكلام إن صحَّ أنَّه قاله فذلك ، وإلّا فمعناه منهم عليهم السلام لأنَّه صحيح .

وقد روى ابن عبَّاس وغيره عن النَّبيّ صلى الله عليه وآله ما معناه أنَّه قال : (**ما يوجد شيء من الحقّ عند أحد من الخلق إلّا بتعليمي وتعليم عليّ بن أبي طالب عليه السلام**)(١) الحديث وهو طويل .

فنظر الأنبياء والمرسلين والأوصياء والصديقين عليهم سلام الله أجمعين واستدلالهم بالعيان والوجدان ، لا بالمقدِّمات والبرهان المبني على مقدِّمات(٢) الحمليَّات والمفاهيم التَّخيّليَّات ، والقياسات الوهميَّات ، التي قدروها بعقولهم وقد رأوا(٣) بها عظمة الله وقدرته كما قال الصادق عليه السلام في دعاء الوتيرة بعد العشاء ـ رواه الشَّيخ في المصباح ـ قال : روحي فداه صلوات الله عليه : (**بدت قدرتكَ يا إلهي ولم تبد هيئةٌ يا**

---

(١) قال رسول الله صلى الله عليه وآله : (**ثم جعلنا عن يمين العرش ، ثم خلق الملائكة فهللنا فهللت الملائكة ، وكبّرنا فكبّرت الملائكة ، وكان ذلك من تعليمي وتعليم علي ، وكان ذلك في علم الله السابق أن الملائكة تتعلّم منّا التسبيح والتهليل ، وكل شيء يسبّح لله ويكبّره ويهلّله بتعليمي وتعليم علي**) بحار الأنوار : ٢٦ / ٣٤٥ باب فضل النبي وآله ح ١٨، ومشارق أنوار اليقين : ٤٠، والأنوار النعمانية : ١ / ٢٢ .

(٢) في نسخة : المقدمات .

(٣) في نسخة : قدَّروا .

سيِّدي ، فشبَّهوكَ واتّخذوا بعض آياته أرباباً يا إلهي ، فمن ثَمَّ لم يعرفوكَ)[١] الدُّعاء .

والحاصل : إن كان المصنف في قوله : (هو الذي لا يكون الوسط في البرهان غيره) هذا هو اعتقاده ومعرفته بأنَّ طريق الأنبياء والأوصياء عليهم السلام إلى معرفة الله عزَّ وجلَّ إنَّما هو بالبرهان الصناعي المَعْروف فهو أجهل الجاهلين .

وإن كان مراده أنَّ معرفتهم عليهم السلام لله إنَّما هي بالله من الله إلى الله على جهة العيان والوجدان ، وإنَّما قال : (لا يكون الوسط غيره) ، لأنَّه يريد أنَّه القطب الذي تدور عليه الأفكار

---

(١) مصباح المتهجد : ١١٥، وتوحيد الصدوق : ١٢٤، وبشارة المصطفى : ٣١٩، وأمالي الصدوق : ٧٠٧ح ٩٧٠، ولفظه في المصباح : (**اللهم يا رب الأرباب ويا معتق الرقاب أنت الله الذي لا تزول ولا تبيد ولا تغيرك الدهور والأزمان بدت قدرتك يا إلهي ولم تبد هيئة فشبهوك يا سيدي واتخذوا بعض آياتك أرباباً يا إلهي فمن ثم لم يعرفوك يا إلهي ، وأنا يا إلهي بريء إليك في هذه الليلة من الذين بالشبهات طلبوك وبريء إليك من الذين شبهوك وجهلوك ، يا إلهي أنا بريء من الذين بصفات عبادك وصفوك بل أنا بريء من الذين جحدوك ولم يعبدوك وأنا بريء من الذين في أفعالهم جوروك ، إلهي أنا بريء من الذين بقبائح أفعالهم نحلوك وأنا بريء من الذين عما نزهوا عنه آباءهم وأمهاتهم ما نزهوك ، وأبرأ إليك من الذين في مخالفة نبيك وآله عليه وعليهم السلام خالفوك ، وأنا بريء إليك من الذين في محاربة أوليائك حاربوك وأنا بريء إليك من الذين في معاندة آل الرسول عليهم السلام عاندوك ، اللهم صلّ على محمد وآله واجعلني من الذين عرفوك فوحدوك . .**) .

والأنظار والأشواق والأذواق وأنَّ كلّ ما سواه فهو كالأشعَّة في دورانها على شعلة السِّراج كما قال السَّجاد عليه السلام : (**إلهي وقف السائلُون ببابكَ ، ولاذ الفقراء بجنابكَ**)(١) انتهى .

كالأشعَّة الواقفة في سؤال الاستمداد بباب النَّار الذي هو الشُّعلة ، ولاذت الأشعَّة بفقرها في طلب الاستغناء بجناب النَّار الذي هو الشُّعلة ، فإن كان مراده هذا المعنى من قوله : (الوسط) فهو معنى صحيح .

وإن كان لا يستعمل الوسط بهذا المعنى في ذكر البرهان ، لأنَّ البرهان استدلال والاستدلال إنَّما يستعمله الفاقد ، وهذا المعنى ليس ببرهان ، بل هو العيان والوجدان الذي يعبّر به الواجد لا الفاقد على أنَّ جميع استدلالاته في سائر كتبه إنَّما هي بالبرهان الصّناعيّ الذي لا ينتفع به القلب الواعي فافهم .

واستشهاده بقوله تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ ﴾(٢) مخالف للمراد من الآية ، لأنَّه صلى الله عليه وآله لم يستعمل البرهان الصناعي إلّا في مقام الاحتجاج على من يحتجّ عليه صلى الله عليه وآله بذلك ، فإنَّه ربَّما يأتي بما يكون من معاني كلامه ما إذا رتَّب وعدل على قاعدة أهل المنطق

---

(١) من أدعية شهر رمضان المبارك .

(٢) سورة يوسف ، الآية : ١٠٨ .

يكون منه شكل قياسي ، كما كان كلام العرب كلّه هكذا ، والقرآن كذلك .

وكتابي هذا الذي كتبته شرحاً لكلام[١] المصنف ربَّما ما يوجد فيه شكل قياسيّ ، إلّا أن يكون حكاية أو مقابلة لآخر ، وإلّا فكلّه من دليل الحكمة أو الموعظة الحسنة .

والأشكال القياسيَّة كلّها من دليل المجادلة بالَّتي هي أَحْسَنُ ، وهو مع استكمال[٢] شرائطه ومستنداته لا يوصل إلى معرفة الله ، وإنَّما يفيد إسكات الخَصْم في بعض المواضع إذا لم يكن الخصم من أهل العَيان .

أمَّا إذا كان منهم ، فإنَّه يفتح له باب إبطاله ، ووجه ردّ التَّمسّك به ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾[٣] لأنَّ قوله صلى الله عليه وآله الذي أمره الله به هنا هو الذي أمره به في قوله تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾[٤] ثمَّ إنَّه تعالى أمره صلى الله عليه وآله بأنَّهم إذا جادلوك فجادلهم بالَّتي هي أحسن ، فافهم .

---

(١) في نسخة : لكتاب .
(٢) في نسخة : استعمال .
(٣) سورة الأعلى ، الآيتان: ١٨ ، ١٩ .
(٤) سورة النحل ، الآية : ١٢٥ .

قال : فهؤلاء هم الَّذين يستشهدون به تعالى عليه : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾[١] ثمَّ يَسْتَشْهدون بذاته على صفاته وبصفاته على أفعاله وآثاره واحداً بَعْد واحد ، وغير هؤلاء يتوسّلون في السّلوك إلى معرفته تعالى وصفاته بواسطة أمر آخر غيره ، كجمهور الفلاسفة بالإمكان ، والطَّبيعيِّين بالحركة للجسم ، والمتكلّمين بالحدوث للخلق أو غير ذلك .

وهي[٢] أيضاً دلائل وشواهد ، لكن هذا المنهاج أحكم وأشرف ، وقد أُشير في الكتاب الإلهيّ إلى تلك الطريق ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾[٣] وإلى هذه الطَّريقة بقوله : ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[٤] .

أقول : قوله : (فهؤلاء ـ أي الأنبياء والصّدّيقون عليهم السلام ـ يستشهدون به عليه تعالى) فيه أنَّهم إذا استشهدوا به عليه وجب عليهم اعتبار المغايرة بين الدَّليل والمدلول عليه ولو فرضنا[٥] وهو مناف للتَّوحيد ، وإنَّما استدلالهم به أنَّه هو كما قال

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٨ .

(٢) في نسخة : هو .

(٣) سورة فصلت ، الآية : ٥٣ .

(٤) سورة فصلت ، الآية : ٥٣ .

(٥) في نسخة : فرضاً .

تعالى : ﴿ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ﴾(١) فإن أراد أنَّهم يشهدونه(٢) في ظهوره بكلّ شيء على نحو ما في دعاء الصادق عليه السلام (**لا يرى فيها نورٌ إلّا نورك ، ولا يسمع فيها صوت إلّا صوتك**)(٣) انتهى .

وهو الظاهر من مراده أنَّه(٤) كما يقولون هو الشَّاهد والشَّهادة والمشهود وأمثال هذه العبارة ، فاعلم أنَّ هذا المعنى يكون كفراً وإيماناً على مراد العارف واعتقاده .

فإن اعتقد أنَّه الوجود المطلق والنَّقائص لاحقة ببعض أفراد الحقيقة لأنَّ صرف الوجود البحت تامّ وفرق التَّمام وهو الواجب وهو أكمل أفراد الحقيقة ، وبعض أفرادها متفاوتة في الشّدَّة والضعف ، مشتركة في مطلق النقص والفقر ، والأقوى يَسْتهلك الأضعف ، فلا أثر ولا مؤثر إلّا هو ، ولا وجود على الحقيقة إلّا

---

(١) سورة الأنعام ، الآية : ٩١ .

(٢) في نسخة : يستشهدون .

(٣) في المصباح للشيخ في دعاء ليلة الخميس : (**أنت الذي بكلمتك خلقتَ جميع خلقك فكلّ مشيّتك أتتك بلا لغوب أثْبَتّ مشيّتك ولم تأنّ فيها لمؤنة ، ولم تَنْصَب فيها لمشقّة ، وكانَ عرشك على الماء والظلمة على الهواء والملائكة يحملون عرشك عرش النّور والكرامةِ ويسبّحون بحمدك ، والخلق مطيع لك خاشع من خوفك ، لا يُرى فيه نور إلّا نورك ، ولا يُسْمَع فيه صوت إلّا صوتك حقيق بما لا يحقّ إلّا لك**) مصباح المتهجد : ٤٨١ ح ٥٧٣ .

(٤) في نسخة : مراداته .

هو ، فإذا استدلوا عليه إنّما استدلوا به ، فإن شاهدوا شاهدوا ذاته الحقّ فهذا كفر .

وإن اعتقد أنَّ كلّ شيء دليله وأنَّ دليله صفته **(صفة استدلال عليه لا صفة تكشف له)**[1] ، بمعنى أنَّهم إذا فنوا فنوا في آثاره

---

(١) ورواه المصنف في الجزء الثاني من شرح العرشية ، قال عليه السلام في خطبته : **(وإن قلتَ : مِمَّ هُو ؟ فقد باين الأشياء كلّها فهو هو ، وإن قلتَ : فهو هو ، فالهاء والواو كلامه صفة استدلال عليه لا صفة تكشف له ، وإن قلتَ : له حدّ فالحدّ لغيره ، وإن قلتَ : الهواء نسبه فالهواء من صنعه رجع من الوصف إلى الوصف وعمي القلب عن الفهم والفهم عن الإدراكِ ، والإدراكُ عن الاستنباط ، ودام الملك في الملك ، وانتهى المخلوق إلى مثله وألجأه الطَّلب إلى شكله ، وهجم به الفحصُ إلى العجز ، والبيانُ على الفقدِ ، والجهد على اليأس ، والبلاغ على القطع ، والسبيل مسدود ، والطلب مردود ، دليله آياته ، ووجوده إثباته)** .
وهي الخطبة المعروفة بدرّة التوحيد روى بعضها السيد حيدر الآملي في جامع الأسرار ومنبع الأنوار : ٢٣٤، وأولها : **(الحمد لله حمد معترف بحمده مغترف من بحار مجده بلسان الثناء شاكر . .)** .
وفيها : **(السبيل مسدود والطالب مردود دليله آياته ووجوده إثباته ، ومعرفته توحيده ، وتوحيده تنزيهه من خلقه ، بأين لا بمسافة قريب لا بمداناة . له حقيقة الربوبيّة إذ لا مربوب ومعنى الإلهيّة إذ لا مألوه . صفة أنّه ربّ وغيره خلق . له تأويل البينونة لا بينونة له ، ما تصوّرته الأوهام فهو بخلافه . ليس بربّ من أطرح تحت البلاء ، ولا بمعبود من وجد في وعاء هواء وغير هواء . فهو في الأشياء كائن لا كينونة محصور (محظورة ـ م) بها عليه . ومن الأشياء بائن لا بينونة غائب عنها . .)** إلى قوله عليه السلام : **(فهو الأوّل لا أوّل له . والآخر لا آخر له . والظاهر لا ظاهر له والباطن لا باطن له)** . =

ومقاماته وعلاماته لا في ذاته ، والمشاهدة ، واللقاء ، والفناء ، والظُّهور الذي استهلك كلّ ظهور كلّها للوجه الباقي الذي لا يفنى ولا يحول ولا يزول ، وهو مقاماته وعلاماته ، فهذا هو الإيمان وذلك قوله تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ﴾ ولم يقل ذاتنا ﴿وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾[1] وقال صلى الله عليه وآله : (**أعرفكم بنفسه أعرفكم بربّه**)[2] .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : (**من عرف نفسه فقد عرف ربّه**)[3] فقوله صلى الله عليه وآله : (**أعرفكم بنفسه أعرفكمَ بربّه**) يدلُّ على أنّه لَوْ كانَ شخص أَعْرَفَ بنَفْسِهِ من زيد ، وزيد يعرف ربّه بنَحْو معرفة المصنف من مسألة الوجود ، كان الشَّخص أَعْرَفَ

= رواه السبزواري والطباطبائي باختصار : (**دليله آياته ، ووجوده إثباته ومعرفته توحيده وتوحيده تمييزه**) . انظر شرح الأسماء الحسنى : ١ / ١٦، وتفسير الميزان : ٦ / ١٠٢ .
ورواه ابن شعبة الحراني عن الإمام الحسين عليه السلام بتفاوت واختصار ، انظر تحف العقول : ٢٤٤، وبحار الأنوار : ٤ / ٣٠١ ح ٢٩ .

(١) سورة فصلت ، الآية : ٥٣ .

(٢) مشارق أنوار اليقين لرجب البرسي : ٢٩٧، والاقتصاد للطوسي : ١٤، وروضة الواعظين للفتال : ٢٠، وتفسير الميزان : ٦ / ١٧٠ .

(٣) شرح أصول الكافي : ٣/ ٢٣، وعوالي اللآلي : ١ / ٥٤، وبحار الأنوار : ٢ / ٣٢، ومصباح الشريعة : ١٣، والصراط المستقيم : ١ / ١٥٦، وتفسير الميزان : ٦ / ١٧١ ـ ١٧٢ مورد الآية ١٠٥ من المائدة ـ البحث الروائي .

من زيد ، لكونه أعرف من زيد بنَفْسه من أنَّ الشَّخص إذا عرف نفسه ، فإنَّما عرف[١] آية رَبِّه ، وهي ما وصف به نفسه تعالى لعَبْده ، فإذا عرف الشَّخص وصف الله لنَفْسه تعالى عرفه ، لأنَّ الشيء إنَّما يُعْرَفُ بوصفه ، فإذا عرفته بما وصف نفسه به لك أصبت مراده ، ولا كذلك لو عرفته بما قالوا ، فربَّما عرفت غيره ، بل هذا يكون قطعاً لما ذكرنا مراراً أنَّ الصورة الإنسانيَّة نسخة العالم ، ونسخة العالم نفس[٢] الاسم الأكبر .

معاني حديث : يا مَن دلّ على ذاتِه بِذاتِه

واعلم أنَّ أكثر قولي في أغلب المواضع إن أراد كذا وإن أراد كذا لفتح باب التأويل لمن يطلب سواء السبيل ، إذ أكثر النَّاس لا يقدر على التنزّل إلّا بالتدريج .

والحاصل : معنى استشهادهم به عليه عند هؤلاء أنَّه الدليل بذاته على ذاته كما قال عليه السلام : (**يا من دلَّ على ذاته بذاته**)[٣] . وهم يحومون حول هذه العبارة منه عليه السلام ،

(١) في نسخة : يعرف .

(٢) في نسخة : نقش .

(٣) من دعاء الصباح لأمير المؤمنين عليه السلام ، انظر بحار الأنوار : ٨٤/ ٣٣٩ ح ١٩ وج ٩١ / ٢٤٣ ح ١١، ونهج السعادة : ٦ / ١٢٨ .

ونحن نغلطهم في التصَّديق لا في التَّصوّر ، لأنَّهم يزعمون أنَّ هذه الذَّات الدَّالَّة ، والمدلول عليها الذَّات البَحْت ، وتعالى وعزَّ المعبود عن هذا المعنى الذي أرادوه ، وإنَّما المراد منها أحد أُمور كلّ منها مراد لقوم :

أحدها : أنَّه دلَّ على معرفة ذاته بوصف ذاته ، والمدلول عليه موصوف هذا الوصف لا الذَّات البَحْت الواجب تعالى .

وثانيها : أنَّه دلَّ على معرفة ذاته الموصوفة بما وصفها من غير حاجة إلى دلالة آثار صنعه .

وثالثها : أنَّه دلَّ على معرفة ذاته بمعرفة ذاته ، إذ الشَّيء لا يعرف بغيره وإنَّما يعرف بذاته .

ورابعها : أنَّه دلَّ على معرفة ذاته بوصف ذاته لا بوصف غيرها .

وخامسها : أنَّه دلَّ على معرفة ذاته الحقّ بذاته الخلق .

وسادسها : أنَّه دلَّ على معرفة ذاته الحقّ بتعريف ذاته الخلق .

وسابعها : أنَّه دلَّ على معرفة ذاته الحقّ بمعرفة ذاته الخلق .

وثامنها : أنَّه دلَّ على معرفة ذاته الخلق بذاته الخلق .

وتاسعها : أنَّه دلَّ على معرفة ذاته الخلق بتعريف ذاته الخلق .

وعاشرها : أنَّه دلَّ على معرفة ذاته الخلق بوصف ذاته الحقّ .

فهذه عشرة وجوه ليس فيها تكرير ولا تداخل وكلها مرادة .

وفيها وجوه أُخَر ، وليس من الجميع ما أشارُوا إليه لأنَّه كما قال عبد الحميد بن أبي الحديد[١] :

كَـذَبُـوا أنَّ الـذِي طَـلَـبُـوا خَـارِجٌ عَـن قـوَّةِ الـبَـشَـرِ

ومعنى استشهادهم به عليه عندنا أنَّ الشيء لا يُعرف بغيره ، وإنَّما يُعرف به ، فإنَّك تعرف الطَّويل بالطّول لا بالعرض ولا بالحمرة ، وتعرفُ العريض بالعَرْض لا بالطّول ولا بالحمرة ، وهكذا .

ومن هنا قالوا عليهم السلام : (**اعرفوا الله بالله**)[٢] وقالوا عليهم السلام : (**إنَّ الله أجلَّ من أنْ يُعْرَفَ بخلقه ، بل الخلق يعرفون به**)[٣] انتهى .

أي بتعريفه وتعليمه ، وقوله تعالى : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا

---

(١) هو عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين المدائني ، المعروف بابن أبي الحديد (أبو حامد ، عز الدين) أديب ، كاتب ، شاعر ، مشارك في بعض العلوم .
ولد بالمدائن سنة (٥٨٦ هـ ـ ١١٩٠ م) وصار إلى بغداد ، فكان أحد الكتّاب والشعراء بالديوان الخليفي ، وتوفي ببغداد سنة (٦٥٥ هـ ـ ١٢٥٧ م) .
من آثاره : الفلك الدائر على المثل السائر ، شرح نهج البلاغة في عشرين مجلداً ، ديوان شعر ، نظم الفصيح لثعلب الكوفي في اللغة ، تعليقة على المحصول لفخر الدين الرازي في أصول الفقه ، والقصائد السبع العلويات .
انظر الوافي للصفدي : ١٦ / ٣٣ ـ ٣٤، والبداية لابن كثير : ١٣ / ١٩٩ .

(٢) الكافي : ١ / ٨٥ ح ١ .

(٣) جواهر الكلام : ٤٠ / ٣٩٨، والكافي : ١ / ٨٦ ح ٣ .

هُوَ ﴾(١) قالوا : هذه شهادة الحقّ للحقّ بالحقّ وليس بصحيح ما قالوا ، لأنَّ هذه شهادته تعالى في الخلق للخلق ، لأنَّ ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ نفيٌ وَإِثْبَاتٌ حيث قال المشركون : اللّات ، إلهٌ ، والعُزّى إلهٌ ، وهُبَل إلهٌ ، والله سبحانه إلهٌ ، فقالَ : كَذَبْتُمْ في ثَلاثَة وَصَدَقْتُمْ في وَاحِد فَعَبَّرَ عَنْ تكذيبهم بنفي إلهِيَّةِ ثَلاثة فقالَ : ﴿ لَآ إِلَٰهَ ﴾ ممّا قلتم وعبّر عن تصديقهم بالإثبات فقال : ﴿ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾(٢) أي لا إله ممّا قلتم إلّا إله واحد سبحانه ، وهذه في الإمكان(٣) وليس في الوجوب شيء غيره ، لا في الوجود ، ولا في الوجدان ، ولا في الذّكر ، ولا في العلم ليتميز بنفيه عنه ، تعالى عن ذلك .

ولهذا قال الرِّضا عليه السلام في جوابه لعمران الصَّابي حين(٤) قال له : يا سيِّدي هل كان الكائن معلوماً في نفسه عند نفسه ؟

قال الرِّضا عليه السلام : (**إنَّما تكون المعلمة لنفي خلافه ، وليكون الشيء نفسه بما نفي عنه موجوداً ، ولم يكن هناك شيء يخالفه فتدعوه الحاجة إلى نفي ذلك الشيء عن نَفْسه بتحديد ما علم منها**)(٥) انتهى .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٨ .

(٢) قال تعالى : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴾ [محمد : ١٩] .

(٣) في نسخة : أحكام الإمكان .

(٤) في نسخة : حيث .

(٥) عيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ / ١٥١ ، والبحار : ١٠ / ٣١١ .

ومعنى قوله : (ثمَّ يستشهدون بذاته على صفاته) أنَّهم يستدلّون بالذَّات الحقّ تعالى ، فدلَّ على أنَّ مراده قبل هذا الكلام في قوله : يستشهدون به تعالى عليه الذَّات الواجب البحت كما قلنا عليه ، ثمَّ يريد هنا بالذَّات أيضاً الذَّات البَحْت ، وقد أشرنا لك إلى الحقّ في هذه المسألة وأمثالها أنَّهم ما عَرَفُوا مَعْبُودَهُمْ وَزَعَمُوا أنَّه تعالى أقرب إليهم من حَبْل الوريد بذاته الحقّ ، وتعالى عن ذلك على المعنى الذي أرادُوا ، فيستشهدون به عليه أنَّه هو وأنَّه دليل صفاته ، لأنَّه أقرب وأظهر ، ثمَّ بصفاته على أفعاله وآثاره ، وقد قلنا لك : إنَّهم يعرفون من تعرّف لهم بما تعرّف به لهم ، فعندهم من معرفته[1] ما أعطاهم ، وهو ما وصف به نفسه لكلّ واحد من خلقه ، وذلك الوَصْف الفهوانيّ هو حقيقة عبده الذي تعرّف له بذلك الوصف الذي هو حقيقة عبده منه تعالى ، وليس عنده غير ما أُعطي ، فحقيقة عبده منه صفته تعالى صفة استدلال عليه لا صفة تكشف له ، وحينئذ يعرف خالقه بنحو ما قال الرِّضا عليه السلام : **(واعلم أنَّه لا تكون صفة بغير موصوف ، ولا اسم لغير معنى ، ولا حدّ لغير[2] محدود ، والصِّفات والأسماء كلّها تدلّ على الكمال والوجود ، ولا تدلّ على الإحاطة كما تدلّ على الحدود التي هي التَّربيع والتَّثليث**

---

(١) في نسخة : معرفة .
(٢) في نسخة : بغير .

والتَّسديس ، لأنَّ الله تعالى تدرك معرفتهُ بالصِّفات والأسماء ولا تدرك بالتَّحديد) .

إلى أن قال عليه السلام : (**ولكن يدلّ على الله عزَّ وجلَّ بصفاته ، ويدرك بأسمائه ، ويستدلّ عليه بخلقه**)[١] الحديث .

فحقيقة عبده وصفه المذكور واسمه ، إذ كلّ شيء من خلقه اسم له وهو خلقه ، وهو تعالى لم يتعرّف إلى أحد من خلقه بذاته ، وإنَّما تعرّف لهم بأوصافه لهم التي هي حقائقهم منه ـ أي من فعله ـ ولا يوجد وصف لغير[٢] موصوف .

تأمَّل قول الرِّضا عليه السلام حين قال له عمران الصَّابي : يا سيِّدي ألا تخبرني عن الله تعالى ، هل يوجد بحقيقته أو يوجد بوصف ؟

قال الرِّضا عليه السلام : (**إنَّ الله المبدىء الواحد الكائن الأوَّل لم يزل واحداً لا شيء معه ، فرداً لا ثاني له**[٣] **لا معلوماً ، ولا مجهولاً ، ولا محكماً ، ولا متشابهاً ، ولا مذكوراً ، ولا منسيّاً ، ولا شيئاً يقع عليه اسم شيء من الأشياء غيره ، ولا من وقت كان ، ولا إلى وقت يكون ، ولا بشيء قام ، ولا إلى شيء**

(١) توحيد الصدوق : ٤٣٧، والبحار : ١٠ ٣١٥، وعيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ / ١٥٥ .

(٢) في نسخة : بغير .

(٣) في نسخة : معه .

يقوم ، ولا إلى شيء استند ، ولا في شيء استكنّ ، وذلك كلّه قبل الخلق ، إذ لا شيء غيره ، وما أوقعت عليه من الكلّ فهي صفات محدثة وترجمة يفهم بها من فهم)[١] الحديث .

ومعنى أنَّه تعالى يعرف به : أنَّك إذا كشفت عن نَفْسك في وجدانك سبحات الجلال من غير إشارة بقي وصف فهوانيّ ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ﴾[٢] وبه تعرف الله (يعرف) بالله ، لأنَّ هذا الباقي هو وصفه تعالى الذي خاطبك به مشافهة ، وبه تعرف الله بالله ، كما تعرف الأبيض بالبياض لا بغيره من الألوان ، لأنَّ البياض ليس كمثله شيء من الألوان ، وتعرف خلقه به كما تعرف الصّفة ، أي الوصف بالموصوف بهذا النحو ، وبأنَّه عرّفك نفسه ، وبذلك عرّفك خلقه لا باللّمّي ولا بالإنّي[٣] من البرهان ، بل بالمشاهدة به والعيان ، أشهدك أنَّه الله لا إله إلّا هو ، وأشهدك نفسك ، وأشهدك ما شاء من خلقه .

طريق غير الأنبياء والأوصياء عليهم السلام

وقوله : (وغير هؤلاء) أي غير الأنبياء والصّدّيقين والخصّيصين من أتباعهم بالصّدق ، حيث لا يجدون حالة انفراد

---

(١) توحيد الصدوق : ٤٣٦ ، وعيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ / ١٥٤ .
(٢) سورة الشورى ، الآية : ١١ .
(٣) في نسخة أخرى : أو الإنّي .

ولا استبداد ، (يتوسّلون) في السّلوك ـ أي يتّخذون لسلوكهم ـ إلى معرفته تعالى وسائل[١] وبراهين ودلائل (بواسطة أمر آخر غيره) .

أقول : إن أراد بقوله : (بواسطة أمر آخر غيره) أنَّ أولئك الأوَّلين اتّخذوا ما نسبه إليه وألقى عليه ما اشتقّ له من أسمائه اسماً نسبهم به إليه ، فذلك ما قلنا ، وإن أراد غير ذلك أراد غير مراد الله من خلقه كجمهور الفلاسفة بالإمكان ، يعني أنَّ علَّة حاجة الحادث إلى الصَّانع تعالى هي الإمكان ، وذلك أنَّ الممكن إذا اعتبر في ذاته وما له كان متساوي الطَّرفين في الوجود والعدم ، ولا ينفكّ عن أحدهما ، فهو محتاج في ترجيح أحدهما عن الآخر إلى مرجِّح وطالب له وهو الصَّانع ، فعلَّة احتياجه إلى الصَّانع هو الإمكان .

وقيل : بشرط الحدوث لأنَّه إذا لم يلاحظ الحدوث لم يتحقَّق الاحتياج .

وقيل : علَّة الاحتياج هي[٢] الحدوث خاصة ، إذ ملاحظة استواء الطَّريقين[٣] لا تستلزم[٤] الاحتياج .

---

(١) في نسخة : رسائل .
(٢) في نسخة : هو .
(٣) في نسخة : الطَّرفين .
(٤) في نسخة : يستلزم .

وقيل : هي الإمكان والحدوث معاً ، إذ كلّ منهما جزء علَّة لِعدم تحقّق الاحتياج بدونهما .

والحقّ في نظري : أنَّه إن أُريد مطلق الاحتياج فالأوَّل أقوى ، لأنَّا نقول : ليس ذَاتِيًّا بنفسه بل بصنع صانعه ، وهو شيء مخلوق بمشيئة الله الإمكانيَّة ، لأنَّه محلّها حين خلقها سبحانه بنفسها ، فإمكان كلّ ممكن بفعله ، لأنَّه تعالى أمكن الإمكانات ، لأنَّ[1] الإمكان أمر اعتباريّ عدميّ ، وإلَّا لكان زيد إذا لم يكن متّصفاً بالإمكان المتحقّق خارجاً قديماً أو ممتنعاً إذ كلّ ما ليس ممكناً فهو قديم عندنا وعندهم فهو قديم أو ممتنع ، لأنَّ الممتنع عندهم شيء وعندنا ليس بشيء ، لانحصار الشَّيء في الواجب والممكن ، وزيد شيء ، فإذا لم يكن ممكناً أي متّصفاً بإمكان هو شيء فهو قديم ، وإن أُريد كمال الاحتياج وتمامه ، فالأخير أقوى لاحتياج زيد في إمكانه إلى الإمكان المتحقّق ليتّصف بما هو متحقّق به ولاحتياجه في كونه إلى الحدوث ، لأنَّه لا يحتاج إلى الحدوث في إمكانه ولا يستغني عنه في كونه .

أقول : ودليلهم هذا هو المناسب للاستدلال ، لأنَّ المستدِلّ إنَّما يعرف المستدَلّ عليه بالدَّليل ، بخلاف طريق الأنبياء والصّدِّيقين عليهم السلام فإنَّ الله سبحانه أشهدهم وصفه ، فبه عرفوه لا بالاستدلال وإن سُمّي استدلالاً مجازاً .

---

(١) في نسخة : لا أنَّ .

طريق الحكماء والطَّبيعيِّين والمتكلِّمين

وقوله : (والطَّبيعيِّين) ، أي المستدلّون[١] بالطَّبيعة بالحركة للجسم كما ذكر هو قبل هذا من تجدّد الطَّبائع وحركاتها الجوهريَّة نازلة وصاعدة في أطوار التَّجدُّد والتَّبدُّل المحتاجة إلى صانع ، لا يتجدَّد ولا يتغيَّر ولا يتبدَّل عزَّ وجلَّ .

أقول : وهذا استدلال صحيح ورد به الشَّرع الصَّريح إلّا أنَّه كالَّذي قبله ، وهما طريقان لتثبيت الثَّابت في الأوهام ، ثبوته عزَّ وجلَّ يعني ثبوت معرفته بطريق الاستدلال بالآثار .

وقوله : (والمتكلّمين بالحدوث) أي يستدلّون بالحدوث الظَّاهر في الأشياء بتطوّراتها في مراتب أكوانها المتجدّدة المتغيّرة المتبدّلة المحتاجة إلى صانع لا يتّصف بصفاتها سبحانه وتعالى ، وهذا أيضاً دليل صحيح ورد به الشَّرع الشَّريف ، وقد قال سبحانه : ﴿ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ﴾[٢] وكلّ من صدق مع الله سبحانه وأقام حدوده وطلب الحقّ هداه إلى ما خلق له .

وقوله : (وهي أيضاً دلائل وشواهد) يشير إلى استدلال الحكماء والطَّبيعيِّين والمتكلِّمين وهو كما قال : في كلّ شيء بحسبه إلّا أنَّ الثلاثة من نوع واحد .

---

(١) في نسخة : المستدلّين .

(٢) سورة البقرة ، الآية ، الآية : ٦٠ ، وسورة الأعراف ، الآية : ١٦٠ .

وقوله : (لكن هذا المنهاج أحكم وأشرف) يشير إلى طريق الأنبياء والصدّيقين عليهم السلام أجمعين ، وهي على ما يدَّعيه هي طريقته .

وأقول : إن كان من جهة النَّوع فلا يبعد أنَّها من نوع طريقتهم[١] عليهم السلام من جهة التَّصوّر لا من جهة التَّصديق ، فإن من عرفوه غير من عرفه ، وهم عليهم السلام كافرون بمن يشير إليه ، وإن كان من جهة الشَّخص فليس طريقته من طريقتهم في شيء ولا تَعْجَب من قوله ، فإنَّ الله سبحانه يقول : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾[٢] .

وقوله : (وقد أشير في الكتاب الإلهي ـ يعني القرآن ـ إلى تلك الطَّريق) ، يعني طريق الحكماء والطَّبيعيِّين والمتكلِّمين ـ وهي قوله تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾[٣] وهو يريد أن الآيات التي أراهم إيَّاها في الآفاق وفي أنفسهم هي الآثار أي المخلوقات من السَّماوات والأرض ، والشَّمس والقمر ، والنُّجوم والجبال ، والشَّجر والدَّوابّ وما أشبه ذلك ، وفي أنفسهم من خلق الشعر والبشر ، والسَّمع والبصر ، وسائر نعمه الدَّالةَّ على صانعها وهذا ظاهر الآية .

---

(١) في نسخة : طريقهم .
(٢) سورة البقرة ، الآية ، الآية : ٢٠٤ .
(٣) سورة فصلت ، الآية : ٥٣ .

وأمَّا تأويلها ، فمنه ما أشار إليه سيِّد الموحِّدين عليّ أمير المؤمنين صلوات الله عليه بقوله : (**من عَرف نفسه فقد عرف ربّه**)[١] وحين سأله كميل عن حقيقة المعرفة ، قال له عليه السلام : (**ما لَكَ والحقيقة يا كميل ؟**)[٢] .

قال : أَوَلستُ صاحب سرّك ؟

قال : (**بلى ولكن يرشح عليك ما يطفح منِّي**) .

قال : أَوَمثلك يخيّب سائلاً : قال عليه السلام : (**الحقيقة كشف سُبُحاتِ الجلال من غير إشارة**) ، يعني : أنَّك إذا أردت معرفة الحقيقة من معرفة الله فاكشف في وجدانك سُبُحات نفسك ، حتَّى الإشارة إلى الكشف ، فإنَّه يبقى أنموذج فهوانيّ

---

(١) شرح أصول الكافي : ٣ / ٢٣ ، وعوالي اللآلي : ١ / ٥٤ ، وبحار الأنوار : ٢ / ٣٢ ، ومصباح الشريعة : ١٣ ، والصراط المستقيم : ١ / ١٥٦ ، وتفسير الميزان : ٦ / ١٧١ ـ ١٧٢ مورد الآية ١٠٥ من المائدة ـ البحث الروائي .

(٢) قال كميل بن زياد لعلي عليه السلام : (**ما الحقيقة ؟ قال : ما لك والحقيقة ؟ قال : أو لست صاحب سرّك ؟ قال : بلى ! ولكن يرشح عليك ما يطفح منّي ! قال : أو مثلك يُخيّب سائلاً ؟ قال : الحقيقة كشف سبحات الجلال من غير إشارة . قال : زدني فيه بياناً . قال : محو الموهوم مع صحو المعلوم . قال : زدني فيه بياناً . قال : هتك الستر لغلبة السرّ . قال : زدني فيه بياناً . قال : جذب الأحديّة بصفة التوحيد . قال : زدني فيه بياناً . قال : نور يشرق من صبح الأزل فتلوّح على هياكل التوحيد آثاره . قال : زدني فيه بياناً . قال : اطفِ السراج ، فقد طلع الصبح !**) شرح الأسماء الحسنى : ١ / ١٣٣ ، وكتاب جامع الأسرار ومنبع الأنوار : ١٢٧ ، ونور البراهين : ١ / ٢٢٢ .

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾[١] ، وهو آية الله ووصفه[٢] نفسه الذي خاطبك به فيه[٣] مشافهة ليس بينك وبينه حجاب غيره .

قال : زدني بياناً ، قال عليه السلام : (**محو الموهوم وصحو المعلوم**) أي : امح السّبحات الموهمة والإنّيّات الموهومة المبهمة تبقى آية بينة معلمة ، فالمعلوم حقيقتك من ربّك التي كثيراً ما نعبّر عنه بالفؤاد وبالنُّور وبالوجود وهو ما وصف به نفسه لك ، وهي هيئة هيكل التوحيد .

قال : زدني بياناً ، قال عليه السلام : (**هتك السّتر وغلبة السّرّ**) أي اهتك الحجاب الذي بينك وبينه تعالى يغلب على وجدانك ظهور السّرّ والكنز المخفيّ تحت جدار إنّيّتك ، وتجد شبحاً ناطقاً بكلّه يقول : الله الله صاعداً ، لا إله إلّا هو[٤] نازلاً .

فقال : زدني بياناً ، قال عليه السلام : (**جذب الأحديَّة لصفة التَّوحيد**)[٥] .

قال عبد الكريم الجيلاني[٦] في الإنسان الكامل : (والأحديَّة

(١) سورة الشورى ، الآية : ١١ .
(٢) في نسخة : وصفة .
(٣) في نسخة : فمنه .
(٤) في نسخة : الله .
(٥) انظر كتاب نور البراهين : ١ / ٢٢٢ .
(٦) هو الشيخ عبد الكريم بن ابراهيم بن عبد الكريم بن خليفة بن أحمد بن محمود =

عبارة عن مجلى ذاتي ليس للأسماء ولا للصِّفات ولا لشيء من مؤثّراتها فيه ظهور ، فهي اسم لصرافة الذَّات المجرّدة عن الاعتبارات الحقّيَّة والخلقيَّة ، وليس لتجلّي الأحديَّة في الأكوان مَظهَرٌ أَتَمَّ منك إذا استغرقت في ذاتك ونسيت اعتباراتك وأخذت بك فيك عن خواطرك ، فكيف أنت في أنت من غير أن تنسب إليك شيئاً ممَّا تستحقّه من الأوصاف الحقّيَّة (الحقيقة) أو هو لك من النّعوت الخلقيَّة ، فهذه الحالة للإنسان أعمّ مظهر للأحديَّة في الأكوان فافهم) انتهى .

وقال قبل هذا : (والواحديَّة أوَّل تنزّلات الحقّ من الأحديَّة) انتهى .

وقوله : هذا صحيح ليس فيه عيب إلّا في قوله : (فهي اسم لصرافة الذَّات) .

وقوله : (أوَّل تنزّلات الحق من الأحديَّة) فإنَّ ذلك لا يصحّ إلّا على تأويل ، فقوله عليه السلام : (**جذب الأحديَّة**) أي جذب

= الجيلي أو الجيلاني (الكيلاني) . والجيلاني أو الجيلي نسبة لجيلان من أعمال فارس .

ولد سنة ٧٦٧ هـ (١٣٦٥ م) وقيل سنة ٧٧٧ هـ .

مات سنة ٨٠٥ هـ (١٤٠٢ م) وقيل ٨٢٠ هـ وقيل ٨٣٢ هـ .

انظر ترجمته في معجم المؤلفين لعمر كحالة : ٣١٣، وكشف الظنون : ١٥٢٥ .

حقيقتك من ربّك لسبحات حقيقتك من نفسك ، بمعنى استهلاكك[١] إيّاها في وجدانك من ربّك لتعرفه لشبح[٢] معرفته .

قال : زدني بياناً ، قال عليه السلام : (**نور أشرق من صبح الأزل فيلوح على هياكل التّوحيد آثاره**) فصبح الأزل فعل الله ومشيئته وإبداعه واختراعه ، والنُّور المشرق منه نور الحقيقة ، أي حقيقة العارف من ربّه ، أعني فؤاده ووجوده ، وهو في كلّ عارف بنسبة رتبته من الكون ، فيلوح ، أي فيظهر آثاره مشابهة لهياكل التّوحيد ، لأنَّ هيكلها[٣] وهندسة إيجادها على هياكل التّوحيد ، أي منقوشة على صورة الهياكل صلى الله على محمد وآله[٤] الطّاهرين ، قال عليه السلام : (**بنا عُرِف الله ، ولولانا لم يُعْرف الله ، ونحن الّذين لا يُعرَف الله إلّا بسبيل معرفتنا**)[٥] .

قال : زدني بياناً .

قال عليه السلام : (**أطفِ السِّراج فقد طلع الصّبح**) انتهى .

أي اعدم وجودك ووجدانك ، فإنَّ الحقّ ليس بمستتر وإنَّما احتجب عنك بك كما قال أمير المؤمنين عليه السلام : (لا

(١) في نسخة : استهلاك .
(٢) في نسخة : بشبح .
(٣) في نسخة : هيئتها .
(٤) في نسخة : أهل بيته .
(٥) بصائر الدرجات : ٥١٧ ح ٦، وبحار الانوار : ٢٦ / ٣٤٩ ـ ٣٥٠ ح ٣٣ .

تحيط[١] به الأوهام ، بل تجلّى لها وبها ، وبها امتنع منها وإليها حاكمها)[٢] انتهى .

فما أراهم الله في الآفاق وفي أنفسهم فهو آياته والدَّليل عليه بأيّ طريق كان على حسب مراتب السَّالكين ، ومن ادّعى أنَّ ما أراهم الله في الآفاق وفي الأنفس هو ذاته فقد ألحد وجحد .

وأمّا باطن الآية فالآيات التي أراها الله في الآفاق وفي الأنفس هم محمَّد وأهل بيته الطَّاهرين صلّى الله عليه وآله أجمعين .

وروى جعفر بن محمَّد بن قولويه رحمه الله في كامل الزِّيارة بإسناده عن عبد الله بن بكر الأرجائي في حديث طويل عن أبي عبد الله جعفر بن محمَّد الصَّادق عليهما السلام ، إلى أن قال عليه السلام وهو يقول : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾[٣]

---

(١) في بعض المصادر : لم تحط به . . . .

(٢) نهج البلاغة : ٢ / ١١٥، وميزان الحكمة : ٣ / ١٨٩٤ ح ٢٦١٩، والاحتجاج : ١ / ٣٠٥، وبحار الأنوار : ٤ / ٢٦١، وأعلام الدين للديلمي : ٦٧ .
قال عليه السلام : **(واحد لا بعدد ، ودائم لا بأمد ، وقائم لا بعمد ، تتلقاه الأذهان لا بمشاعره وتشهد له المرائي لا بمحاضره ، لم تحط به الأوهام ، بل تجلّى لها بها ، وبها امتنع منها ، وإليها حاكمها ، ليس بذي كبر امتدت به النهايات فكبرته تجسيماً ، ولا بذي عظم تناهت به الغايات فعظمته تجسيداً ، بل كبر شأناً وعظم سلطاناً)** .

(٣) سورة فصلت ، الآية : ٥٣ .

فأيّ آية في الآفاق غيرنا[١] أراها الله أهل الآفاق وقال : ﴿ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ﴾[٢] فأيّ آية أكبر منّا الحديث . فهم عليهم السلام آية معرفة الله حيث يقول عليه السلام : (**نحن الأعراف الذين لا يُعْرف الله إلّا بسبيل معرفتنا**)[٣] أي بنحو ما بيّنّا من الدّليل عليه ووصفناه بما وصف نفسه لنا ، أو بنحو ما عرفناه كما وصف نفسه لنا ، أو بمعرفتنا لأنّها معرفته أو آية معرفته .

فما ذكره المصنف في الآية من أنّها استشهاد الحكماء والطّبيعيّين والمتكلّمين فإنّما هو من ظاهرها ، وأمّا تأويلها وباطنها فهو طبق ما يُراد من آخرها كما أشرنا إليه .

وقوله : (وإلى هذه الطّريقة) ـ أي طريقة الأنبياء والصّدّيقين عليهم السلام ـ بقوله : ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

---

(١) في نسخة : غيرها .

(٢) سورة الزخرف ، الآية : ٤٨ .

(٣) قال عليه السلام : (**على الأعراف نحن نعرف أنصارنا بسيماهم ، ونحن الأعراف الذي لا يُعرف الله إلّا بسبيل معرفتنا ، ونحن الأعراف نوقف يوم القيامة بين الجنّة والنار ، فلا يدخل الجنّة إلّا مَنْ عَرِفَنا وعرفناه ، ولا يدخل النار إلّا من أنكرنا وأنكرناه ، وذلك بأن الله تبارك وتعالى لو شاء عرّف الناس نفسه حتّى يعرفوا حدّه ، ويأتوه من بابه ولكن جعلنا أبوابه وصراطه وسبيله وبابه الذي يؤتى منه**) الكافي : ١ / ١٨٤ ح ٩ ، والاحتجاج : ١ / ٣٣٨ .

شَهِيدٌ ﴾[١] يشير به إلى ما ذكروه[٢] بعد هذا الكلام ، أعني النظر إلى حقيقة الوجود ، وقد ذكرنا قبل ذلك أنَّ هذه الطَّريقة التي يشير إليها ليس طريقة الرَّبانيين على الحقيقة ، وإنَّما هي طريقة المتلوّنين .

فإنَّك إذا وزنتها بميزان الشَّرع[٣] وجدتها في مقابلة التَّوحيد والإيمان ، وقد ملأنا كتابنا هذا من بيان بطلانها ، وسنذكر شيئاً من نحو ما مضى على جهة الاقتصار تذكرة للذاكرين من أُولي الأبصار .

طريق الربانيين إلى الله تعالى

قال : فالرَّبَّانيُّون ينظرون إلى حقيقة الوجود أوَّلاً ويحقّقونها ، ويعلمون أنَّها أصل كلّ شيء ، وأنَّها واجب الوجود بحسب الحقيقة . وأمَّا الإمكان والحاجة والمعلوليَّة ، فإنَّما تلحق الوجود لا لأجل حقيقته ، بل لأجل نقائصَ وأَعْدام خارجة عن أَصْل حقيقته .

أقول : أراد أن يبيّن طريقة الرَّبَّانيِّين وهم عنده النَّبيُّون

(١) سورة فصلت ، الآية : ٥٣ .

(٢) في نسخة : ذكره .

(٣) في نسخة : الشريف .

والأوصياء عليهم السلام والصّوفيَّة الَّذين قالَ بعضهم : إنَّا جُزْنَا بحراً وقفت الأنبياء على ساحله . يَعْنون : أنَّا عبَرْنا بحراً من الحقائق وتجاوزناه والأنبياء وقفوا على ساحله قصوراً منهم وعجزاً ، وهم أهل الشَّطح والدَّعوى .

والمصنّف بشطحه ادّعى أنَّ هذه الطَّريقة التي أراد تبيينها هي طريقة النَّبيِّين عليهم السلام ، وهي طريقة القول بوحدة الوجود التي أجمع النَّبيُّون والأوصياء عليهم السلام على بطلانها وكفر معتقدها ، فتدبَّر كلامه يظهر لك ما فيه ممَّا ذكرت لك .

قال[1] : (فالرَّبَّانيُّون ينظرون إلى حقيقة الوجود أوّلاً ويحقّقونها) .

أقول له : ما الوجود وما يعني به ؟ هل هنا شيء يسمَّى حقيقته[2] بالوجود غير المعنى المصدريّ المعبّر عنه بالفارسية بـ (هَسْت) ، وهو يقع صفة لكلّ ما لَيْس بمعدوم وتدخل الماهيَّة فيه ، ومن عبَّر به عن المادَّة فهو صحيح ، إذ لَيْس غيرها ، إلّا أنَّ لفظ الوجود لم يوضَعْ لها وإن كنَّا نستعمله كثيراً فيها مجاراةً لهم ولم يوضَعْ لذات غيرها ، وذلك لأنَّ الوجود يفسّره كثير بالكون في الأعيان ، والمصنف وأمثاله يقولون : (هو عندنا ما به

(١) في نسخة : قوله .
(٢) في نسخة : حقيقة .

الكون ، لأنَّ الكون في الأعيان من المعقولات الثَّانية وهي أُمور اعتباريَّة عقليَّة لا وجود لها في الخارج) .

ونحن نقول : إذا لم تكن متحقّقة في الخارج كانت الأشياء الخارجية[1] ليست موجودة ولا كائنة في الأعيان خارجاً ، بل في الأذهان ، وهذا من الوساوس ومخالفة الوجدان .

وقول أَصْحاب المصنف : إنَّه ما به الكون في الأعيان إنَّما يصدق على الهيولى ومقوّماتها كالصُّور ، بل لا مناص لهم عن ذلك إن كان[2] يتكلَّمون بما يعقلون على أنَّها نفس حصولها وكونها وأمَّا ما تعرفه العوام من الكون في الأعيان فهو أثر ذَلك ، وهو أثر إشراقي ، إذا كشفت عن حقيقته لم تجد شيئاً غير الشَّيء وآثاره ، وإذا[3] كشفت عن الشَّيء لم تجد غير مادّته ومقوّماتها إذ لم يخلق الله للشَّيء غير ذلك ، ولهذا قلنا : إنَّ الوجود هو الهيولى والمادَّة في كلّ شيء بحسبه ، الوجود النُّوريّ مادَّة نوريَّة ومقوّماتها من لواحق رتبتها ، والوجود الجوهريّ مادَّة جوهريَّة كذلك ، والعنصري مادَّة عنصريّة كذلك .

وأمَّا وجود الحقّ سبحانه فلا يعرف بشيء من خلقه إلّا بما عرَّف نفسه به ووصفها به من وجود آياته وآثار أفعاله صفة استدلال

(١) في نسخة : الخارجة .
(٢) في نسخة : كانوا .
(٣) في نسخة : فإذا .

عليه لا صفة تكشف له(١) ، وهذا التَّعريف إيجاد أثر إشراقيّ دليله

---

(١) قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته : (وإن قلتَ : مِمَّ هُو ؟ فقد باين الأشياء كلّها فهو هو ، وإن قلتَ : فهو هو ، فالهاء والواو كلامه صفة استدلال عليه لا صفة تكشف له ، وإن قلتَ : له حدّ فالحدّ لغيره ، وإن قلتَ : الهواء نسبه فالهواء من صنعه رجع من الوصف إلى الوصف وعمي القلب عن الفهم والفهم عن الإدراكِ ، والإدراكُ عن الاستنباط ، ودام الملك في الملك ، وانتهى المخلوق إلى مثله وألجأه الطَّلب إلى شكله ، وهجم به الفحصُ إلى العجز ، والبيانُ على الفقدِ ، والجهد على اليأس ، والبلاغ على القطع ، والسبيل مسدود ، والطلب مردود ، دليله آياته ، ووجوده إثباته) .
وهي الخطبة المعروفة بدرّة التوحيد روى بعضها السيد حيدر الآملي في جامع الأسرار ومنبع الأنوار : ٢٣٤، وأولها : (الحمد لله حمد معترف بحمده مغترف من بحار مجده بلسان الثناء شاكر . .) .
وفيها : (السبيل مسدود والطالب مردود دليله آياته ووجوده إثباته ، ومعرفته توحيده ، وتوحيده تنزيهه من خلقه ، بأين لا بمسافة قريب لا بمداناة . له حقيقة الربوبيّة إذ لا مربوب ومعنى الإلهيّة إذ لا مألوه . صفة أنّه ربّ وغيره خلق . له تأويل البينونة لا بينونة له ، ما تصوّرته الأوهام فهو بخلافه . ليس بربّ من أطرح تحت البلاء ، ولا بمعبود من وجد في وعاء هواء وغير هواء . فهو في الأشياء كائن لا كينونة محصور (محظورة ـ م) بها عليه . ومن الأشياء بائن لا بينونة غائب عنها . .) إلى قوله عليه السلام : (فهو الأوّل لا أوّل له . والآخر لا آخر له . والظاهر لا ظاهر له والباطن لا باطن له) .
رواه السبزواري والطباطبائي باختصار : (دليله آياته ، ووجوده إثباته ومعرفته توحيده وتوحيده تمييزه) . انظر شرح الأسماء الحسنى : ١ / ١٦، وتفسير الميزان : ٦ / ١٠٢ .
ورواه ابن شعبة الحراني عن الإمام الحسين عليه السلام بتفاوت واختصار ، انظر تحف العقول : ٢٤٤، وبحار الأنوار : ٤ / ٣٠١ ح ٢٩ .

وآيته ما تعقله العوام من أثر وجودك الذي هو مجموع عوالمك الثَّلاثة ، عقلك ، ونفسك ، وجسدك ومقوّماتها ، والَّذي نعقله[١] من معنى كونها وجوداً لك هو كونك في الأعيان ، لأنَّه هو أثر إشراقي لوجودك الذَّاتيّ ، ولا معنى لأصل هذه التَّسمية إلّا المعنى المصدريّ الذي هو معنى (هَسْت) .

فالوجود هو الموجود إن كنت من أهل الشُّهود ، وحينئذ فالرَّبَّانيُّون ينظرون إلى حقيقة الوجود[٢] وهو ما سوى الحقّ عزَّ وجلَّ لعلمهم[٣] أنَّه تعالى لا سبيل إلى معرفة ذاته إلّا بما عرَّفهم من آياته وآثار صنعه كما ذكرنا هذا مراراً ، فالرَّبَّانيُّون محمَّد وآله وشيعتهم التَّابعين لهم صلَّى الله على محمَّد وآله وعليهم .

لكن إذا رضينا وقلنا : إنَّه موضوع لشيء لا يعرفه إلّا الصّوفيَّة ، فهو كيف يحقق ؟ هل يحقق بثبوته ؟ أم بثبوت المتّصف به ؟ فيكون التَّحقق[٤] للموجود ، سلَّمنا ذلك لكنَّه[٥] متحقّق في القديم والحادث على دعواهم وأمَّا عندنا فما يثبت للحادث بأيّ نوع من الثّبوت لا يصحّ إثباته للقديم ، وما وصف به القديم منه فلم يقع عليه وإنَّما يقع على العنوان .

---

(١) في نسخة : تعقله .

(٢) في نسخة : الموجود .

(٣) في نسخة : لعلهم .

(٤) في نسخة : التحقيق .

(٥) في نسخة : لكونه .

ولكن دَعْ هذا كلّه إذا ثبتت حقيقة الوجود كما ذكره المصنّف قال : (يعلمون أنَّها أصل كلّ شيء وأنَّها واجب الوجود بحسب الحقيقة) يعني المصنف أنَّ هذا الشَّيء حقيقة مشتملة على أفراد متفاوتة بالتَّشكيك في الشدَّة والضّعف وحقيقته الصَّرف الخالص[1] من كلّ ما ينافي ذلك الأصل ، كالضّعف فإنَّه عدم قوَّة ، والفقر عدم غنى ، والجهل فإنَّه عدم علم ، والعجز فإنَّه عدم قدرة وهكذا ، فصرف الوجود لم يلحقه شيء من النقائص لأنَّها أعدام ، وهي بخلاف الوجود والإمكان الذي هو الخاص ، يعني سلب الضَّرورة عن الطَّرفين والحاجة والمعلوليَّة وأمثالها إذا لحقت شيئاً من أفراد الوجود لم تلحقه لذاته ، وإنَّما لحقته لفقدان كمال ، فالخالص من الشوائب المنافية واجب ، والمشوب حادث ، هذا ملخَّص كلامهم .

وقد مثَّل بعضهم بأمثلة كثيرة ضربها لهذا ، منها أنَّ الواجب كالماء ، والوجود الحادث كالثَّلج ، فإنَّه إذا كسر فقبوله للكسر ليس لذات الماء ، وإنَّما لحق الثلجيَّة ، فإذا ذاب الثلج ارتفع حكم الثلج ووقع حكم الماء على حقيقته ، ولا كَسْر فيه أصلاً .

ومنها البحر وأمواجه ، والمداد والحروف النقشيَّة ، والنَّفس والحروف اللَّفظيَّة ، والواحد وسائر الأعداد المتألّفة منه وما أشبه ذلك .

---

(١) في نسخة : الخاص .

ومعنى هذه الأمثال أنَّ الوجودات الحادثة أعراض حالة في الوجود الحق ، كالثَّلج في الماء ، والواحد وسائر الأعداد على وجه أو حصص وأجزاء منه ، كالبحر وأمواجه ، والمداد والحروف النقشيَّة ، والنَّفس والحروف اللفظيَّة ، والواحد في الأعداد على وجه آخر .

وعلى أيِّ حال كان ؛ فهذه الطَّريقة في معرفة المعبود الحقّ تعالى عند الأنبياء والأوصياء عليهم السلام كفر وزندقة ، حاشى رتبة العصمة والتأييد والتَّسديد الإلهيّ من اعتقاد[1] أنَّ الخلق من سنخ الحقّ تعالى ، أو أعراض حالة به ، لا حول ولا قوَّة إلّا بالله العلي العظيم .

بيان حقيقة الوجود المقدس

قال : ثمَّ بالنظر[2] فيما يلزم الوجوب والإمكان والغنى والحاجة يصلون إلى توحيد صفاته ، ومن صفاته إلى كيفية أفعاله وآثاره وقد مرَّ فيما أسلفنا من البرهان ما بزغ به نور الحق من أُفق البيان وطلعت شَمْس الحقيقة من مَطْلع العرفان ، من أنَّ الوجود كما مرَّ حقيقة بسيطة لا جنس لها ، ولا فصل ، ولا حدّ ، ولا معرّف

(١) في نسخة : اعتقاده .
(٢) في نسخة : النظر .

لها ، ولا برهان عليه ، وليس الاختلاف بين آحادها وأعدادها إلّا بالكمال والنَّقص والتَّقدُّم والتأخّر والغنى والفقر أو بأُمور عارضة(١) كما في أفراد ماهيَّة واحدة .

أقول : يريد إذا عرفت حقيقة الوجود أعني صرفه للذي لا أتمّ منه على نحو ما ذكرنا ، وعرفت أنَّه تعالى هو الواجب الحقّ عزَّ وجلَّ كما تفعل الأنبياء عليهم السلام في معرفة الله سبحانه على زعم المصنف انتقلت إلى توحيد صفاته فإنَّهم عليهم السلام على دعواه إذا عرفوا الوجود الصِّرف وأنَّه هو الله سبحانه نظروا فيما يلزم الوجوب من الكمالات والتَّماميَّة في الغنى والعلم والقدرة وما أشبه ذلك من الصِّفات التي هي كمال مطلق لا نقص فيها ، وفيما يلزم الإمكان من النقائص والحاجة في الافتقار والجهل والعجز وما أشبه ذلك من صفات النَّقص والفقدان ، ووحّدوا صفاته ، وأبانوا به ما يليق به تعالى من الصِّفات من صفات الحوادث لما يلحقها من النَّقائص ، فتوصّلوا من توحيد الذَّات إلى توحيد الصفات بواسطة اعتبار الكمالات المطلقة ، فإنَّ مقتضى اتِّصاف الذَّات بالكمالات المطلقة كون صفاتها بائنة من صفات غيرها بالكمال الذي لا يشوبه نقصٌ ، ويصلون من معرفة صفاته إلى معرفة كيفيَّة أفعاله ، لأنَّها ناشئة من صفاته ، ويستدلّون

(١) في نسخة : عارضيَّة .

بأفعاله التي هي ناشئة من الصِّفات الكاملة التي لا نقص فيها على كمال آثاره ومصنوعاته ، كما يدلُّ اعتدال حركة يد الكاتب على حسن كتابته ، بحيث لو رأيت كتابة غير حسنة لم تنسبها إلى الكاتب المعتدل ، حركة اليد كذلك لو رأيت صنعاً ناقصاً نسبته إلى غير صنعه تعالى .

وطريق الاستدلال الذي ذكره هنا على توحيد الصِّفات صحيح ، قال تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾[1] وعلى توحيد الأفعال صحيح ، قال تعالى : ﴿ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾[2] وعلى توحيد الآثار صحيح ، قال تعالى : ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾[3] .

وقوله : (وقد مرّ فيما أَسْلفنا من البرهان ما بزغ به) أي طلع وأشرق (نور الحقّ ، يعنى) به أنَّ الدَّليل البرهاني الذي ذكرناه سابقاً في أوَّل كتابه في تعريف الوجود ، ظهر به نور الحقّ سبحانه ، وهو معرفته في قلوب العارفين بذلك البرهان ، (من أُفق البيان) أي الذي برهنَّا عليه ، (وطلعَتْ شَمْسُ الحقيقة) ـ أي المعرفة الحقيقيَّة ـ عليه ، لأنَّها معرفة الحقّ بالحقّ تعالى ، (من مطلع العرفان) ، يعني البيان البرهانيّ القطعيّ على زعمه ، يقول الشَّاعرُ :

(١) سورة الشورى ، الآية : ١١ .
(٢) سورة فاطر ، الآية : ٤٠ .
(٣) سورة لقمان ، الآية : ١١ .

وَكلٌّ يَدَّعِي وَصْلاً بِلَيلَى وَلَيلَى لا تَقرُّ لَهُمْ بِذاكَا
إِذا انبَجَسَتْ دُمُوعٌ فِي خُدُودٍ تَبَيَّنَ مَنْ بَكَى مِمَّن تَباكَا(١)

وأُريد بالاستشهاد أنَّه يدَّعي أنَّ استدلاله الذي ذكره هو استدلال الأنبياء والأوصياء عليهم السلام ونحنُ نقول : إنَّ استدلالهم قد ذكروه في أحاديثهم وذكره الله تعالى في كتابه ، فأيّ موضوع(٢) من كتابه أو من أحاديثهم ذكر فيه نمط ما ذكر المصنّف من الاستدلال من أنَّ الوجود حقيقة واحدة بسيطة مشتملة على أفراد تمايزت أفرادها لا من ذاتِ تِلكَ الحقيقة ، بل من مميّزات لحقتها من اختلاف مراتب ظهوراتها ، ومن نقائص لحقت بعض أفرادها ، وأصل تلك الحقيقة كما لا نقص فيه وتمام فوق التَّمام ، وهو الوجود الحق تعالى .

وهذا الاستدلال عندهم عليهم السلام كفر وزندقة ، فإنَّ الوجودات الحادثة وجودات معقولة ، ووجود الحقّ عزَّ وجلَّ ليس بمعقول ، وإنَّما نسمِّي ذلك المشار إليه بالوجود ، لأجل التَّفهّم والتَّفهيم ، وليس في ذاته معنى ما نعقل حتَّى نطلق عليه الوجود من باب الاشتراك المعنويّ ، كما ذهب إليه المصنّف ، فإنَّ ذلك مستلزم لما يذهب إليه من القول بالسنخ ، وعند الأنبياء والأوصياء

(١) انظر الانتصار : ٥ / ٢٥٩ .
(٢) في نسخة : موضع .

عليهم السلام أنَّ القول بالسَّنخ أسوأ حالاً من دعوى فرعون الرُّبوبيَّة لأنَّه لعنه الله يدَّعي المشاركة في الفعل والسلطان ، والمصنّف يدَّعي المشاركة في الذَّات ، الله أكبر ، الله أكبر ، جلَّ ربِّي ومعبودي وتعالى عمَّا يقولون علوًّا كبيراً .

وقوله : (إنَّ الوجود حقيقة بسيطة لا جنس لها ولا فَصْل ولا حدّ ، ولا معرّف لها ولا برهان عليه) ، يريد به أنَّ حقيقة الوجود ليست داخلة تحت جنس لتكون نوعاً منه ليمكن البرهان عليه والتَّعريف له بجنسه وفصله ، كما أنَّ الإنسان حقيقة لها جنس وفصل ، فيمكن البرهان عليه والحدّ له ، فنقول : الإنسان حيوان ناطق والوجود ليس كذلك ، لأنَّه ليس شيء لا يكون من الوجود .

فأقول : هذا[1] صحيح بعد تسليم ما أشرنا إليه من أنَّ الوجود ليس ذاتاً ولم يوضع هذا اللَّفظ لذات ، وإنَّما هو اسم صفة فعلى تقدير التَّسليم لهذا ، ولأنَّه لا يدخل تحت جنس ولا فصل ولا حدّ له ولا برهان عليه ، لكن لأيّ شيء يكون له أفراد ؟ لأنَّه إذا كان له أفراد كان جنساً أو نوعاً ، أو كالجنس والنَّوع ، فيكون متعدّداً ، فلا معنى لتخصيصه بالبساطة دون الحيوان والإنسان ، فإنَّ الحيوان حقيقة بسيطة لها أفراد تمايزت بالمنوّعات ، أي الفصول ، وهي المشخّصات النَّوعيَّة ، والإنسان

---

(١) في نسخة : هنا .

له أفراد تمايزت بالمميّزات الشَّخصية ، فأيَّ فرع[١] حقيقة الوجود ، وحقيقة الإنسان ، وحقيقة الحيوان ، فإنَّ حقيقة الإنسان والحيوان بسيطة لاتّحاد حصصها من حيث الحيوانيَّة أو الإنسانيَّة في رتبة كلّ منهما ، وإنَّما تكثَّرت بما لحقتها من المميّزات ، والمميّزات ليست لاحقة لحقيقة الحيوان أو الإنسان ، وإنَّما لحقت الأفراد إذ لو لحقت الحقيقة لم تتميَّز[٢] بها الأفراد بعضها عن بعض ، كذلك حقيقة الوجود فإنَّه يقول : إنَّها حقيقة بسيطة وليس الاختلاف بين آحادها وأعدادها إلّا بالكمال والنَّقص ، والتَّقدُّم والتأخّر ، والغنى والفقر .

كذلك أقول : إنَّ حقيقة الحيوان بسيطة إذ هو الجسم المتحرّك بالإرادة ، وليس الاختلاف بين آحادها وأعدادها إلّا بالكمال كالإنسان والنَّقص كالحيوانات ، والتقدم كالإنسان والتأخر كالحيوانات ، والغنى كالإنسان بالنّسبة إلى غيره من الحيوان ، والفقر كالحيوانات بالنسبة إلى الإنسان ، فالوجود على مقتضى قوله جنس تحته[٣] أفراد متساوية في جهة الكنه والمادَّة ، وإنَّما اختلفت بالمميّزات ، والمميّزات لا فرق فيها بين الأعدام

---

(١) في نسخة أخرى : نوع .
(٢) في نسخة : يتميَّز .
(٣) في نسخة : تحت .

والوجودات ، فإنَّ الأعدام اللّاحقة لأفراد الوجود أعدام ملكات ، فتأمَّل في عباراته هنا وفي أوَّل الكتاب هل تجد منها فرقاً بين تعريف حقيقة الوجود مع ما هو عليه فيها من التّكلّف والتّعسّف ، وبين حقيقة الحيوان أو الإنسان أو الخشب بالنّسبة إلى الباب والسَّرير أو غيرهما ، لا حول ولا قوَّة إلّا بالله العليّ العظيم .

وقوله : (أو بأُمور عارضة كما في أفراد ماهيَّة واحدة) كالمميّزات لأصناف النَّوع وحكمها حكم الأوَّل بلا فرق .

قال : وغاية كمالها هي صرف الوجود الذي لا أتمّ منه ، وهي حقيقة الواجبة[1] البسيطة المقتضية للكمال الأتمّ والجلال الأرفع وعدم التَّناهي في الشدَّة ، إذ كلّ مرتبة دُون تلك المرتبة في الشّدَّة ليست هي صرف الوجود ، بل مع قصور ونقص ، وقصور الوجود ليس من حقيقة الوجود ولا من لوازمه ، لأنَّه عدم ، والعدم سلب أصل الوجود أو سلب كماله ، والأوَّل لا يجامعه ، وهو ظاهر ، فالقُصور لاحق لا لأصل الوجود بل لوقوعه في مرتبة ثانية وما بَعْدها ، فالقُصورات والأعدام إنَّما طرأت للثواني من حَيْث ثانويّتها وتأخّرها .

أقول : غاية كمال تلك الحقيقة هي صرف الوجود ، أي

(١) في نسخة : الواجبية .

خالصه[١] من الشّوائب خلوصاً لا أتمّ منه ، وهذا الفرد الكامل من تلك الحقيقة هو الواجب على زعمه ، وسائر أفرادها غير خالصة من الشّوب ، وهي سائر المفعولات ، فيا سُبحان الله إذا كانت مفعولات له فلِمَ صارت جزئيًّا أو جزءاً من حقيقته ، وجعلُوا له من عباده جزءاً ؟ ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴾[٢] .

وقوله : (إذ كلّ مرتبة دون تلك المرتبة في الشّدّة ليست هي صرف الوجود) فيه أنّا نقول : إذا كانت المراتب كلّها من حقيقة واحدة ، والمراتب الناقصة ليست[٣] نقصُها من حيث هي وجودات ، بل لمراتبها ومحالّها فهي بدون ما لحقها صرف وجود ، فلا نقص في ذاتها بحال ، فلا فرق بينها وبين صرف الوجود الذي ذكر إلّا أن يقول : إنَّ ما يخصّه لذاته من الكمال المطلق الذي لا يتناهى لمَّا لحقه النَّقص للمرتبة[٤] لحقَ الكمال أيضاً ، ويلزم على هذا أن يكون النَّقص لاحقاً لذاته .

وأيضاً إذا[٥] قال كما يأتي أنَّ العدم والافتقار ينشآن من الإفاضة والجعل ، لزمه أن يكون المفاض والمجعُول ليسا من

---

(١) في نسخة : خالصة .

(٢) سورة الزخرف ، الآية : ١٥ .

(٣) في نسخة : ليس .

(٤) في نسخة : في المرتبة .

(٥) في نسخة : إذا .

حقيقة الفيَّاض والجاعل ، وإلَّا كانت ولادة ، فلا يقال : ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾[1] بل هو يلد ويكون الوالد مولوداً ، وكلّ أحد كفوه ، لأنَّه من حقيقته ، والثَّانويَّة والتَّنزّل والإفاضة لا تخرجه عن الكمال الذَّاتيّ .

نعم إذا كان كماله لرتبته كما كانت نقصانها لرتبتها نقصت لنزولها عن رتبتها ، ولو أخرجه التَّنزُّل عن الكمال الذَّاتيّ لزم انقلاب الحقائق ، ويكون الأمر الممتنع لذاته ممكناً بحصول ما يمكن له ، وهو محال ، والشَّيء لا يكون جاعلاً لنفسه ولا لجزء حقيقته ، فإذا كانت مجعولة له لم تكن من حقيقته ، هذا خلف .

وقوله : (وقصور الوجود ليس من حقيقة الوجود ولا من لوازمه لأنَّه ـ أي القصور ـ عدم) أي عدم كمال ، والعدم سلب أصل الوجود أو سلب كماله فلا يجامعه ، يلزم منه أنَّ جميع وجوداتها من حيث هي صرف وجود ، لأنَّ ما لحقها صور لتلك الحصص ، والحصص في نفسها باقية على كمالها ، إذ الصُّور لا تغيّر حقيقة الموادّ .

مثلاً لو صُغت إنساناً من الذَّهب وكلباً من الذَّهب ، فإن تغيّرت الموادّ بالصُّور صحَّ أنَّ القصور يلحق أصل وجود الأشياء

---

(١) سورة الإخلاص ، الآيتان : ٣ ، ٤ .

وإن لم تتغيَّر ، فالذَّهب في الإنسان والكلب على حدّ سواء في الرُّتبة ولم يتغيَّر بتغيّر نقص صورة الكلب عن رتبته كما في الإنسان .

وكذلك قوله : (فالقصور لاحق لا لأصل الوجود بل لوقوعه في مرتبة ثانية وما بعدها) وكذا قوله : (فالقصورات والأعدام إنَّما طرأت للثَّواني من حيث ثانويّتها وتأخّرها) فيلزم من كلامه ما قلنا ، لأنَّ كلّ حصَّة من حصص تلك تامَّة لذاتها تماماً لا أتمّ منه ، والنَّقص اللَّاحق للرُّتبة ليس لاحقاً لها لذاتها ، فكلّ حصَّة تامَّة لذاتها تماماً لا أتمّ منه ، فهي واجبة وحيث يتعذَّر وجود شيء بدون حصَّة منه وجب أن يكون كلّ شيء واجباً لذاته وممكناً من حيث رتبته ولحوق النقائص بها[1] ، وهذا من عجائب الأُمور[2] .

قال : فالأوَّل على كماله الأتمّ الذي لا نهاية له ، والعدم والافتقار إنَّما ينشآن من الإفاضة والجعل ضرورة أنَّ المجعول لا يُساوي الجاعل والفيض لا يساوي الفيَّاض في رتبة الوجود ، فهويَّات الثَّواني متعلّقة على ترتّبها بالأوَّل ، فتنجبر قصوراتها بتمامه ، وافتقاراتها بغناه ، وكلّ ما هو أكثر تأخّراً عنه فهو أكثر قصوراً وعدماً .

(١) في نسخة : لها .

(٢) في نسخة : الأمر .

أقول : يعني بالأوَّل ؛ أوَّل مراتب الوجود ، أي صرف الوجود ، فإنَّه لمَّا كان في أوَّليته بقي على كماله الذَّاتيّ لم يلحق رتبته نقصٌ ، لأنَّ النقائص أعدام ، والأعدام لا تسبق الوجود ولا تساوقه في أوَّليّته ، لأنها إنَّما نشأت من الإفاضة والجَعْل ، لأنَّهما أحداث كون والكون المحدث يلزم حقيقته النقص والافتقار .

أمَّا أنَّ النقص والافتقار لا يلزمان حقيقة المُحْدَث ـ بفتح الدَّال ـ فشيء لا تعرفه العقول ، والمصنف جعل الأشياء في نفس وجوداتها تامَّة كاملة ، وإنَّما تلحقها النَّقائص لرُتَبِها وجعلها لا لأصل حقيقتها ، فلا يلزم على قوله حقائقها نقص ، بل هي باقية على صرف حكم الأصل ، فلا يكون[1] وجوداتها حادثة .

وما تقدَّم من كلامه من اتّحاد العاقل بالمعقول والجاعل بالمجعُول ظاهر بعدم حدوثها ، إذ لو كانت المعقولات حادثة ما صحَّ اتّحادُها بعاقلها ، إذ لا يتّحد الحادث بالقديم إلّا إذا جعل الحدوث المنسوب إليها لاحقاً بعوارضها .

وأمَّا هي فقديمة سلَّمنا ذلك ، لكن كيف يَعْرض النَّقص والتَّغيير لشيء يتّحد بالقديم ، وقد قدَّمنا على قوله : (إنَّ هذا الاتّحاد إنَّما يكون في المعقولات ، وأمَّا ما سواها من الحوادث فلا) بأنَّ العلَّة في الاتّحاد والمعقوليَّة وما سوى المَعْقول ليس

(١) في نسخة : تكون .

بمعقول ، فإن كان كلّ شيء معقولاً فتخصيصه غير صحيح وإن لم يكن كلّ شيء معقولاً لزم الجهل .

وقوله : (ضرورة أنَّ المجعول لا يُساوي الجاعل ، والفَيْض لا يُساوي الفيَّاض) فيه أنَّه إذا حكم باتّحادهما أبداً لا في حال دون حال لوجود علّة الاتّحاد وهي العاقليَّة والمعقولية وجب التَّساوي بينهما حال الاتّحاد الذي لا ينفكّ عنه أبداً وإلَّا كان الشَّيء الواحد المتّحد ضعيفاً قويًّا كاملاً ناقصاً ، قديماً حادثاً ، صانعاً مصنوعاً ، هذا خلف .

وقوله : (فهويَّات الثَّواني متعلّقة على ترتّبها بالأوّل فتنجبر قصوراتها بتمامه) إلى آخره ، فيه أنَّه قال : إنَّه لَيْس فيها قصُورٌ لذواتها[1] وإنَّما النقائص لاحقة للرُّتب ، فهذا المنجبر بتمام الحقّ الذي لا أتمّ منه ما هو ؟ هل هو حقائق تلك الوجودات أم رُتَبِها ؟ فإن كانت حقائق الوجودات كانَ النَّقصُ في ذواتها قبل الانجبار وقد قال : (فالقصور لا لأصل الوجود بل لوقوعه في رتبة ثانية) وهذا يدلُّ[2] على أنَّ لا نقص في ذاتها فلا تحتاج[3] إلى الانجبار ، على أنَّها بعد الانجبار لا نقص .

---

(١) في نسخة : لذاتها .
(٢) في نسخة : تدلُّ .
(٣) في نسخة : فلا يحتاج .

ثمَّ نقول : هذا الانجبار هو طارىءٌ عليها بعد نزولها ناقصة في رتبتها أم مساوقٌ فتنزل في رتبتها تامَّة ؟ إلّا أنَّ هذا التَّتميم مشعر بالنَّقص الذَّاتي وإن كانت المنجبرة رُتَبِها كانت الثّانويَّة بحكم صرف الوجود ، لأنَّها في أنفسها مثل الأول ، ونقص رُتَبِها منجبر بالأوَّل كما احتمل في اتّحاد العاقل بالمعقول لدفع ما قلنا من لزوم كون الشيء قديماً حادثاً[1] إلخ ، أنَّه بالاتّحاد انجبر بكمال العاقل حتَّى ساواه فلهذا جاز الاتّحاد بل وجب وفيه مع كونه خرافات لزوم انقلاب الحقائق .

وقوله : (كلّ ما هو أكثر تأخّراً فهو أكثر قصوراً وعدماً) هذا كلام صحيح في نفس التَّرتيب إلّا أنَّه مع ملاحظة الانجبار تكون كلّها منجبرة إذ لَيْس عند الأوَّل قربٌ أو بُعدٌ وإن اختلفت[2] في أنفسها ، لكن مع فرض الاتّحاد بين العاقل والمعقول تتساوى في ذواتها مع ذاته أو يكون ـ أعني الأوَّل ـ مختلفاً ، فافهم .

في بيان الصادر الأول

قال : فأوَّل الصَّوادر عنه تعالى يجبُ أن يكون أجلَّ الموجودات بعده ، وهو الوجود الإبداعيّ الذي لا إمكان له إلّا ما صار محتجباً

---

(١) في نسخة : أو حديثاً .

(٢) في نسخة : اختلف .

بالوجوب الأوَّل ، وهو عالم الأمر الإلهيّ ، ولا يسع فيه إلّا الأرواح القادسة على تفاوتها في القرب من الذَّات الأحديَّة ، لأنَّها بمنزلة الأضواء الإلهيَّة ، والعبارة عن جملتها روح القدس ، لأنَّها كشَخْص واحد ، وهي ليست من العالم ولا داخلة تحت قول : (كن) ، لأنَّها نفس الأمر والعقل[١] وبعدها مرتبة النُّفوس على درجاتها ، ثمَّ الطَّبائع والصُّور على مراتبها ، ثمَّ بسائط الأجسام واحداً بعد واحد ، إلى المادَّة الأخيرة التي شأنها القبول والاستعداد ، وهي النِّهاية في الخسّة والظّلمة .

أقول : قوله (أوَّل الصَّوادر عنه تعالى) ، هذا الكلام من حَيْثُ إنَّ أوَّل صادر أشرف صحيح ، إلّا أنَّ قوله : (عنه تعالى) يظهر من كلامه بَعْدُ أنَّ هذا الصّدور ليس بخلق ولا بعنوان الخلق ، بل هذا الصَّادر من ذاته بغير صنع ، وهذا هو الولادة ، تعالى ربِّي أن يخرج منه شيء ، أو يدخله شيء ، أو يصدر عنه شيء لَيْس بصنع ، أو يَصْدر عنه صنع ليس بفعل منه ، إذ كلّ هذه أُمور باطلة ، إذ لو خرج منه شيء كان والداً ، ولو دخله شيء لم يكن صمداً ، ولو صدر عنه شيء لا يصنع[٢] لم يكن

(١) في نسخة : العقول .

(٢) في نسخة : بصنع .

صانعاً له ، ولا كان مختاراً ولكان معه شريك في ملكه وفي خلقه ، ولو صنع بغير فعل لكانت ذاته فعلاً وكان مربوباً لربّ فاعل ، تعالى ربِّي .

قوله : (وهو الوجود الإبداعيّ) هذا الوجود هو الوجود المطلق ، لأنَّ الوجود في العبارة عندنا : وجود حقّ وهو الله عزَّ وجلَّ وهو الواجب الوجود ، ووجود مطلق ، وهو مشيئته وإرادته واختراعه وإبداعه .

وقال الرِّضا عليه السلام : (**المشيئة والإرادة والإبداع أسماؤها ثلاثة ومعناها واحد**)(١) .

والمراد من الكلّ فعل الله تعالى ، فإن تعلق بإيجاد الكون سُمّي مشيئة وبمعناها خلق وإن تعلق بالعين المسمَّاة في عالم الأجسام بالصّورة النَّوعيَّة قيل : أراد وبرأ ، وإن تعلَّق بالحدود والهندسة وضبط الآجال والأرزاق قيل : قدَّر وصوَّر ، وإن تعلَّق بالإتمام قيل : قضى ، وإن تعلَّق بإخراجه مشروحاً مبيّن العلل

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام : ١ / ١٥٤ ، وتحف العقول : ٤٢٤، وتوحيد الصدوق : ٤٣٦ وفيه : (**اعلم أن الإبداع والمشيئة والإرادة معناها واحد وأسماؤها ثلاثة**) .
وفي حديث آخر عن الإمام الرضا عليه السلام : (**فالخلق الأول من الله الابداع لا وزن له ولا حركة ولا سمع ولا لون ولا حسن**) توحيد الصدوق : ٤٣٦ باب ذكر مجلس الرضا .

والأسباب قيل : أمضى ، وإن لوحظ أنَّ متعلقه[١] لا من شيء قيل : اخترع ، وإن لوحظ أنَّه لا لشيء قيل : ابتدع .

والفعل في الكلّ واحد ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾[٢] ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾[٣] ، وإنَّما تكثَّرت أسماؤه بسبب اختلاف متعلّقه ، والفعل بجميع أنواعه مخلوق بنفسه ، لأنَّه مخلوق ، وكلّ مخلوق فإنَّما يخلق بحركة إيجاديَّة ، ولمَّا كان هو حركة إيجاديَّة خلقه الله تعالى بنفسه ، وكانت المشيئة التي خلقها الله بنفسها .

بيان خلق المشيئة

ثمَّ خلق الخلق بالمشيئة وهي الفعل على قسمين : إمكانيَّة وكونيّة ، فالإمكانيّة خلقها بنفسها وخلق الإمكان لكلّ شيء بها ، فهي المشيئة ، ومحلّها ـ أي مكانها ـ الإمكان وكلّ الممكن وهو العمق الأكبر ، ووقتها السَّرمد ، وهذا المكان مكان لجميع أنواع الفعل وإن كان مفعوله من الأجسام ووقته السَّرمد وإن كان مفعوله في الدَّهر و[٤] الزَّمان ، والمشيئة الكونيَّة هي ما يتعلَّق بالأكوان ،

(١) في نسخة : أنَّه متعلّقة .
(٢) سورة القمر ، الآية : ٥٠ .
(٣) سورة لقمان ، الآية : ٢٨ .
(٤) في نسخة : أو .

وهي المعبّر عنها بـ (كن) ، يشار بـ (الكاف) إلى الكون لأنَّه ينشأ عنها وبـ (النّون) إلى العين التي هي الماهيَّة ، ونريد بالكون الحصَّة الماديّة النَّوعيَّة ، ونريد بالعين الحصَّة الصُّوريَّة النّوعيَّة .

وهذه المشيئة الرُّتبة الثَّانية من المشيئة ، وهي عين الأُولى إلّا أنَّ الأُولى حدث بها الإمكان بجميع مراتبه الكلّيَّة والجزئيَّة والإضافيَّة ، لأنَّ الجزئيّ هناك يصلح لكلّ شيء .

وبالثَّانية حدثت الأكوان من نور الأنوار ، أعني أمر الله المفعولي ، وهو الحقيقة المحمَّديَّة صلى الله عليه وآله إلى أسفل السَّافلين ، فأوَّل صادر هو المشيئة خلقها سبحانه بنفسها وأمكن الإمكان بها ، فسُمّيت بالمشيئة الإمكانية ، وهي العلم الذي لا يحيطون بشيء منه ، ثمَّ كوَّن بها ما شاء ، فسمّيت بالمشيئة الكونيَّة ، وهي العلم المُشاءُ الذي يحيطون به .

وأوَّل ما شاء بالمشيئة الكونيَّة الحقيقة المحمَّديَّة صلى الله عليه وآله ، ثمَّ خلق بها قابليّتها ، أعني الزَّيت الذي ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌۚ ﴾(١) ، ثمَّ خلق من ذلك النُّور وتلك القابليَّة العقل الكلّي ثمَّ الرُّوح الكليَّة ، ثمَّ النَّفس الكليَّة ، ثمَّ الطَّبيعة الكليَّة ، ثمَّ جوهر الهباء ، ثمَّ المثال ، ثمَّ الأجسام .

وقوله : (ولا إمكان له) غلط ، بل لا وجوب له . نعم هو

---

(١) سورة النور ، الآية ، ٣٥ .

الوجود المطلق وهو الإمكان الرَّاجح الوجود ، فهذا الرّجحان له ولمكانه ولوقته ووجود مقيَّد ، وهو الجائز الوجود ، وهو المفعولات[(١)] المقيدة أوّلها الدّرَّة ـ أي العقل ـ وآخرها الذَّرَّة ـ أي[(٢)] الثرى وما تحت الثَّرى ـ فكلّها جائزة الوجود وإن اختلفت في الشدَّة والضّعف والتقدُّم والتأخّر اختلافاً لا يكاد يتناهى .

وقوله : (إلّا ما كان[(٣)] محتجباً بالوجوب الأوّل) ليس بشيء ، لأنَّه[(٤)] إذا عنى روح القدس فمراتبه العقل الكلّي ، وهو مسبوق بالدَّواة ، فإنَّه هو القلم ، وهو أخذ من شجرة الخلد ، وهي لا شكَّ في وجودها قبل كونه ، لأنَّه هو المصباح المشار إليه في آية النُّور ، وقال تعالى في حقّ المصباح أنَّه : ﴿ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ﴾[(٥)] فالدّهن ومسّ النَّار قبل المصباح ، فحرارة النَّار هي آية فعل الله ، والدّهن هو الأرض الجرز وأرض القابليّات والاستضاءة المشرقة على الدُّخان المتعلّقة به هو نور الأنوار و[(٦)]الحقيقة المحمَّديَّة صلى الله عليه وآله ، فاستنارة المصباح

(١) في نسخة : المعقولات .
(٢) في نسخة : أعني .
(٣) في نسخة : صار .
(٤) في نسخة : فإنَّه .
(٥) سورة النور ، الآية : ٣٥ .
(٦) في نسخة : بل .

بإنارة تلك الحقيقة ، والدُّخان هو المستمدّ من الدهن بعد تكليس حرارة النَّار له هو المستضيء والمستنير .

وقد ذكر الإمام أبو محمد العسكري عليه السلام في تاريخه من الدّرة الباهرة في شأن روح القدس ـ أي العقل الكلّي ـ من أنَّه أوَّل من وُجِدَ من زَرعِنا قال عليه السلام : (**وروح القدس في جنان الصاقورة ذاق من حدائقنا الباكورة**)(١) والصَّاقورة هنا : العرش الذي هو سقف الجنان ، والباكورة : أوَّل الثَّمرة ، يعني أنَّ روح القدس أوَّل من أكل من أوَّل ثمرة الوجود من حدائقنا ، لأنَّ حقيقتهم صلَّى الله عليهم هي أوَّل ما كوَّن الله سبحانه بفعله التَّكويني ، وهي الحقيقة المحمَّديَّة صلَّى الله عليه وآله الطَّاهرين ، وهي نور الأنوار ومادَّة الموادّ ، وهي أمر الله المفعوليّ الذي كلّ شيء قام به قيام تحقّق وركن ، بمعنى أن كلّ شيء خلقه الله سبحانه فقد قبض مادّته من شعاع أنوارهم إن كان من أتباعهم ، من نبيّ مرسل ، وملك مقرَّب ، ومؤمن صالح ، وأتباعهم إلى التُّراب الطَّيِّب والماء العذب .

وإن كان من أعدائهم فمن عكس أنوارهم من إبليس إلى التُّراب السبخة والماء الأُجاج .

---

(١) بحار الأنوار : ٢٦ / ٢٦٤ ح ٥٠ ، وقرة العيون للفيض الكاشاني : ٤٤٧ ، والمراقبات : ٢٤٥ .

والمادَّة هي التي يقوم بها الشَّيء قيام تحقّق ، وقياماً ركنياً وقبض صورته من هيئة أعمالهم الطَّيِّب[١] ومن عكسها للخبيث . ثمَّ خلق منها العقل كما ذكرنا .

ثمَّ خلق من العقل الرُّوح ، كما خلق المضغة من النُّطفة ، والعقل على مقرّه باق .

ثمَّ خلق منها النَّفس الكلية المسمَّاة باللَّوح المحفوظ وبالروح الذي على ملائكة الحجب ، أعني الكروبيِّين .

ثمَّ خلق من النَّفس[٢] الطبيعة الكلية . ثمَّ خلق جوهر الهباء وهو حصص موادّ الموجودات مميّزة غير مقدّرة .

ثمَّ خلق عالم المثال وهو البدن المقداري الظّليّ الذي لا مادَّة فيه ، فهو كالصّورة في المرآة ، بل هي منه وفي عالمه على نحو ما ذكرنا قبل ، وهو يريد أنَّ روح القدس ليس لها أوَّل ، فلا يكون لها إمكان ، لأنَّها قبل الإمكان إلّا أنَّها مسبوقة بالواجب تعالى ، فنقول عليه إذا كان مسبوقاً بالواجب لم يكن واجباً ، لأنَّ الواجب هو الذي لم يسبق بالغير ، فإذا سبقه غيره كان ممكناً ، وكلّ ممكن فهو داخل تحت (كن) صادر عنها .

وإنَّما دعاه إلى هذا الكلام جعله روح القدس هي الإرادة

---

(١) في نسخة : للطَّيِّب .

(٢) في نسخة : نفس .

والإرادة عنده قديمة كما هو مذهب أئمّته ، وأمّا أئمّتنا عليهم السلام فعندهم أنّها حادثة وليس لله تعالى إرادة قديمة ، وهذا بإجماعهم عليهم السلام لا يختلفون فيه ولكن على كلٍّ تقدير إذا جعلها قديمة كيف تكون محجوبة بالوجوب ؟ إذ[١] كلّ محجوب بالوجوب فهو حادث ممكن .

بيان معنى عالم الأمر

وقوله : (وهو عالم الأمر الإلهيّ) فيه أيضاً أنّه أراد حصر الأمر الإلهيّ في روح القدس وعالم الأمر يطلق على شيئين :

أحدهما : عالم الفعل بجميع أنواعه وبه قامت السّماوات والأرض وما فيهنّ قيام صدور لأنّها آثاره .

وثانيهما : الحقيقة المحمّديّة ، وهي أوّل صادر من الفعل ، وهي مادّة الموادّ ، إذ كلّ مخلوق سواها فمادّته من شعاعها ، وصورته من هيئة فعلها إن كان طيباً أو[٢] تابعاً للطّيّب وإن كان خبيثاً أو تابعاً له فمن عكس ما للطّيّب .

قال الصادق عليه السلام : (**كلّ شيء سواك قام بأمرك**)[٣] انتهى .

والمراد بالقيام هنا قيام تحقق قياماً ركنيًّا .

---

(١) في نسخة : إن .
(٢) في نسخة : كان .
(٣) مصباح المتهجد : ٤٣١، والبحار : ٨٧ / ١٤٨ .

بيان روح القدس

وأمّا روح القدس فكما ذكرنا يطلق على ملكين هما ركنان للعرش من جهة اليمين ، أحدهما أعلى وهو النُّور الأبيض ، وثانيهما أسفل وهو النُّور الأصفر ، وقد يطلق من دونهما على جبرائيل كما قال تعالى : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾[(١)] وجبرائيل ليس مراداً هنا ، بقي الأوّلان ، وقد يطلق عليهما أنّهما من عالم الأمر ، يعني به من الأمر المفعوليّ الذي قامت به الأشياء قياماً ركنيًا ، أعني الحقيقة المحمَّديَّة ، لأنَّ هذين منهما كاليدين ، ولا يطلق روح القدس على عالم الأمر الفعلي في الشَّرع . نعم يحتمل أن يكون اصطلاحاً ، فإن سمّي فعل الله تعالى روح القدس اصطلاحاً ، فهو وإن كان مخالفاً لما ورد في الشَّرع إلّا أنَّه لا مشاحَّة في الاصطلاح ، لكنَّ العقلاء أجْمعُوا على أنَّ الفعل بجميع أنواعه حادث لا يختلفون فيه ، فإذا جعله هو المشيئة والإرادة وهما قديمتان عنده وعند الأكثر ، فهنا بحثان :

الأوّل : إنَّ الذي ينبغي لمثله مع ما يدَّعيه من المَعْرفة ومن التَّشيُّع ، لأنَّه[(٢)] يركن إلى قول كلِّ ناعق ، لا سيَّما في مخالفته[(٣)]

---

(١) سورة النحل ، الآية : ١٠٢ .

(٢) في نسخة : أنَّه لا .

(٣) في نسخة : مخالفة .

إجماع أهل البيت عليهم السلام على أنَّ المشيئة والإرادة حادثان ، وأنَّه لَيْس لله تعالى مشيئة أو إرادة قديمة ، وأنَّ من قال بذلك ليس بموحّد ، ومن ذلك ما رواه الصّدوق(١) في التَّوحيد عن الرِّضا عليه السلام أنَّه قال : (**المشيئة والإرادة من صفات الأفعال ، فمن زعم أنَّ الله لم يزل شائياً مريداً فليس بموحّد**)(٢) انتهى .

فإن كان لا بدَّ له من التَّقليد والمتابعة فليقلّد من لا يَسهو ولا يغفل ولا يجهل ، وهو مسدّد من الله سبحانه مأمور باتّباعه لا يسع جميع الخلق مخالفته ، وإن لم يقلد وإنَّما أدَّاه عقله إلى ذلك فلا يصحّ هذا ، لأنَّ العقل إذا لم يلاحظ المتابعة للغير ولا الرُّجوع إلى قاعدة ولا إلى ما أنست به النَّفس لا يؤدِّي إلى مثل هذا ، وهو أن يكون شيء غير الله ليس بمخلوق لله ، أو يكون محجوباً بالوجوب وليس بمصنوع ، أو متأخّراً عن الذَّات وليس بحادث ، أو يكون مع الذَّات أو في الذَّات مغاير للذَّات ولو بالاعتبار ، فهذه وأمثالها لا يؤدِّي العقل إليها إلّا بسبب من نحو ما قلنا .

---

(١) هو الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه المشتهر بالصدوق .
ولد بدعاء الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه بقم المقدسة بعد سنة ٣٠٥ هـ .
توفي بالري سنة ٣٨١ هـ ودفن فيها قرب السيد عبد العظيم الحسني .

(٢) التوحيد : ٣٣٨ ح ٥ باب المشيئة والإرادة ، ومستدرك الوسائل : ١٨ / ١٨٢ ح ٢٢٤٤٩، ونور البراهين : ٢ / ٢٤٣ ح ٥، ومختصر البصائر : ١٤٣ .

الثاني : إنَّ المعروف عند علماء أهل البيت عليهم السلام ورواتهم وعلماء شيعتهم ، بل عند جميع المسلمين أنَّ روح القدس ملك وإن اختلفوا في تعيينه ، فإذا جعله غير مخلوق كان إلهاً وشريكاً ، فلا يحسن منه أن يقول : لا إله إلّا الله وحده لا شريك له ، لأنَّه يكون كذباً في حقّ من يثبت ملكاً قديماً غير الله تعالى .

وقوله : (ولا يسع فيه إلّا الأرواح القادسة) فإنَّ روح القدس عنده اسم نوع وأفرادها متفاوتة في القرب والبعد من الذَّات الأحديَّة ، لأنَّها عنده بمنزلة الأضواء الإلهيَّة ، أي بمنزلة الأشعَّة من السِّراج ، والأضواء تطلق على المنيرات ، والأنوار على الأشعَّة كما قال تعالى : ﴿ جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا ﴾[1] فإطلاقه[2] الأضواء على الأرواح القادسة إن تجوّز فيه فحسن ، وإلَّا فهو تنصيص على قيامها بذواتها واستغنائها ، وهو ما يقتضيه كونها غير مخلوقة على زعمه .

وقوله : (بمنزلة الأضواء الإلهيَّة) يشعر بمغايرتها للأنوار الإلهيَّة ، لكن قوله : (على تفاوتها في القرب من الذَّات) يحتمل أن يريد بالضمير المتّصل في تفاوتها ضمير الأرواح القادسة ،

---

(١) سورة يونس ، الآية : ٥ .

(٢) في نسخة : فإطلاق .

فيشعر باستمداد الأرواح القادسة من الذَّات الأحدية ، فيقع التَّنافي في بعض كلامه لبعض ، يظهر لمن تتبَّع كلامه .

والظاهر ، بل الصريح من عبارته ذلك ، وهو لا يستنكف عن ذلك ، إذ لو جعلها من جملة الأنوار الإلهيَّة لم يقل بمنزلة الأضواء الإلهيَّة ثمَّ ما يريد بالأضواء الإلهيَّة هل أشياء مخلوقة أم لا ؟ بل هي أظلّة الذَّات كما يذهب إليه المشبّهون ، ظاهر كلماته الثَّاني .

وقوله : (والعبارة عن جملتها روح القدس) يريد به كما قلنا من اسم النَّوع ، وقد ذكرنا أنَّ هذا الاسم يستعمل في اثنين وفي جبرائيل عليه السلام .

وقوله : (وهي ليست من العالم ولا داخلة تحت قول : (كن)) يريد به أنَّها ليست من العالم الذي هو ما سوى الله تعالى ، وهو كما ترى ولو أُريد به أنَّها أي عالم الأمر على إرادته أنَّ روح القدس هي عالم الأمر الذي يعبّر عنه بـ (كن) ليست من العالم الذي هو المكوّنات[1] لم يكن في نفيه بأس .

وأمَّا أنَّها من عالم الأمر وأنَّها لا تدخل تحت (كن) فغلط فاحش ، فإنَّ عالم الأمر غير الأرواح القادسة ، لأنَّ هذه مخلوقة بـ (كُنْ) داخلة تحتها وإلّا كانت قديمة وأمَّا أنَّها هي عالم (كن)

---

(١) في نسخة : المكنونات .

فغير مسلّم ، ولو سلّم فالذي دلَّ الدَّليل العقلي القاطع والنَّقل[١] الصَّريح الساطع أنَّها خلقت بنفسها .

ومثاله ما قاله الفقهاء : إنَّ الباعث على الصلاة هي النية ، والباعث على النِّيَّة نفسها لا يختلفون في ذلك ، قالوا : وإلَّا لزم الدَّور أو التَّسلسل .

وقوله : (لأنَّها نفس الأمر والقول) يعني (كن) وقع من غير علم بالأمر وبـ (كن) ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾[٢] .

وقوله : (وبعدها مرتبة النُّفوس على درجاتها . ثمَّ الطَّبائع والصُّور على مراتبها ، ثمَّ بسائط الأجسام واحداً بَعْد واحد) يدلُّ على أنَّ ما ذكر كلّها متناسقة من الأرواح القادسة إلى بسائط الأجسام ، ولا يكون التَّناسق بين الأشياء إلّا إذا كانت في صقع واحد كما هو مقرَّر في الحكمة ، ويلزم من التَّناسق أنَّ الأرواح القادسة داخلة تحت (كن) كالَّتي بعدَها أو ما بعدها ممَّا ذكر غير داخل تحت (كن) .

وقوله : (إلى المادَّة الأخيرة) يعني به المادَّة العنصريَّة التي شأنها القبول المادّيّ والاستعداد النَّباتي الذي هو منشأ النّموِّ

(١) في نسخة : النَّقلي .
(٢) سورة الأنعام ، الآية : ١١٦ .

والزِّيادة والذُّبول والنّقصان ، وهي النِّهاية في الخسّة والبعد عن النُّور ، وفي النِّهاية[١] الظّلمة الحسِّيَّة وهذا ظاهر .

في كيفية ترقي الوجود

قال : ثمَّ يترقّى الوجود منها بالتَّلطيف والتَّكميل راجعاً إلى ما نزل منه ، عائداً إلى ما بُدِىء منه بتهييج الموادّ ، وتحريك الأجساد وإحداث الحرارة المهيِّجة السَّماويَّة في الاستقصَّات من تداوير النيرات[٢] الموجبة لنشوء النَّبات بعد الجماد ، وسياقة المركّبات إلى درجة قبول الحياة ، وتشويق النُّفوس إلى أن تبلغ درجة العقل المستفاد الرَّاجعة إلى الله الجواد .

أقول : أشار بقوله : (ثمَّ يترقّى) إلى عود الأشياء في القوس الصعودي ، (منها) أي من المادَّة الأخيرة العنصريَّة التي هي النِّهاية في الخسّة والظّلمة بالتَّلطيف كما أشرنا سابقاً من انحلال جزأين من الماء في جزء من التُّراب لما بينهما من المشاكلة بواسطة أشعَّة الكواكب ، فجرى في النَّبات والأشجار غذاء حتَّى صار ثمرة ، ثمَّ اغتذي به حتَّى صار كيلوساً[٣] ، ثمَّ كيموساً ، ثمَّ

(١) في نسخة : نهاية .

(٢) في نسخة : المنيرات .

(٣) الكيلوس : هو الطعام إذا انهضم في المعدة قبل أن ينصرف عنها ويصير دماً ، ويسمونه أيضاً الكيموس . انظر لسان العرب ، مادة : كمس .

نطفةً ، ثمَّ علقةً ، ثمَّ مغضةً ، ثمَّ عظاماً ، ثمَّ كسي لحماً ، ثمَّ أنشىء خلقاً آخر ، وأثبت فيه الجوارح ، وهو قوله : (والتَّكميل راجعاً إلى ما نزل منه) هذا الكلام من المصنّف .

أمَّا أنّه على جهة المجاز وأمَّا أنّه غلط ، لأنَّه لا يرجع إلى ما نزل منه وإلَّا لرجع إلى كونه عظاماً ، ثمَّ مضغةً ، ثم علقةً ، ثمَّ نطفةً ، ثمَّ كيموساً ، ثمَّ كيلوساً ، ثمَّ طعاماً ، ثمَّ مادّةً ، ثمَّ عناصر ، فيفنى لرجوعه إلى ما نزل منه وهو الإمكان ﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴾[(١)] أي شيئاً مكوّناً وإن كان شيئاً ممكناً ، بل المراد من رجوعه إلى ما بُدىء منه كما قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه للأعرابيّ في الخبر المذكور سابقاً : (**فإذا فارقت ـ أي النَّفس النَّاطقة القدسيَّة ـ عادت إلى ما منه بدئت عَوْد مجاورة لا عود ممازجة**)[(٢)] انتهى .

ولهذا قلنا : رجعت إليه في القوس الصّعوديّ ، وإنَّما يعبّر عن ذلك العَوْد بالرُّجوع إلى ما نزل منه ، لكون كلّ مقام صعد إليه مقابلاً لما هو بمعناه .

قوله : (بتهييج الموادّ) بالقوى النَّباتيَّة المعبّر عنها بالنُّفوس النَّباتيَّة ، فإنَّها تهيّج المادَّة بالنّموّ والزّيادة (وتحريك الأجساد) ،

---

(١) سورة مريم ، الآية : ٦٧ .

(٢) كلمات مكنونة للفيض الكاشاني : ٧٦، وشرح الأسماء الحسنى : ٢ / ٤٦ .

أي تحرّكها النُّفوس النَّباتيَّة حركة جوهريَّة ، (وإحداث الحرارة المهيّجة السَّماويَّة) ، أي النُّفوس الحيوانيَّة الحسِّيَّة الفلكيَّة التي أَصْلها الأفلاك كما تقدَّم ، فإنَّها حرارة غريزيَّة سماويَّة مهيّجة للنُّفوس النَّباتيَّة على الحركة الجوهريَّة المقتضية عن أسبابها للصّعود القوسيّ في الاستقصَّات جمع استقصَّ ، وهو الأصل باعتبار الرُّجوع إليه ، كما أنَّه باعتبار النُّزول منه يسمَّى هيولى .

وفيه ما قلنا من المجاز و[1] الغلط ، فإنَّ الاستقصّ هو الأصل المرجوع إليه رجوع ممازجة ولا مجاورة ، وقد منعناه إلّا أن يحمل على خصوص الموادّ العنصريَّة والنُّفوس النَّباتيَّة ، بل والحيوانيَّة الحسِّيَّة أو المجاز أو الغلط من تداوير النَّيِّرات ، أي الكواكب ، يعني أنَّ الحرارة المهيِّجة للنُّفوس النَّباتيَّة بالحركة الجوهريَّة من تداوير النَّيِّرات ، يعني من دورانها[2] من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق ، فإنَّ الحرارة المهيِّجة من قبسات أشعَّة النَّيِّرات .

وليس المراد بالتَّداوير جمع تدوير وهو الفلك الجزئيّ للكوكب بالمعنى الاصطلاحيّ ، إلّا أن يقال : إنَّه علَّة من علل ذلك الدَّوران الموجبة ، أي تلك الحرارة والتَّسخين الحادث من

---

(١) في نسخة : أو .
(٢) في نسخة : دوراتها .

قبسات تلك الأشعَّة ، فإنَّها مع الرّطوبة يَحصل بهما التَّعفين والانحلال ، انحلال اليبوسة التُّرابيَّة المشاكلة في الرُّطوبة المائيَّة المشاكلة كما أشرنا إليه في الفوائد ، وفي شرحنا على الفوائد .

ويَحْصل بهما نشوء النَّبات بعد الجماد بعد كونه جماداً لا حركة فيه ولا له ، (وسياقة المركّبات) بتعديل طبائعها في النُّفوس النَّباتيَّة ونضج الأبخرة المتخلّصة من صفوها باختلاف أشعَّة الكواكب نضجاً معتدلاً ، حتَّى وصلت بذلك إلى تلطّف مساوٍ للطف أجرام الأفلاك ، وهو المعني بقوله : (إلى درجة قبول الحياة) لأنَّ الحياة التي في الحيوان من نفوس(١) الأفلاك فيما(٢) ساوى أجرامها تعلَّقت به الحياة من تلك النُّفوس الفلكيَّة ، فإذا قبلت الحياة حصل لها الإحساس والشُّعور ، فتشعر بكمال ما فوقها وحسنه وبحاجتها إليه ، أعني الأرواح القادسة والعقول النُّورانيَّة ، (فتشتاق) إلى الإتصال بها والاستمداد منها ، (إلى أن تبلغ) باستعدادها بالأعمال الصَّالحة والآداب الشرعية ، إلى أن تصل (درجة العقل المستفاد) كما ذكرنا الإشارة إلى معناه من أنَّه الدَّرجة الثَّالثة من مراتب العقل العملي(٣) والرابعة العقل بالفعل ، وقيل : الثالثة العقل بالفعل والرَّابعة العقل المستفاد .

---

(١) في نسخة : النفوس .
(٢) في نسخة : فما .
(٣) في نسخة : العلمي .

ولعلَّ هذا هو المراد من كلام المصنّف : (الرَّاجعة إلى الله الجواد) يعني تلك الدَّرجة أو أهلها من العُقُول المستفادة راجعة إلى الله الجواد دائم العطاء والإمداد لأهل الاستمداد .

والمراد بالرُّجوع عندنا هو الرُّجوع إلى رضوانه الذي هو أكبر في درجة الإمكان ودار كرامته وجنانه ، وعند المصنّف الرُّجوع هو الخروج عن درجة الإمكان إلى درجة الوجوب كما أشار إليه فيما سبق من كلامه في قوله في العقول إنَّها باقية ببقائه فضلاً عن إبقائه .

في بيان حكمة المبدع البديع

قال : فانظر إلى حكمة المبدع البديع كيف أبدع الأشياء وأنشأ الأكوان من الأشرف فالأشرف ، فأبدع أولاً أنواراً قدسية وعقولاً فعَّالة تجلَّى لها وألقى فيها مثاله ، فأظهر عنها أفعاله ، واخترع بتوسّطها أجساماً كريمة صافية نيِّرة ذوات نفوس حيوانيَّة دائمة الحركات تقرّباً إلى الله وعبوديَّة له ، وحملها في سفينة ذات ألواح ودُسُر ، جارية في بحر القضاء والقدر ، بسم الله مجراها ومرساها ، وإلى ربّك منتهاها .

أقول : إنَّ الله سبحانه خلق الخلق وكلّ شيء خلقه وأوقفه على باب القضاء ولا يمضيه إلّا مبيّن العلل مشروح الأسباب

ليستدلّ به على علم صانعه وقدرته ، فيعرفه العباد بما عرَّفهم ، فعلّل فقال تعالى في تقدير القمر : ﴿ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴾[١] وقال عزَّ وجلَّ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ ﴾[٢] .

فقوله : (فانظر إلى حكمة المبدع) لأنَّه تعالى جعل كلّ شيء دليلاً ومدلولاً عليه ، ومعنى أبدع الأشياء ، أي خلقها لا لشيء يكون عائداً إليه ، وإنَّما خلقها لينقل حوائجهم إليه من بعض إلى بعض أو خلقها لا من شيء ، بل اخترع موادّها وصوَّرها لا على مثال سبق ، ولا من شيء تقدّم ، وأنشأ أكوانها ـ أي وجوداتها ـ يعني موادّها وابتدأها على النّظم الطَّبيعي الذَّاتي الأشرف أوَّلاً لمناسبته[٣] لأقوى الفيض ، فالأشرف أي فأشرف ما بعده ، أي ما بعد الأشرف الأوَّل .

وقوله : (فأبدع) تفصيل لما أجمله بقوله : (الأشرف فالأشرف أوَّلاً عقولاً قدسيَّة) أي منزَّهة عن رذائل الطَّبائع والموادّ الجسمانيَّة ، وقد تقدَّم في كلامه ما يدلُّ على خروجها من العالم

---

(١) سورة الإسراء ، الآية : ١٢ .
(٢) سورة الحج ، الآية : ٥ .
(٣) في نسخة : لمناسبة .

الذي هو ما سوى الله ، حتَّى إنَّه قال في أوَّل كتابه هذا : (فالعقل وما فوقه كلّ الأشياء يعني أنَّه بسيط الحقيقة) وهنا حكم بأنَّها مبدعات ، وقد اتّفق الحكماء على أنَّ كلّ ممكن زوج تركيبيّ ، أي من مادَّة ، وهي ما من الله تعالى أي من فعله ومن صورة وهي ما منه ، وهي قابليّته وكلّ زوج تركيبي داخل تحت (كن) .

وقوله : (فعَّالة) أي كثيرة الصّنع ، يشير به إلى أنَّها من عالم الأمر أي الذي هو فعل الله تعالى ، وليس كما يقول ، لأنَّ هذا شيء لا يوجد إلّا عند آله[1] عليهم السلام ، وهو استغنى بالعيون الكدرة التي يفرغ بعضها في بعض ، لأنَّ فعل الله هو مشيئته وإرادته كما قال الصادق عليه السلام : (**وأمَّا إرادة الله فإحداثه لا غير ، لأنَّه لا يُرَوِّي ولا يفكّر ولا يهمّ**)[2] انتهى .

إلّا أنَّ الله عزَّ وجلَّ يفعل بفعله ويفعل بمفعوله ، ففعله بفعله ، لا تدخل فيه العقول ، وفعله بمفعوله تدخل فيه العقول ، والنُّفوس ، والطَّبائع ، والموادّ ، والصُّور ، والأجسام .

وكلّ شيء يلقى مثاله في هويّته على حسب قابليّته وإمكانه ، ويفعل به ما يترتَّب عليه ، وهو الفاعل عزَّ وجلَّ في كلّ شيء على كلّ حال ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ

(١) في نسخة : أهله .
(٢) الكافي : ١ / ١١٠ ح ٣، وشرح أصول الكافي : ٣ / ٢٦٧ ح ٣ .

ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾﴾[١] ﴿رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[٢] فالحديدة المحميَّة إذا أحرقت فإنَّما أحرقت النَّار بما ألقت في الحديدة من مثالها ، وهو فعلها وتأثيرها ، ففعل العقل معناه أنَّ الله فعل به ما شاء ، بمعنى أنَّ فعله تعالى أشرق عليه ففعله[٣] بذلك الإشراق كما أنار الجدار بإشراق نور الشَّمس عليه فافهم .

فقوله : (تجلَّى لها وألقى فيها مثاله) يشير إلى كونها فاعلة بالله تعالى أخذه من قول أمير المؤمنين صلوات الله عليه في شأن النُّفوس المقدَّسة كالملائكة قال عليه السلام : (**فألقى في هويّتها مثاله فأظهر عنها أفعاله**)[٤] أي بواسطة تحمّل أفعاله لأنَّها محالّ مشيئته .

قوله : (واخترع بتوسّطها أجساماً كريمة صافية نيِّرة) يريد به

---

(١) سورة الواقعة ، الآيتان : ٦٣ ، ٦٤ .
(٢) سورة الأنفال ، الآية : ١٧ .
(٣) في نسخة : ففعل .
(٤) مناقب آل أبي طالب : ١ / ٣٢٧، ومصباح البلاغة : ٢ / ٢٤٤ ح ١٧٧، والصراط المستقيم للعاملي : ١ / ٢٢٢، وبحار الأنوار للمجلسي : ٤٠ / ١٦٥، وعيون الحكم والمواعظ : ٣٠٤ .
وتمام الحديث : (**صور عارية عن المواد عالية عن القوة والاستعداد تجلّى لها فأشرقت وطالعها فتلألأت وألقى في هويّتها مثاله فأظهر عنها أفعاله ، وخلق الإنسان ذا نفس ناطقة إن زكّاها بالعلم والعمل فقد شابهت أوائل جواهر عللها ، فإذا اعتدل مزاجها وفارقت الأضداد فقد شارك بها السبع الشداد**) .

أنَّه خلق بتوسطها وإلَّا فإنَّ (اخترع) يستعمل في أوَّل إبداع لا من شيء وابتدع لا لشيء ، وإنَّما قدَّم الإبداع لأنَّه ورد أنَّه بمعنى الاختراع ، وجرى على لسانه أوَّلاً ولا عَيْب فيه ، وذكر بعده الاختراع تغييراً للتَّعبير لا ترتيباً ، والمراد بالأجسام الكريمة النَّيِّرة أَجْرام الكواكب وأفلاكها (ذات نفوس حيوانية) ، وهي التي تستمدّ[١] منها أهل الأرض الحياة (دائمة الحركات) ، إذ من شأن النُّفوس الحيوانيَّة التَّحرُّك والتَّحريك (تقرّباً إلى الله تعالى وعبوديَّة)[٢] له ، لأنَّها تخدمه فيما أمرها به من التَّقدير والتَّسخير اللَّذيّنِ هما آلة التَّدبير ، وتتقرَّب إليه بامتثال أوامره ، فتعبده بالتَّحرُّك والتَّحريك وبإشراق أشعَّتها وبقبضها[٣] فاضل رطوبات البحار والعيون والأنهار ، وببسطها[٤] إرخاء عزالي الأمطار ، وتبريدها وتسخينها باللَّيل والنَّهار .

(وحملها ـ أي تلك النُّفوس وتلك الأجرام النَّيِّرة وتلك الحركات ـ في سفينة) محدّد[٥] الجهات ، وتلك البروج والسّماوات (ذات ألواح) من البروج الاثني عشر والمنازل

---

(١) في نسخة : يستمد .
(٢) في نسخة : عبوديته .
(٣) في نسخة : يقبضها .
(٤) في نسخة : يبسطها .
(٥) في نسخة : محددة .

الثَّمانية والعشرين والسّيارة[١] ، (ودسر من أقطابها جارية بحكم التَّسخير والتقدير ، (في بحر القضاء) من المحتوم ، (والقدر) من المرسوم يرجع عودها على بدئها ، وغروبها على طلوعها ، مستمرّة على مقتضى التَّعديل في التَّغيير والتَّبديل ، تنعطف[٢] الإعجاز على الصّدور ، وتدبير الأمر بينها يدور في الرُّوحانيَّات والجسمانيَّات مدى الأزمنة والدهور إلى انتهاء الأُمور ، فنهار يكرّ على ليل ، وليل يكر على نهار ، أفلاك تدور ، وخلق يدور ، وألفاظ تدور ، وحروف تدور ، وأسماء تدور ، ودهور تدور ، وأزمنة تدور ، وأعوام تدور ، وفصُول تدور ، وأشهر تدور ، وأيَّام تدور ، وأعداد تدور ، وحركات تدور ، يدبر[٣] بينها مقتضيات الأُمور ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾[٤] ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[٥] .

قال في هذا المعنى بعضهم :

انظُر إلى العَرشِ عَلَى مَائِهِ سَفِينَةٌ تَجرِي بِأَسمَائِهِ
وَأعجِبُ لَهُ مِن مُركَب دَائِر قَد أُودِعَ الخَلقُ بِأحشَائِهِ

---

(١) في نسخة : السَّايرة .
(٢) في نسخة : تنطف .
(٣) في نسخة : يدير .
(٤) سورة الأعراف ، الآية : ٢٩ .
(٥) سورة الواقعة ، الآية : ٦٢ .

يَسبَحُ فِي لُجٍّ بِلا سَاحِلٍ فِي جَندَلِ الغَيْبِ وَظُلمَائِهِ
وَمُوَجِهُ أَحوَالِ عُشَّاقِهِ وَرِيحَهُ أَنفَاسُ أَبنَائِهِ
فَلَو تَراهُ بِالوَرَى سَائِراً مَن أَلِفَ الخَطَّ إِلى يَائِهِ
وَيَرجِعُ العُودُ عَلَى بِدئِهِ وَلا نَهَايَاتِ لإبدَائِهِ
يُكَوِّرُ الصُّبحَ عَلَى لَيلِهِ وَصُبحُهُ يَفنَى بِإِمْسائِهِ

لا يدري أحد من أين إلى أين إلّا مدبّرها ومحصيها بعلمه وقدرته ، ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[1] .

وقوله : ﴿ وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ﴾[2] يعني به أنَّ سفينة التَّكوين تجري بالأكوان والمكوّنات ، (بسم الله) أعني نور الأنوار والحقيقة المحمَّديَّة صلى الله عليه وآله وهو الاسم الأكبر الأعز الأجلّ الأعظم الأكرم الذي يحبّه الله ويهواه ويرضى به عمَّن دعاه ، وهو أمر الله المفعولي ، وهو صفة الله الفعلية ، أعني الألوهية .

ويحتمل أن يكون المراد به (الألف) القائم الذي يلفظ باسمه في لفظ الجلالة بعد (اللّام) الثّانية ، وهو الاسم الذي أشرقت به السَّماوات والأرضون ، ويحتمل أن يراد به (الألف) المبسوط

---

(١) سورة يس ، الآية : ٨٣ .
(٢) سورة هود ، الآية : ٤١ .

الواقع اسمه بعد ميم الرَّحمن ، وهو الاسم الذي يصلح به الأولون والآخرون .

والمناسب لحكم النُّزول في سفينة نوح عليه السلام الموافق لباطن التأويل ، هو الألف المبسوط الذي اسمه بعد (ميم) الرَّحمن .

ويؤيّد هذا ما رواه ابن أبي جمهور[١] عن النَّبيّ صلى الله عليه وآله أنَّه قال : (**ظهرت الموجودات من باء بسم الله الرَّحمن الرَّحيم**)[٢] والباء هي الألف المَبْسُوطُ ، فمجراها بدؤها ، ومرساها عَوْدها إلى ما منه بدئت أي إلى مقابله كما ذكرنا قبل هذا .

---

(١) الشيخ محمد بن أبي جمهور الأحسائي . كان عالماً فاضلاً راوية ، له كتب منها كتاب غوالي اللآلي ، كتاب الأحاديث الفقهية على مذهب الإمامية ، كتاب معين المعين ، شرح الباب الحادي عشر ، كتاب زاد المسافرين في أصول الدين . وله مناظرات مع المخالفين كمناظرة الهروي وغيرها ، ورسالة في العمل بأخبار أصحابنا وغير ذلك . وقيل اسمه محمد بن علي بن إبراهيم بن أبي جمهور ، وهو الأصح كما في أمل الآمل رقم ٧٤٩، وانظر مجالس المؤمنين .

(٢) في الحديث (**ظهرت الموجودات من باء بسم الله الرحمن الرحيم وهي اللوح**) انظر الأسرار الفاطمية : ٢٣٥، ومشارق أنوار اليقين : ٥٢، وقد رواه المصنف في نهاية شرح الزيارة الجامعة .
رواه البرسي بلفظ : قال علي عليه السلام : (**عن الباء ظهر الوجود ، وبالنقطة تبين العابد عن المعبود**) .

﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَآ ﴾[١] أي تنتهي أُمور جميع الخلائق من الجواهر والأعراض في الغيب والشَّهادة إلى[٢] قدره وقضائه فيهم كما كان بدؤهم وما بينهما كذلك ، وهذا ظاهر .

قال : وجعلها مختلفة في الحركات ونشأت أضواء النَّيِّرات المعدَّة لنشوء الكائنات ، ثمَّ خلق هيولى العناصر من التي هي أخسّ الممكنات ، وهي نهاية تدبير الأمر ، فإنَّه يدبّر الأمر من السَّماء إلى الأرض ، ثمَّ يعرج إليه بتكوين الجماد من تعديل العناصر والأركان ، ثمَّ النَّبات من صفوها ، ثمَّ الإنسان ، وإذا استكمل بالعلم والكمال بلغ إلى درجة العقل الفعَّال فبه[٣] وقف ترتيب الخير والجود واتَّصل بأوَّله آخر دائرة الوجود .

أقول : انتهى كلام المصنّف في هذا الكتاب إلى هنا .

وقوله : (وجعلها مختلفة في الحركات) يعني به أنَّه تعالى جعل الكائنات في رجوعها إليه مختلفة في الحركات الجوهريَّة في الشدَّة والضّعف ، والنُّوريَّة والظّلمة ، وفي الصّعود إليه والقرب منه ، وفي النُّزول عن جواره والبعد منه ، وذلك بمقتضى قوابلهم

(١) سورة النازعات ، الآية : ٤٤ .
(٢) في نسخة : حكم .
(٣) في نسخة : فيه .

لفيضه المتألّفة من الكمّ والكيف ، والجهة والرُّتبة ، والوقت والمكان وما يتمّمها ويكملها من أحكام الوضع والإذن والأجل والكتاب .

والمراد من أضواء النَّيِّرات أشعَّتها على حسب مقاديرها .

والنَّيِّرات هي الكواكب المعدَّة لنشوء الكائنات كما أشرنا إليه سابقاً من أنَّ أركان الموادّ من العناصر إذا تعدَّلت في طبائعها كانت مطارح لقبسات الأشعَّة ، فتقوّي ضعيفها وتزيل الأعراض المنافية عنها ، وتلطّفها ، وتعفّنها ، وتهضّمها ، وتحلّها غذاء معتدلاً موافقاً بنحو ما ذكرنا سابقاً ، حتَّى تنشأ(١) عنها النُّفوس النَّباتيَّة في ثلاثة أدوار : في الأوَّل أدار طبائعها بعضها على بعض ، فتناكحت فتولّدت عناصرها ، ثمَّ أدار العناصر بعضها على بعض ، فتناكحت فتولَّدت معادنها .

ثمَّ أدار العناصر والمعادن بعضها على بعض ، فتناكحت فتولَّدت النُّفوس النَّباتيَّة ذوات الحركات الجوهريَّة .

ثمَّ أدار العناصر والمعادن والنَّباتات بعضها على بعض ، فتناكحت فتولَّدت الحيوانات ، فسارت العناصر والمعادن إلى الله سبحانه في السّلسلة العرضيَّة ، وسارت الحيوانات إلى الله سبحانه

---

(١) في نسخة : تنشو .

في السّلسلة الطّوليّة والنّباتات برزخ بينهما ، فلها سير عرْضيّ - بسكون الراء - إضافي وطوليّ إضافيّ .

وهو قوله : (ثمَّ خلق هيولى العناصر) الهيولى هي أصل أشياء[١] من حيث قبولها الأشكال غير متناهية ، وذلك أنَّه تعالى خلق طبيعة الحرارة من الحركة التّكوينيَّة التي هي علَّة العلل في الأشياء المتحرّكة ، ثمَّ خلق الله سبحانه طبيعة البرودة وأصلها من السّكون الكونيّ الذي هو علَّة العلل في الأشياء السَّاكنة ، فهذان أوَّل زوجين خلقهما الله سبحانه ، وذلك قوله تعالى : ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[٢] .

ثمَّ تحرَّك الحارّ على البارد بسرّ ما أودع الله فيه من الحركة المذكورة فامتزجا ، يعني تناكحا[٣] فتولَّدت[٤] من الحرارة اليبوسة ، وتولّد من البرودة الرّطوبة ، فكانت أربع طبائع منفردات[٥] في جسم واحد جوهريّ روحانيّ ، وهو أوَّل مزاج بسيط أي معتدل متماثل الأجزاء .

ثمَّ صعدت الحرارة بالرّطوبة ، فخلق الله تعالى منهما طبيعة الحياة وأجرامها الأفلاك العلويَّات ، وهبطت البرودة مع اليبوسة

---

(١) في نسخة : الأشياء .
(٢) سورة الذاريات ، الآية : ٤٩ .
(٣) في نسخة : تناكحها .
(٤) في نسخة : فتولّد .
(٥) في نسخة : مفردات .

إلى أسفل ، فخلق الله منهما طبيعة الموت وأجرامها الأفلاك السفليات .

ثمَّ افتقرت الأجسام الموات إلى أرواحها التي صعدت عنها ، فسألت ذا الجود والكرم ردّ أرواحها إليها ، فأدار الله سبحانه وتعالى الفلك الأعلى على الفلك الأسفل دورة ، فامتزجت الحرارة والبرودة(١) والرّطوبة باليبوسة ، فخلق تعالى من الحرارة واليبوسة عنصر النَّار .

ومن مزاج الحرارة مع الرطوبة عنصر الهواء ، ومن مزاج البرودة مع الرّطوبة عنصر الماء ، ومن مزاج البرودة مع اليبوسة عنصر الأرض .

ثمَّ أدار الفلك الأعلى على الأسفل دورة ثانية ، فخلق منها المعادن ، ثمَّ أدار الفلك الأعلى على الأسْفل دورة ثالثة فخلق منها النباتات ، ثمَّ أدار الأعلى على الأسفل دورة رابعة فخلق منها الحيوانات .

وقيل : في الإدارة الأولى كانت الطَّبائع ، وفي الثانية كانت العناصر والمعادن ، وفي الثَّالثة كانت النَّباتات والحيوانات البهيمة(٢) ، وفي الرَّابعة كان الإنسان .

فقوله : (ثمَّ خلق هَيُولى العناصر من التي هي أخّس

---

(١) في نسخة : بالبرودة .

(٢) في نسخة : البهيمية .

الممكنات) يعني الأجْسام ، فإنَّها بالنّسبة إلى الذَّوات النُّوريّة كالعقول والأرواح والقدسيَّة[١] خسيسة .

وقوله : (وهي نهاية تدبير الأمر) يعني من جهة أدبر فأدبر ، فإنَّها أسفل الأكوان ، وهو على حسب الظَّاهر ، وإلَّا ففي الحقيقة النُّفوس السفلية والأرضون المعنوية أخس من هيولى العناصر وأنزل كما قال تعالى : ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾[٢] فإذا[٣] اعتبرت دائرة العقل ودائرة الجهل رأيت هيولى العناصر أسفل دائرة العقل وفوق دائرة الجهل ، لأنَّ الله سبحانه خلق الإنسان وهو أشرف ما خلق ، وجعله بين الدَّائرتين والواقف بين الطّتنجين[٤] .

فهو في الهواء ، وفوقه تسعة عشر بعدد حروف البسملة ، وتحته تسعة عشر بعدد الزَّبانية ، كلّ واحد من الذي هو فوقه مقابل لضدّه ممَّا تحته ، فوقه النَّار وتحته الماء ، وفوقه السَّماوات السَّبع وتحته الأرضون السَّبع ، وفوقه فلك[٥] المنازل وتحته الملك الحامل للأرض ، وفوقه فلك[٦] البروج كتاب الأبرار في

---

(١) في نسخة أخرى : الأرواح والقدسيَّة .
(٢) سورة التين ، الآية : ٥ .
(٣) في نسخة : وإذا .
(٤) في نسخة : الططنجين .
(٥) في نسخة : تلك .
(٦) في نسخة : تلك .

علّيين وتحته كتاب الفجّار في سجّين وهو الصَّخرة ، وفوقه الكرسيّ وتحته الثّور ، وفوقه محدّد الجهات وتحته الحوت ، وفوقه جسم الكلّ وتحته البحر ، وفوقه عالم المثال وتحته الرِّيح العقيم ، وفوقه جوهر الهباء وتحته جهنّم ، وفوقه الطَّبيعة وتحته الطَّمطام المسمَّى بالظلمة ، وفوقه النَّفس الكلّيَّة وتحته الثَّرى ، وفوقه الرُّوح الكلّيَّة وتحته ما تحت الثرى ، وفوقه العقل الكلي وتحته الجهل الكلي ، ففوقه تسعة عشر وتحته تسعة عشر وهو القائم بينهما ، فالأجسام أخس الممكنات العلوية النُّورانيَّة وأشرف من السفلية الظلمانية .

وقوله : (وهي نهاية تدبير الأمر) يعني في قوس النُّزول من دائرة العقل حين قال تعالى : أدبر فأدبر إلى هنا انتهى ، ثمَّ قال له : أقبل فأقبل مبتدئاً بإقباله من المعدن صاعداً إلى النَّبات إلى الحيوانات على تفصيل يطول ذكره .

وقوله : (فإنَّه) تعالى ، (يدبّر الأمر من السَّماء) الظَّاهرة والباطنة ، (إلى الأرض) الظاهرة والباطنة ، (ثمَّ يعرج إليه) يبتدىء في عُروجِهِ من المعادن ، (بتكوين الجماد) على نحو ما ذكره معدناً (من تعديل العناصر والأركان) كما ذكرنا سابقاً من أنَّ تعديل الماء الأوَّل الصَّاعد من رطوبات البحار والعيون والأنهار بأشعَّة الكواكب وحرارتها أربعة أجزاء من الرُّطوبة مع جزء من اليبوسة .

فإذا انحلَّت اليبوسة لقلّتها في الرُّطوبة كان الماء النَّازل من هذه الأجزاء المائيَّة التي انحلَّ فيها جزء اليبوسة إذا وقع على الأرض ، كان مشاكلاً لها لما فيه من جزء اليبوسة ، فلا تنفر منه[1] فينحلّ منه جزآن بجزء من تراب الأرض لما بينهما من المشاكلة والمعادلة ، فتنحل اليبوسة في الرُّطوبة ، وتنعقد الرُّطوبة في اليبوسة ، فيكون منه صفو غذاء هو مادَّة للنّفس النَّامية النَّباتيَّة ، لاعتدال الطَّبائع الأربع فيه بنسبة رتبة النَّبات .

وهو قوله : (ثمَّ النَّبات من صفوها) أي العناصر (ثمَّ الإنسان) كما أشرنا إليه في ذكر النَّامية النَّباتيَّة ، والنَّفس الحيوانيَّة الحسِّيَّة ، والنَّفس النَّاطقة القدسيَّة على ما ذكره عليه السلام في حديث الأعرابي .

وإذا استعمل[2] الإنسان بالعلم والكمال كما قال أمير المؤمنين عليه السلام : (**وخلق الإنسان ذا نفس ناطقة إن زكّاها بالعلم والعمل فقد شابهت جواهر أوائل عللها ، فإذا اعتدل مزاجها وفارقت الأضداد فقد شارك بها السَّبع الشّداد**)[3] انتهى .

يعني إذا[4] زكّاها بالعلم والعمل فقد شابهت العقل الفعَّال ،

---

(١) في نسخة : فيه .
(٢) في نسخة أخرى : استكمل .
(٣) مصباح البلاغة : ٢ / ٢٤٤ ح ١٧٧ .
(٤) في نسخة : إن .

لأنَّه هو أوّل عللها ، فتشابه جوهره في ملازمة طاعة الله والتَّقوى وعدم الغفلة عن ذكره ، وربَّما شابهته في انفعال كثير من الأشياء لها بنسبة رتبتها كما جرى لنفوس الأنبياء عليهم السلام ، فإذا اعتدل مزاجها ظاهراً وباطناً وفارقت الأضداد بحيث ما ترى إلّا الله ، ولم تخف إلّا الله ، ولم ترجُ إلّا الله وهكذا ، يعني لم يجد سواه تعالى في كلِّ حال ، فقد كانت علَّة وجود جميع الأشياء ، وصحَّ هذا في محمَّد وأهل بيته الطَّاهرين صلى الله عليه وآله خاصَّة .

وقوله : (فقد بلغ إلى درجة العقل الفعَّال) وهو مقام قاب قوسين ، لأنَّه نزل من العقل واجتمع معه في عروجه بالاسم البديع الذي هو مربي العقل الفعَّال ، وأمَّا من اعتدل مزاجه على الحقيقة وفارق الأضداد على الحقيقة فقد وصل إلى مقام أوْ أدنى ، يعني كان محلاً لمشيئة الله ، ولساناً لإرادته ، ومترجماً عنه تعالى .

وقوله : (فَبِهِ وقف ترتيب الخير والجود) أي بالعقل الفعَّال . انتهى ترتيب السَّير إلى حضرة ذي الجلال ، وليس الأمر كما قال ، فإنَّ العقل الفعّال سيره إلى ذي الجلال تعالى سير حثيث وينتهي سيره إلى نور الأنوار ، ونور الأنوار يسير إلى الله تعالى في حجاب الرّضوان من عالم الرّجحان من الإمكان بلا نهاية ولا غاية ، فهو أبداً يسير سيراً حثيثاً لا ينقطع السَّير ولا تقصر

المسافة ، مع كثرة ما يترقَّى في درجات القرب كما قال تعالى : ﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ﴾(١) وقال تعالى في حديث الأسْرار : (**كلّما وضعتُ لهم علماً رفعتُ لهم حلماً ، وليس لمحبَّتي غاية ولا نهاية**)(٢) انتهى .

وقال صلى الله عليه وآله : (**اللَّهمَّ زدني فيك تحيراً**)(٣) فقال تعالى له صلى الله عليه وآله : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾(٤) وهذا طلب لا ينقطع أبداً .

وقوله : (واتّصل بأوَّله آخر دائرة الوجود) يريد أنَّه اتّصل بأوَّل العقل الفعَّال آخر دائرة الوجود ، يعني أوله أدبر فأدبر ، وآخره أقبل فأقبل ، فحصل من إدباره للإيجاد وإقباله بالموجودات دائرة هي قاب قوسين وهي مجموع ما في الإمكان إذ ليس قبله

---

(١) سورة غافر ، الآية : ١٥ .

(٢) الجواهر السنية للحر العاملي : ١٩١، وسرّ الأسرار في شرح حديث المعراج : ١ / ١٢ الفصل الثاني .
ونصّ الحدث : (**يا أحمد (وجبت محبتي للمتحابين فيّ) ، ووجبت محبتي للمتقاطعين فيّ ، ووجبت محبتي للمتواصلين فيّ ، ووجبت محبتي للمتوكلين عليّ ، وليس لمحبتي غاية ولا نهاية كلما رفعت لهم علماً وضعت لهم حلماً ، أولئك الذين نظروا إلى المخلوقين بنظري إليهم ولا يرفعون الحوائج إلى الخلق بطونهم خفيفة من أكل الحلال يغنيهم من الدعاء ذكري ومحبتي ورضائي عنهم**) .

(٣) شرح الأسماء الحسنى : ١٩٨ .

(٤) سورة طه ، الآية : ١١٤ .

عند المصنّف إمكان كما مرَّت الإشارة ، ولكن الأمر على خلاف ما قال .

إلى هنا انتهى الكلام منّا ومنه .

واعلم أنَّه ليس بيني وبينه نبوة حتَّى إنّي أتّبع[١] كلماته بالرَّدّ لها ، ولكن هو يتكلَّم على مذاق أهل التّصوّف والحكماء وأنا أتكلَّم على مذاق ساداتي أئمَّة الهدى عليهم صلوات الله ربّ الأرض والسَّماء .

وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام : **(ذهب من ذهب إلى غيرنا إلى عُيُون كدرة يفرغ بعضها في بعض ، وذهب من ذهب إلينا إلى عيون صافية تجري بأمر الله لا نفاد لها)**[٢] انتهى .

---

(١) في نسخة : أتتبع .

(٢) بصائر الدرجات : ٥١٧ ح ٨، والكافي : ١ / ١٨٤ ح ٩، وبحارالأنوار : ٢٤ / ٢٤٩ ح ٤ .

ونصّه كما في الكافي : . . . عن مقرن قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : جاء ابن الكواء إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاً بسيماهم ؟ فقال : **(نحن على الأعراف ، نعرف أنصارنا بسيماهم ، ونحن الأعراف الذي لا يعرف الله عزّ وجلّ إلّا بسبيل معرفتنا ، ونحن الأعراف يعرفنا الله عزّ وجلّ يوم القيامة على الصراط ، فلا يدخل الجنة إلّا من عرفنا وعرفناه ، ولا يدخل النار إلّا من أنكرنا وأنكرناه . إن الله تبارك وتعالى لو شاء لعرّف العباد نفسه ولكن جعلنا أبوابه وصراطه وسبيله والوجه الذي يؤتى منه ، فمن عدل عن ولايتنا أو فضّل علينا غيرنا ، فإنهم عن الصراط لناكبون ، فلا سواء من اعتصم الناس به ، ولا =**

وأقول : ﴿ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴾(١) لا حول ولا قوَّة إلّا بالله العلي العظيم وصلَّى الله على محمَّد وآله الطَّاهرين .

وقع الفراغ من تسويد هذه الكلمات لأربع ساعات وثلثي ساعة من اللَّيلة السَّابعة والعشرين من صفر ، سنة أربع وثلاثين بعد المائتين والألف من الهجرة النَّبويَّة ، على مهاجرها وآله أفضل الصلاة وأزكى السَّلام بقلم منشئها العَبْد المسكين أحمد بن زين الدِّين بن إبراهيم بن صقر بن إبراهيم بن داغر الأحسائي بن رمضان بن راشد بن دهيم بن شمروخ آل صقر الهَجَري الأحسائيّ المُطَيْرفيّ ، عفا الله عنَّا وعن والدينا من المؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، إنَّه غفورٌ رحيم(٢) ، حامداً مصلياً مستغفراً .

= سواء حيث ذهب الناس إلى عيون كدرة يفرغ بعضها في بعض ، وذهب من ذهب إلينا إلى عيون صافية تجري بأمر ربها ، لا نفاد لها ولا انقطاع) .

(١) سورة هود ، الآية : ٣٥ .

(٢) في نسخة زيادة : سيبقى خطوطي وكنت تراباً رميماً .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ووقع الفراغ من تصحيحه بساعتين ونصف من ليلة الثلاثاء السادسة والعشرين من جمادى الأولى سنة (١٢٣٤) أربع وثلاثين بعد المائتين والألف على يد منشئه العبد المسكين أحمد ابن زين الدِّين والحمد لله ربّ العالمين وصلَّى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين .

تم كتاب شرح المشاعر

الفهارس

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث
- الفهرس الموضوعي
- فهرس المحتويات

فهرس الآيات القرآنية

الآية	الرقم	الصفحة
سورة البقرة		
- ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾	٣١	٥٥
- ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ﴾	٣٧	٦٢
- ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾	٦٠	٣٠٥
- ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾	١٤٨	٨٠ ، ٩١
- ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾	١٤٨	٩٣
- ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾	١٤٨	٢٧٥ ، ٢٧٧
- ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾	١٦٥	٢٦٠

- ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ ١٨٥ ٣٦
- ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ ٢٠٤ ٣٠٦
- ﴿ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ ٢٥٥ ١٤

سورة آل عمران

- ﴿ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ ٧ ٧٣
- ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ ١٩١ ٢٨٧
- ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ ١٨ ٢٩٢ ، ٢٩٩

سورة النساء

- ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ ١ ٢٣٧
- ﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾ ١٨ ٢٨١

- ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾	٥٦	٢٢٧
- ﴿ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ﴾	١٥٥	٩٣
- ﴿ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾	١٧١	٥٤ ، ٦٢
- ﴿ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾	١٧٢	١٥٨

سورة المائدة

- ﴿ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ ﴾	٤	٢١٣
- ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ﴾	٤١	٣٦
- ﴿ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ﴾	٦٤	٢٧٩
- ﴿ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ﴾	٦٤	٦
- ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾	١١٦	٢٠٣

سورة الأنعام

- ﴿ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾	٥٩	٧٦
- ﴿ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾	٩١	٢٩٣

- ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ ١١٦ ٣٤٤

سورة الأعراف

- ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ ٢٩ ٢٣٤، ٣٥٤
- ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً﴾ ١٤٥ ٧١، ٧٨
- ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ ١٦٠ ٣٠٥
- ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ ١٧٢ ١٤٢
- ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ ١٧٢ ١١٦، ٢٣٧
- ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَـٰهُ بِهَا وَلَـٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ ١٧٦ ١٠٦، ١٢٦
- ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ١٨٧ ١٥، ٢٥٧
- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ ٢٠١ ١٦٧

سورة الأنفال

- ﴿رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ ١٧ ٣٥٢

سورة التوبة

- ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾	١١	٢١٣
- ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾	١٢٩	١٣٨

سورة يونس

- ﴿جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾	٥	٢٤٠ ، ٣٤٢
- ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾	٢٢	٩٢
- ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾	٦٥	٢٦٠
- ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾	١٠١	٢٨٧

سورة هود

- ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾	٧	١٣٨
- ﴿إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾	٣٥	٣٦٧
- ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾	٤١	٣٥٥
- ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾	١٠١	٩٣
- ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾	١٠٨	٢٦٦

سورة يوسف

الآية	رقمها	الصفحة
- ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾	٢١	١٥، ٢٥٧
- ﴿لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾	٨٧	٢٨٠
- ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾	١٠٥	٦٩، ٧٧، ٢٢٩
- ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾	١٠٨	٢٧٦، ٢٩٠

سورة الرعد

الآية	رقمها	الصفحة
- ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾	١٦	٥٥
- ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ﴾	١٧	٢٣٠

سورة إبراهيم

الآية	رقمها	الصفحة
- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾	١٩	٢١٩، ٢٣٢

- ﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ ٢٤ ٢١٦

- ﴿ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ رَبِّهَاۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾ ٢٤ ـ ٢٦ ٢٣٠

- ﴿ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ ﴾ ٢٥ ٢١٧

سورة الحجر

- ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ ٢١ ١٢٤ ، ٢٥٥

- ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ ٢٩ ١٩٢ ، ٢٠٤

سورة النحل

- ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ٨ ٧٦ ، ١٥٧

- ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ ﴾ ٩ ٢٧٨

- ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ ١٠٢ ٣٤٠

- ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِۖ ﴾ ١٢٥ ٢٩١

سورة الإسراء

- ﴿ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴾	١٢	٣٥٠
- ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ﴾	١٣	١٢٠
- ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾	٨٥	٩٤ ، ١٦٣ ، ١٦٨

سورة الكهف

- ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ ﴾	١٨	٥٨
- ﴿ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ ﴾	٤٩	١٧
- ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾	٤٩	٢٦٥

سورة مريم

- ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾	٤٠	٢١٩ ، ٢٣٣
- ﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴾	٦٧	٣٤٦
- ﴿ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ		

وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ ﴾	٩٣ ـ ٩٥	٢١٩
- ﴿ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْدًا ﴾	٩٣	٢٣٤
- ﴿ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ﴾	٩٥	٢٣٤

سورة طه

- ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾	٥	١٣٧
- ﴿ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَـٰبٍ ﴾	٥٢	٧٩
- ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾	١١٤	٣٦٥

سورة الأنبياء

- ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَـٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾	٢٨، ٢٩	١٥٨
- ﴿ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴾	٩٣	١٢٧

سورة الحج

- ﴿ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾	٥	٦٠

- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾	٥	٣٥٠
- ﴿ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾	٤٦	١٨٣ ، ٢٧١

سورة المؤمنون

- ﴿ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴾	١٧	٩٨
- ﴿ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ﴾	٩٩ ، ١٠٠	٦٢

سورة النور

- ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ ﴾	٣٥	١٠٣
- ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾	٣٥	٢٧١
- ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾	٣٥	٣٣٥

- ﴿ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ﴾ ٣٥ ٣٣٦

سورة الفرقان

- ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ ٤٤ ١٦٨

سورة النمل

- ﴿ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ ٢٦ ١٣٨
- ﴿ وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ﴾ ٨٨ ٢٣٢
- ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ﴾ ٨٨ ٢١٩، ٢٥٤

سورة القصص

- ﴿ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ ﴾ ٩ ٢٨٠، ٢٨١
- ﴿ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ (٤٠) وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ (٤١) وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ (٤٢) ﴾ ٤٠ ـ ٤٢ ٢٨١

سورة العنكبوت

- ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾ ٤٣ ٧٧
- ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾ ٤٣ ٦٩، ٢٢٩
- ﴿بَلْ هُوَ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ ٤٩ ٧٦

سورة الروم

- ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم﴾ ٨ ٢٨٧

سورة لقمان

- ﴿هَـٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ ١١ ٣٢١
- ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ ٢٨ ٣٣٤

سورة الأحزاب

- ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ ٧ ١٤٥

سورة فاطر

- ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ ٤ ٢٠٤

- ﴿ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ﴾	٤٠	٣٢١

سورة يس

- ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾	٨٢	٤٠ ، ٤٧ ٤٩ ، ٧٤
- ﴿ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾	٨٣	٣٥٥

سورة الصافات

- ﴿ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴾	٨٣	١٤٥
- ﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (١٥٤) أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٥٥) أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ (١٥٦) فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٥٧) ﴾	١٥٤ - ١٥٧	٢٣٩

سورة ص

- ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾	٧٢	١٩٢
- ﴿ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾	٧٥	١٢٩

سورة الزمر

- ﴿ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾	٦٧	٢١٩ ، ٢٣٢

سورة غافر

- ﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ﴾ ١٥ ٣٦٥
- ﴿ فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ ٨٤ فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ ﴾ ٨٤ – ٨٥ ٢٨١

سورة فصلت

- ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾ ٥٣ ٣٤ ، ٦٩، ٢٢٩ ، ٢٨٢ ، ٢٨٤ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٩٢، ٢٩٥ ، ٣٠٦ ، ٣١١ ، ٣١٣

سورة الشوري

- ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ﴾ ١١ ٣٠٢ ، ٣٢١ ، ٣٠٨
- ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ ﴾ ٥٢ ٦١

سورة الزخرف

- ﴿ حمٓ ١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ٢ ﴾ ١ ، ٢ ٧٦
- ﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ مُّبِينٌ ﴾ ١٥ ٣٢٦

- ﴿ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ﴾ ٤٨ ٣١٢

سورة الجاثية

- ﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ﴾ ٢٩ ٧٦

سورة ق

- ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ ﴾ ٤ ٦٨ ، ٧٩
- ﴿ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ ١٥ ٢١٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣١

سورة الذاريات

- ﴿ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ ٢٢ ٢٧٣
- ﴿ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ ٤٩ ٣٥٩

سورة الطور

- ﴿ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ ﴾ ٢ ، ٣ ٥٩

سورة النجم

- ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ ﴾ ٥ ، ٦ ١٨٧

سورة القمر

- ﴿ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِٱلْبَصَرِ ﴾	٥٠	٣٣٤

سورة الرحمن

- ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾	٢٦ ، ٢٧	٢١٩ ، ٢٣٣

سورة الواقعة

- ﴿ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾	٦١	٢١٨ ، ٢٣٢
- ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾	٦٢	٣٥٤
- ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾	٦٣ ، ٦٤	٣٥٢
- ﴿ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾	٧٨ ، ٧٩	٧٩
- ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾	٧٩ ، ٨٠	٧١

سورة الحديد

- ﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾	٥	٢٠٤

سورة المجادلة

- ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ ﴾ ٢٢ ٧٦

سورة المنافقون

- ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ ﴾ ٢ ٢٦١
- ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ ٨ ١٥٨
- ﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ﴾ ١٤ ٢٣ ، ٢٦٠

سورة القلم

- ﴿ نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ﴾ ١ ١٠٢

سورة النازعات

- ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴾ ٤٤ ٣٥٧

سورة التكوير

- ﴿ فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ﴾ ٢٦ ٢٣٩

سورة الانفطار

- ﴿ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ ٨ ٢٣٢

سورة البروج

- ﴿ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ (٢١) فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ (٢٢) ﴾ ٢١ ، ٢٢ ٧١

سورة الأعلى

- ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾	١٨ ، ١٩	٢٧٦ ، ٢٩١

سورة الفجر

- ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾﴾	٢٧ ، ٢٨	١٩٢ ، ٢٠٤

سورة التين

- ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾	٥	٣٦١

سورة القدر

- ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾	١	١٧٥

سورة الإخلاص

- ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾	٣ - ٤	٣٢٧

فهرس الأحاديث

حرف الألف

- (اعرفوا الله بالله) ٢٩٨
- (الإرادة من الخلق الضَّمير ، وما يبدو لهم بعد ذلك من الفعل ، وأمَّا إرادة الله فإحداثه لا غير ، لأنَّه لا يروِّي ولا يهمّ ولا يفكّر) .... ٣٧ ، ٩٧
- (الحسن أفضل من الحسين عليه السلام) ١٤٧
- (الحقيقة كشف سُبُحات الجلال من غير إشارة) ٣٠٧
- (السَّعيد من سعد في بطن أُمّه ، والشقي من شقي في بطن أُمّه) ٢٣٧
- (العبوديَّة جوهرة كنهها الرُّبوبيَّة) ٢٧٠
- (العبودية جوهرة كنهها الرُّبوبيَّة فما فُقِدَ في العبودية وجد في الرُّبوبيَّة ، وما خفي في الرُّبوبيَّة أُصيب في العبوديَّة) ٣٤ ، ٢٢٩ ، ٢٥٤
- (العقل جوهر درّاك محيط بالأشياء من جميع جهاتها ، عارف بالشيء قبل كونه ، فهو علَّة الموجودات ، ونهاية المطالب) ٢٠٦
- (العقل ما عُبِدَ به الرَّحمن واكتسب به الجنان) ١٧٩

- (العلم نقطة كثّرها الجاهلون أو الجهّال) ٢٢٢
- (الفرقان المحكم الواجب العمل به ، والقرآن جملة الكتاب) ٧٢
- (اللّهمّ زدني فيك تحيراً) ٣٦٥
- (المشيئة ليست كالعلم ، فإنّك تقول : أفعل إن شاء الله ولا تقول : أفعل ذلك إن علم الله ، ومن قال بخلاف هذا فهو قائل بما لا يعقل أو مفتر على الله) ٣٨
- (المشيئة والإرادة من صفات الأفعال ، فمن زعم أنَّ الله لم يزل شائياً مريداً فليس بموحّد) .... ٣٤ ، ٣٤١
- (المشيئة والإرادة والإبداع أسماؤها ثلاثة ومعناها واحد)................... ٣٧ ، ٩٦ ، ٣٣٣
- (النّفس اللّاهُوتيّة الملكوتيّة قوّة لاهوتيّة ، أي روحانية قدسيّة ، وجوهرة بسيطة) ٢١٢
- (النّفس النّاطقة القدسيّة قوّة لاهوتيّة ـ أي روحانية ـ بدءُ إيجادها عند الولادة الدّنيويّة) ٢١٠
- (إلهي أمرتَ بالرجوع إلى الآثار فأرجعني إليها بِكِسوة الأنوار وهداية الاستبصار ، حتّى أرجعَ إليك منها كما دخلتُ إليك منها مَصُونَ السّرّ عن النّظر إليها ، ومرفوعَ الهِمّة عن الاعتماد عليها إنّك على كلِّ شيء قدير) ٢٨٧
- (إلهي وقف السائلُون ببابكَ ، ولاذ الفقراء بجنابكَ) ٢٩٠
- ((إنّا أنْزَلْنَاهُ) نور كهيئة العين على رأس النّبي والأوصياء عليه وعليهم السلام صلوات الله عليه وعليهم أجمعين لا يريد أحد

منّا علم أمر من أمر الأرض أو من أمر السَّماء إلى الحجب التي بين الله وبين العرش إلّا رفع طرفه إلى ذلك النُّور فرأى تفسير الذي أراد مكتُوباً) ١٧٦

- (﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ ﴾ نور عند الأنبياء وعند الأوصياء ، لا يريدون حاجة من السَّماء ولا من الأرض إلّا ذكروها لذلك النُّور فأتاهم بها) ١٧٦

- (إنَّا لا نخاطب النَّاس إلّا بما يعرفون) ٥٠

- (إنَّا لا نعدّ الرَّجل من شيعتنا فقيهاً حتَّى يلحن له ويعرف اللَّحن) ٥٥

- (إنَّ العقل أوَّل خلق من الرُّوحانيِّين عن يمين العرش) ٩٥

- (إنَّ الصّورة الإنسانيَّة أكبرُ حجَّة الله على خلقه وهي الكتاب الذي كتبه بيده ، وهي الهيكل الذي بناه بحكمته ، وهي مجموع صورة العالمين ، وهي المختصر من اللوح المحفوظ ، وهي الشَّاهد على كلِّ غائب ، وهي الحجَّة على كلِّ جاحد ، وهي الصِّراط المستقيم إلى كلّ خير ، وهي الصِّراط الممدود بين الجنَّة والنَّار) ٢٠١

- (إنَّ الله المبدىء الواحد الكائن الأوَّل لم يزل واحداً لا شيء معه ، فرداً لا ثاني له لا معلوماً ، ولا مجهولاً ، ولا محكماً ، ولا متشابهاً ، ولا مذكوراً ، ولا منسيّاً ، ولا شيئاً يقع عليه اسم شيء من الأشياء غيره ، ولا من وقت كان ، ولا إلى وقت يكون ، ولا بشيء قام ، ولا إلى شيء يقوم ، ولا إلى شيء استند ، ولا في شيء استكنّ ، وذلك كلّه قبل الخلق ، إذ لا

شيء غيره ، وما أوقعت عليه من الكلّ فهي صفات محدثة وترجمة يفهم بها من فهم) ٣٠١
- (إنَّ الله أجلّ من أنْ يُعْرَفَ بخلقه ، بل الخلق يعرفون به) .. ٢٩٨
- (إنَّ الله تبارك وتعالى لم يرد ذلك إلّا أن يجعل سنة موسى وهارون جارية في الحسن والحسين عليهما السلام ، ألا ترى أنَّهما كانا شريكين في النُّبوَّة كما كان الحسن والحسين شريكين في الإمامة ، وأنَّ الله عزَّ وجلَّ جعل النُّبوَّة في ولد هارون ولم يجعلها في ولد موسى وإن كان موسى أفضل من هارون) .. ١٤٧
- (إنَّ الله تعالى خلق المشيئة بنفسها ، ثمَّ خلق الخلق بالمشيئة) ٣٩
- (إنَّ الله خلق ابن آدم أجوف ، فالطعام والشراب ضروريان له) ٢٧٤
- (إنَّ الله خلق العقل وهو أوَّل خلق [خلقه] من الرُّوحانيِّين عن يمين العرش) ١٧١
- (إنَّ أوَّل ما أبدع الله ـ أي أوجده بإبداعه ـ الذي هو مشيئته النُّفوس المقدَّسة المطهَّرة) ١٠٨
- (إنَّ أوَّل ما أبدع الله هي النُّفوس المقدَّسة المطهَّرة ، فأنطقها بتوحيده ، ثمَّ خلق بعد ذلك سائر خلقه) ١٠٥
- (انتهى المخلوق إلى مثله) ٢٧٣
- (انتهى المخلوق إلى مثله ، وألجأه الطلب إلى شكله) .... ١٠٠ ، ٢٤٣ ، ٢٧١
- (إنَّ روح المؤمن لأشدَّ اتصالاً بروح الله من اتِّصال شعاع الشَّمس بها) ١٢٧

- (إنَّ في الجنَّة لَشَجَرَةً تسمَّى المزن ، فإذا أراد الله أن يخلق مؤمناً أقطر منها قطرة فلا تصيب بقلة ولا تمرة أكل منها مؤمن أو كافر إلّا أخرج الله تعالى من صلبه مؤمن) ٢١١
- (إنَّ لله عزَّ وجلَّ سبعين ألف حجاب من نور وظلمة ، لو كُشِف حجابٌ منها لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه) ١٠
- (إنَّ لله في كلّ يوم ثلاثة عساكر : عسكر ينزلون من الأصلاب إلى الأرحام ، وعسكر ينزلون من الأرحام إلى فضاء الدُّنيا ، وعسكر يرتحلون من الدُّنيا إلى الآخرة) ١٨٨
- (إنّما تكون المعلمة لنفي خلافه ، وليكون الشيء نفسه بما نفي عنه موجوداً ، ولم يكن هناك شيء يخالفه فتدعوه الحاجة إلى نفي ذلك الشيء عن نَفْسه بتحديد ما علم منها) ٢٩٩
- (إنَّ ما في الألواح القدريَّة يدركه كلّ أحد) ٧٨
- (إنّها إذا فارقت عادت إلى ما منه بُدِئَت عَوْد ممازجة لا عَوْد مجاورة) ٢٢٥
- (أبدان ملعونة تحت الثَّرى في بقاع النَّار ، وأرواح خبيثة تجري بوادي برهوت في بئر الكبريت في مركبات خبيثات ملعونات ، تؤدِّي ذلك الفزع والأهوال إلى الأبدان الملعونة الخبيثة تحت الثَّرى في بقاء النَّار ، فهي بمنزلة النائم إذا رأى الأهوال ، فلا تزال تلك الأبدان فزعة ذعرة ، وتلك الأرواح معذَّبة بأنواع العذاب في أنواع المركبات المسخوطات الملعونات المضعفات مسجونات فيها ، لا ترى روحاً ولا راحة إلى

مبعث قائمنا ، فيحشرها الله من تلك المركبات ، فتردّ في الأبدان ، وذلك عند النَّشرات ، فتضرب أعناقهم ، ثمَّ تصير إلى النَّار أبد الآبدين ودهر الدَّاهرين) ١٢٢

- (أشدّ اتِّصالاً بروح الله من اتِّصال شعاع الشَّمس بها) ١٣٠

- (أشدّ اتِّصالاً من شعاع الشَّمس) ١٣٠

- (أطفىء السِّراج فقد طلع الصّبح) ٣١٠

- (أعرفكم بنفسه أعرفكم بربّه) ٢٩٥

- (أعوذ بكلمات الله التَّامَّات كلّها من شرِّ ما خلق) ٦٢

- (أقبل فأقبل ، ثمَّ قال له : أدبر فأدبر فقال تعالى : وعزَّتي وجلالي ما خلقت خلقاً أحبّ إليَّ منك ، بك أُثيب ، وبك أُعاقب ، ولا أكملتك إلّا فيمن أُحب) ١٧٤

- (أمَّا الإرادة من الخلق الضَّمير وما يبدو لهم من الفعل بعد ذلك ، وأمَّا إرادة الله فإحداثه لا غير ، لأنَّه لا يُروِّي ولا يهمّ ولا يفكِّر) ٣٧

- (أمار السَّماء وفطرها) ٢٦٣

- (أنا أصلها ، وعليّ فرعها والأئمَّة أغصانها ، وعلمنا ثمرها ، وشيعتنا ورقها ، يا أبا حمزة إنَّ الولد ليولد من شيعتنا فتورّق ورقة فيها ، ويموت فتسقط منها ورقة) ٢١٧

- (أنا سائلكم وآملكم فيما إليكم التَّفويض وعليكم التَّعويض ، فبكم يجبر المهيض ، ويشفى المريض ، وعندكم ما تزداد الأرحام وما تغيض) ٢٣٣

- (أنَّ القلم أوَّل غصن أخذ من شجرة الخلد) ٩٥
- (أنا من محمد صلى الله عليه وآله كالضّوء من الضّوء) ١٤٤
- (أوَّل ما خلق الله العقل) ٩٤

حرف الباء

- (بدت قدرتكَ يا إلهي ولم تبد هيئةٌ يا سيِّدي ، فشبَّهوكَ واتّخذوا بعض آياته أرباباً يا إلهي ، فمن ثمَّ لم يعرفوكَ) ٢٨٨
- (بدؤها عند مسقط النّطفة) .... ٢٠٧ ، ٢٠٨
- (بلى ولكن يرشح عليك ما يطفح منِّي) ٣٠٧
- (بنا عُرِف الله ، ولولانا لم يُعْرف الله ، ونحن الّذين لا يُعرَف الله إلّا بسبيل معرفتنا) ٣١٠

حرف التاء

- (تاسعهم قائمهم أعلمهم أفضلهم) ١٤٨
- (تتغير بهم الحال) ٢٦٦

حرف الثاء

- (ثمَّ حملوه إلى مخطّ في الأرض) ٢٦٢
- (ثمَّ خلق آدم عليه السلام واستودع صلبه تلك الطينة والنُّور) ١٤١
- (ثمَّ ميَّزهم لما يريد من مسألتهم عن الأعمال وخبايا الأفعال) ٢٦٥

حرف الجيم

- (جذب الأحديَّة لصفة التَّوحيد) ٣٠٨

حرف الحاء

- (حتَّى إذا بلغ الكتاب أجله) ٢٦٣
- (حيث لا يظعن النّزال) ٢٦٦
- (خَلقٌ أعظم من جبرئيل وميكائيل لم يكن مع أحد ممَّن مضى غير محمَّد صلى الله عليه وآله وهو مع الأئمَّة عليهم السلام يسددهم) ٩٤

حرف الخاء

- (خلق الله المشيئة بنفسها ، ثمَّ خلق الأشياء بالمشيئة)........................ ٩٦ ، ٩٩ ، ١٦١ ، ٢٤٤
- (خلقه ملكاً له رؤوس بعدد الخلائق من خُلِقَ ومن لم يُخلَق إلى يوم القيامة ، ولكلّ رأس وجه ، ولكلّ آدمي رأس من رؤوس العقل ، واسم ذلك الإنسان على وجه ذلك الرأس مكتوب على كلِّ وجه سترٌ ملقىً ، لا يكشف ذلك السّتر من ذلك الوجه حتَّى يولد هذا المولود ويبلغ حدّ الرِّجال أو حدّ النِّساء ، فإذا بلغ كشف ذلك السّتر ، فيقع في قلب هذا الإنسان نور ، فيفهم الفريضة والسُّنَّة والجيّد والرَّديّ ، ألا ومثل العقل في القلب كمثل السِّراج وسط البيت) ١٧٤

حرف الدال

- (داري ودار عليّ في الجنَّة بمكان واحد) ٢١٥

حرف الذال

- (ذهب من ذهب إلى غيرنا إلى عيون كدرة يفرغ بعضها في بعض) ٨١
- (ذهب من ذهب إلى غيرنا إلى عُيُون كدرة يفرغ بعضها في بعض ، وذهب من ذهب إلينا إلى عيون صافية تجري بأمر الله لا نفاد لها) ٣٦٦

حرف السين

- (سيِّدا شباب أهل الجنَّة) .... ١٤٦ ، ١٤٨

حرف الشين

- (شجرة طوبى هي شجرة في الجنَّة أصلها في دار النَّبي صلى الله عليه وآله وليس مؤمنٌ إلّا وفي داره غصنٌ منها ، لا تخطر على قلبه شهوة إلّا أتاه بها ذلك الغصن ، ولو أنَّ راكباً مجدًّا سار في ظلّها مئة عام ما خرج ، ولو طار من أسفلها غراب ما بلغ أعلاها حتَّى يسقط هرماً) ٢١٤
- (شجرة في أقصى الجنَّة إليها ينتهي علم الأوَّلين والآخرين ولا يتعدّاها) ٢١٥

حرف الصاد

- (صفة استدلال عليه لا صفة تكشف له) .... ١٣٥ ، ٢٩٤

حرف الطاء

- (طوبى شجرة في الجنَّة ، أصلها في داري وفرعها في دار عليّ) ٢١٤

حرف الظاء

- (ظهرت الموجودات من (باء) بسم الله الرَّحمن الرَّحيم) . ٢١٣
- (ظهرت الموجودات من باء بسم الله الرَّحمن الرَّحيم) ٣٥٦

حرف العين

- (علَّة ما صنع صنعه ، وهو لا علَّة له) ١٠٠
- (عن أيّ الأنفس تسأل؟) ٢٠٥

حرف الفاء

- (فإذا فارقت ـ أي النَّفس النَّاطقة القدسيَّة ـ عادت إلى ما منه بدئت عَوْد مجاورة لا عود ممازجة) ٣٤٦
- (فإذا فارقت عادت إلى ما منه بدئت عَوْد ممازجة لا عَوْد مجاورة) ٢٠٨
- (فألقى في هويّتها مثاله فأظهر عنها أفعاله) ٣٥٢
- (فأمَّا أهل الطَّاعة فأثابهم بجواره) ٢٦٥
- (فأوَّل ما خلق الله وأقرَّ بالعدل والتوحيد أنا وأنت) ١٤٤
- (فجدَّدهم بعد إخْلَاقِهِمْ ـ بكسرة الهمزة ـ وجمعهم بعد تفريقهم) ٢٦٥
- (فخلقني وخلق روحي من نور جلاله) ١٣٣

- (فصار بين أهله لا ينطق بلسانه) ....
- (فصار جيفةً بين أهله) ٢٦٢
- (فكنّا أمامَ عرش ربّ العالمين) ١٣٦
- (فلمّا أراد أن يخلق آدم عليه السلام خلقني وإيّاك) ١٤٠
- (فلم يزل الموت يبالغ في الولولج في جسده حتّى خالط سمعه) ٢٦٠
- (فلم يزل الموت يبالغ في جسده حتّى خالط سمعه ، فصار بين أهله لا ينطق بلسانه ، ولا يسمع بسمعه ، يردّد طرفه في وجوههم ، يرى حركات ألسنتهم ، ولا يسمع رجع كلامهم ، ثمَّ ازداد الموت انبساطاً به ، فقبض سمعه وخرجت الرُّوح من جسده ، فصار جيفة بين أهله ، قد أوحشوا من جانبه ، وتباعدوا من قربه ، لا يسعد باكياً ، ولا يجيب داعياً . ثمَّ حملوه إلى مخطّ في الأرض وأسلموه فيه إلى عمله ، وانقطعوا عن زورته ، حتّى إذا بلغ الكتاب أجله ، والأمر مقاديره ، وأُلحق آخر الخلق بأوّله ، وجاء من الله ما يريده من تجديد خلقه ، أمار السَّماء وفطرها ، وأرّج الأرضَ وأرجفها ، وقلع الجبال ونسفها ، ودكَّ بعضها بعضاً من هيبة جلاله وخوف سطوته ، وأخرج من فيها ، فجدَّدهم بعد إخلاقهم ، وجمعهم بعد تفريقهم . ثمَّ ميَّزهم لما يريد من مسألتهم عن الأعمال وجنايا الأفعال ، وجعلهم فريقين أنعم على هؤلاء وانتقم من هؤلاء ، فأمَّا أهل الطَّاعة فأثابهم بجواره وخلَّدهم في داره حيث لا يظعن النّزال ، ولا يتغير بهم الحال ، ولا تهولهم الأفزاع ، ولا تنالهم الأسقام ، ولا تعرض لهم الأخطار ، ولا تشخص لهم الأبصار . وأمّا أهل المعصية

فأنزلهم شرّ دار ، وغلَّ الأيدي إلى الأعناق ، وقرن النواصي بالأقدام ، وألبسهم سرابيل القطران ومقطّعات النِّيران) ... ٢٥٢
- (في النَّفس الحيوانية قوّة فلكيَّة وحرارة غريزية أصلها الأفلاك) ٢٠٩

حرف القاف

- (قائم به) ٢٥٩
- (قد أُوحشوا من جانبه وتباعدوا من قربه) ٢٦٢
- (قد علم أُولو الألباب أنَّ الاستدلال على ما هناك لا يعلم إلّا بما هاهنا) .... ٣٥ ، ٢٣٠
- (قوم من شيعتنا من الخلق الأوَّل ، جعلهم الله خلف العرش ، لو قُسِم نورُ واحد منهم على أهل الأرض لكفاهم) ١٠
- (قوَّة أصلها الطبائع الأربع ، بدءُ إيجادها عند مسقط النّطفة ، مقرّها الكبد ، مادّتها من لطائف الأغذية ، فعلها النّمو والزيادة ، وسبب فراقها اختلاف المتولّدات ، فإذا فارقت عادت إلى ما منه بُدِئَتْ عَوْد ممازجة لا عود مجاورة) ٢٠٥
- (قوَّة فلكيَّة ، وحرارة غريزيَّة أصلها الأفلاك ، بدءُ إيجادها عند الولادة الجسمانية ، فعلها الحياة ، والحركة ، والظّلم ، والغشم ، والغلبة واكتساب الأموال ، والشّهوات الدّنيويَّة ، مقرّها القلب ، سبب فراقها اختلاف المتولدات ، فإذا فارقت عادت إلى ما منه بدئت عود ممازجة لا عود مجاورة ، فتنعدم صورتها ، ويبطل فعلها ووجودها ، ويضمحلّ تركيبها) ... ٢٠٥
- (قوّة لاهوتيَّة بدء إيجادها عند الولادة الدّنيويَّة ، مقرّها العلوم

الحقيقية الدِّينيَّة ، موادّها التأييدات العقليَّة ، فعلها المعارف الرَّبانيَّة ، فراقها عند تحلّل الآلات الجسمانية ، فإذا فارقت عادت إلى ما منه بدئت عود مجاورة لا عود ممازجة) ٢٠٦

- (قوَّة لاهوتيَّة ، وجوهرة بسيطة حيَّة بالذَّات ، أصلها العقل ، منه بدئت ، وعنه وعت ، وإليه دلَّت وأشارت ، وعودتها إليه إذا كملت وشابهته ، ومنها بدئت الموجودات وإليها تعود بالكمال ، فهي ذات الله العليا ، وشجرة طوبى ، وسدرة المنتهى ، وجنَّة المأوى ، من عرفها لم يَشْقَ ، ومَنْ جهلها ضلَّ سَعْيُهُ وغوى) ٢٠٦

حرف الكاف

- (كان الله ولا شيء معه) ١٣٣

- (كان الله ولا شيء معه ، وهو الآن على ما كان لأنَّ المشيئة والإرادة من صفات الأفعال ، فمن زعم أنَّ الله لم يزل مريداً شائياً فليس بموحّد) ٢٢

- (كان ربّنا عزَّ وجلَّ والعلم ذاته ولا معلوم ، والسمع ذاته ولا مسموع ، والبصر ذاته ولا مبصر ، والقدرة ذاته ولا مقدور ، فلمَّا أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم ، والسَّمع على المسموع ، والبصر على المبصر ، والقدرة على المقدور) ١٨

- (كلّ شيء خاضع له) ٢٥٩

- (كلّ شيء سواك قام بأمرك)........... ١٠٢ ، ١٥١ ، ٣٣٩

- (كلّ شيء خاضع له ، وكلّ شيء قائم به ، غنى كلّ فقير ، وعزّ كلّ ذليل ، وقوّة كلّ ضعيف ، ومفزع كلّ ملهوف ، من تكلّم سمع نطقه ، ومن سكت علم سرّه ، ومن عاش فعليه رزقه ، ومن مات فإليه منقلبه) ٢٥٢

- (كلّما وضعتُ لهم علماً رفعتُ لهم حلماً ، وليس لمحبّتي غاية ولا نهاية) .... ١١٧ ، ٣٦٥

- (كُلَّما وضعت لهم علماً رفعت لهم حلماً ، وليس لمحبتي غاية ولا نهاية (إذا كان يوم الجمعة ويومي العيدين ، أمر الله رضوان خازن الجنان أن ينادي في أرواح المؤمنين وهم في عرصات الجنان أنَّ الله قد أذن لكم بالزِّيارة إلى أهاليكم وأحبابكم من أهل الدُّنيا ، ثمَّ يأمر الله رضوان أن يأتي لكلّ روح بناقة من نوق الجنَّة عليها قبَّة من زبرجدة خضراء ، غشاؤها من ياقوتة رطبة صفراء ، وعلى النُّوق جلال وبراقع من سندس الجنان وإستبرقها ، فيركبون تلك النُّوق عليهم حلل الجنان متوَّجون بتيجان اللؤلؤ الرطب يضيء كما تضيء الكواكب الدّرّيَّة في جوّ السَّماء ، من قرب النَّار إليها لا من البعد ، فيجتمعون في العرصة ، ثمَّ يأمر الله جبرائيل في أهل السَّماوات أن يستقبلوهم ، فتستقبلهم ملائكة كلّ سماء ، وتشيّعهم ملائكة كلّ سماء إلى السَّماء الأُخرى ، فينزلون بوادي السَّلام ، وهو واد بظهر الكوفة ، ثمَّ يتفرَّقون في البلدان والأمصار حتَّى يزوروا أهاليهم الَّذين كانوا معهم في دار الدُّنيا ، ومعهم ملائكة يصرفون وجوههم عمَّا يكرهون النَّظر إليه إلى ما يحبّون ،

ويزورون حفر الأبدان ، حتَّى إذا ما صلَّى النَّاس وراح أهل الدُّنيا إلى منازلهم من مصلَّاهم ، نادى فيهم جبرائيل بالرَّحيل إلى غرفات الجنان ، فيرحلون) ١٢١

- (كنهه تفريق بينه وبين خلقه ، وغيوره تحديد لما سواه) ... ١٣٤

حرف اللام

- (لا تحيط به الأوهام ، بل تجلَّى لها وبها ، وبها امتنع منها وإليها حاكمها) ٣١١
- (لا زلتَ مؤيّداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك) ١٠٤
- (لا كاف ولا نون وإنَّما أراد فكان) .... ٥٠ ، ١٦١
- (لا (كاف) ولا (نون) وإنَّما أراد فكان ما أراد أن يكون) ٧٤
- (لا يرومون النظر إلى ذواتهم خاشعين لله) ١٥٢
- (لا يرى فيها نورٌ إلّا نورك ، ولا يسمع فيها صوت إلّا صوتك) ٢٩٣
- (لا يُسعد باكياً ولا يجيب داعياً) ٢٦٢
- (لم يزل الله ربّنا عزَّ وجلَّ والعلم ذاته ولا معلوم) ٢٠
- (لم يكن مع أحد ممَّن مضى غير محمَّد صلى الله عليه وآله) ١٠٣
- (لولاك لما خلقت الأفلاك) ٢٢١

حرف الميم

- (ما بعث اللَّهُ نبيًّا إلّا صاحب مرّة سوداء صافية) ٢٠٨
- (ما خلقتم للفناء ، بل خلقتم للبقاء ، وتنقلون من دار إلى دار) ١٠٦

- (ما لَكَ والحقيقة يا كميل؟) ٣٠٧
- (ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن) ١٣٧
- (ما يفتي الأئمّة شيعتهم من الحلال والحرام) لما قال له رجل : جُعلت فداك (تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِين) ٢١٧
- (ما يوجد شيء من الحقّ عند أحد من الخلق إلّا بتعليمي وتعليم عليّ بن أبي طالب عليه السلام) ٢٨٨
- (محو الموهوم وصحو المعلوم) ٣٠٨
- (من طينة علّيّين) ١٤٠
- (من عرف نفسه فقد عرف ربّه) .... ١٠٩ ، ٢٩٥ ، ٣٠٧
- (من نور جلاله) ١٣٦
- (منه ابيضّ البياض) ١٣٧

حرف النون

- (نحن الأعراف الذين لا يُعرف الله إلّا بسبيل معرفتنا) ٢٨٤ ، ٣١٢
- (نزل القرآن على أربعة أرباع : ربع فينا ، وربع في عدوّنا ، وربع سنن وأمثال ، وربع فرائض وأحكام) ٧٣
- (نسبّح الله ونحمده) ١٣٩
- (نعم ، نفسٌ نامية نباتيّة ، ونفسٌ حسّيّة حيوانيّة ، ونفسٌ ناطقة قدسيّة ، ونفسٌ إلهيّة ملكوتيّة) ٢٠٥
- ﴿ نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ قال : (نون ملك يؤدّي إلى القلم ، وهو ملك يؤدّي إلى اللّوح ، وهو ملك يؤدّي إلى إسرافيل) ١٠٢

- (نورٌ أحْمَرُ منه احمرَّت الحمرة ، ونورٌ أصفر منه اصفرَّت الصّفرة ، ونورٌ أخضر منه اخضرَّت الخضرة ، ونورٌ أبيض منه البياض ، ومنه ضوء النَّهار) ١٣٧
- (نور أشرق من صبح الأزل فيلوح على هياكل التَّوحيد آثاره) ٣١٠
- (نور نبيّك يا جابر) ٩٦
- (نور نبيّك يا جابر ، خلقه الله ، ثمَّ خلق منه كلّ خير ، ثمَّ أقامه بين يديه في مقام القرب ما شاء الله ، ثمَّ جعله أقساماً ، فخلق العرش من قسم ، والكرسي من قسم ، وحملة العرش وخزنة الكرسيّ من قسم ، وأقام القسم الرَّابع في مقام الحبّ ما شاء الله ، ثمَّ جعله أقساماً ، فخلق القلم من قسم ، واللَّوح من قسم ، والجنّة من قسم ، وأقام القسم الرَّابع في مقام الخوف ما شاء الله ، ثمَّ جعله أجزاءً ، فخلق الملائكة من جزء ، والشَّمس من جزء ، والقمر والكواكب من جزء ، وأقام الجزء الرَّابع في مقام الرَّجاء ما شاء الله ، ثمَّ جعله أجزاء ، فخلق العقل من جزء ، والعلم والحلم من جزء ، والعصمة والتَّوفيق من جزء ، وأقام القسم الرَّابع في مقام الحياء ما شاء الله ، ثمَّ نظر إليه بعين الهيبة ، فرشَّح ذلك النُّور ، وقطرت منه مئة ألف وأربعة وعشرون ألف قطرة ، فخلق الله من كلّ قطرة روح نبي ورسول ، ثمَّ تنفَّست أرواح الأنبياء ، فخلق الله من أنفاسها أرواح الأولياء والشُّهداء والصَّالحين) ١٠٧

حرف الهاء

- (هتك السّتر وغلبة السّرّ) ٣٠٨

- (هي هي وهي غيرها) ٢٢٨

حرف الواو

- (واعلم أنَّه لا تكون صفة بغير موصوف ، ولا اسم لغير معنى ، ولا حدّ لغير محدود ، والصِّفات والأسماء كلّها تدلّ على الكمال والوجود ، ولا تدلّ على الإحاطة كما تدلّ على الحدود التي هي التَّربيع والتَّثليث والتَّسديس ، لأنَّ الله تعالى تدرك معرفتهُ بالصِّفات والأسماء ولا تدرك بالتَّحديد) ٣٠٠
- (والأمر مقاديره) ٢٦٣
- (والعقل جوهر درّاك محيط بالأشياء من جميع جهاتها) ... ٢١٧
- (وإنَّ الذَّرَّة لتزعم أنَّ لله زبانيتين) ....
- (وانتقم من هؤلاء) ٢٦٥
- (وانقطعوا عن زورته) ٢٦٢
- (وإنَّما تنقلون من دار إلى دار) ١١٥
- (وأرجّ الأرض وأرجفها) ٢٦٣
- (وأسلموه فيه إلى عمله) ٢٦٢
- (وألبسهم سرابيل القطران) ٢٦٧
- (وأُلحق آخر الخلق بأوَّله) ٢٦٣
- (وألقى في هويتها مثاله فأظهر عنها أفعاله)......... ٦٤ ، ٧٥
- (وأمَّا إرادة الله فإحداثه لا غير ، لأنَّه لا يُرَوِّي ولا يفكّر ولا يهمّ) ٣٥١

- (وأمَّا أهل المعصية فأنزلهم شرّ دار) ٢٦٦
- (وأنا أدفعها إليك يا عليّ ، وأنت تدفعها إلى وصيّك ، ويدفعها وصيّك إلى أوصيائك من ولدك واحداً بعد واحد حتَّى تدفع إلى خير أهل الأرض بعدك) ١٤٨
- (وأوَّل ما خلق الله روحي) ١٧٠
- (وتسعة من ذرّية الحسين عليه السلام تاسعهم قائمهم أعلمهم) ١٤٧
- (وجاء من الله ما يريده من تجديد خلقه) ٢٦٣
- (وجعل ما امتنَّ به على عباده كفاءً لتأدية حقّه) ٢٦٥
- (وجعلهم فريقين أنعم على هؤلاء) ٢٦٥
- (وخرجت الرّوح من جسده) ٢٦٢
- (وخلَّدهم في داره) ٢٦٦
- وخلقت بها الشَّمس ، وجعلت الشَّمس ضياء) ٢٤٠
- (وخلق الإنسان ذا نفس ناطقة إن زكّاها بالعلم والعمل فقد شابهت جواهر أوائل عللها ، فإذا اعتدل مزاجها وفارقت الأضداد فقد شارك بها السَّبع الشّداد) ٣٦٣
- (وخوف سطوته وأخرج من فيها فجدَّدهم بعد إخلاقِهِم) .. ٢٦٣
- (ودكَّ بعضها بعضاً من هيبة جلاله) ٢٦٣
- (وروح القدس في جنان الصَّاقورة ذاق من حدائقنا الباكورة) .... ٩٥ ، ٣٣٧
- (وسبب فراقها اختلاف المتولدات) ٢٠٨

- (وعجنت بذلك النُّور) ١٤٠
- (وعِزَّ كلّ ذليل) ٢٦٠
- (وعودتها إليه إذا كملت وشابهته) ٢١٣
- (وغلَّ الأيدي إلى الأعناق) ٢٦٦
- (وقرن النَّواصي بالأقدام) ٢٦٧
- (وقلع الجبال ونسفها) ٢٦٣
- (وقوَّة كلّ ضعيف) ٢٦٠
- (وكان أوَّل إبداعه وإرادته ومشيئته الحروف التي جعلها أصلاً لكلّ شيء ، ودليلاً على كلِّ مدرك ، وفاصلاً لكلّ مشكل ـ إلى أن قال ـ ثمَّ جعل الحروف بعدَ إحصائها وإحكام عدَّتها فعلاً منه كقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ و(كن) منه صنع وما يكون به المصنوع ، فالخلق الأول من الله الإبداع لا وزن له ، ولا حركة ، ولا سمع ، ولا لون ، ولا حسّ ، والخلق الثَّاني الحروف ، لا وزن لها ولا لون ، وهي مسموعة موصوفة غير منظور إليها) ٧٤
- (ولا أكملتك إلّا فيمن أحب) ١٨٢
- (ولا تشخصهم الأبصار) ٢٦٦
- (ولا تعرض لهم الأخطار) ٢٦٦
- (ولا تنالهم الأسقام) ٢٦٦
- (ولا تهولهم الأفزاع) ٢٦٦
- (ولا يسمع بسمعه) ٢٦١

- (ولكن يدلّ على الله عزَّ وجلَّ بصفاته ، ويدرك بأسمائه ، ويستدلّ عليه بخلقه) ٣٠١
- (ولما سأل موسى ربّه ما سأل أمر رجلاً من الكروبيِّين فتجلَّى للجبل فجعله دكّاً) ١٠
- (ومفزع كلّ ملهوف) ....
- (ومقطعات النيران) ٢٦٧
- (ويلك سألت عن عظيم ، إيَّاك والسّؤال عن مثل هذا ١٧٥

حرف الياء

- (يا عليّ إنَّ الله تبارك وتعالى كان ولا شيء معه ، فخلقني وخلق روحي من نور جلاله ، فكُنَّا أمامَ عرش ربّ العالمين نسبِّح الله ونحمده ونهلّله ، وذلك قبل أن يخلق السَّماوات والأرض ، فلمَّا أراد أن يخلق آدم عليه السلام خلقني وإيَّاك من طينة عليِّين ، وعجنت بذلك النُّور ، وغمسنا في جميع الأنهار وأنهار الجنَّة ، ثمَّ خلق آدم عليه السلام واستودع صُلبَه تلك الطِّينة والنُّور ، فلمَّا خلقه استخرج ذريّته من ظهره ، فاستنطقهم وقررهم بربوبيّته ، فأوّل ما خلق الله وأقرَّ له بالعدل والتَّوحيد أنا وأنت والنَّبيُّون على قدر منازلهم وقربهم من الله عزَّ وجلَّ) ١٣١
- (يا عليّ إنَّ الله عزَّ وجلَّ أشرف على الدُّنيا فاختارني منها على رجال العالمين ، ثمَّ اطّلع ثانية فاختارك على رجال العالمين ، ثم اطّلع ثالثة فاختار الأئمَّة من ولدك على رجال العالمين ، ثمَّ اطّلع رابعة فاختار فاطمة عليها السلام على نساء العالمين) ١٤٨
- (يا عليّ إنَّ الله كان ولا شيء معه) ١٣٢

- (يا كميل أيّ نفس تريد أن أُعرّفك ؟) ١٩١
- (يا كميل إنَّها هي أربع : النَّامية النَّباتيَّة ، والحسِّيَّة الحيوانيَّة ، والنَّاطقة القدسيَّة ، والكلّيَّة الإلهيَّة ، ولكلّ واحدة من هذه خمس قوى وخاصيّتان فالنَّامية النَّباتيَّة لها خمس قوى : جاذبة ، وماسكة ، وهاضمة ، ودافعة ، ومربيَّة ، ولها خاصيتان : الزِّيادة والنّقصان ، وانبعاثها من الكبد . والحسِّيَّة الحيوانيَّة لها خمس قوى : سمع ، وبصر ، وشمّ ، وذوق ، ولمس ، ولها خاصيّتان : الرِّضا والغضب ، وانبعاثها من القلب . والنَّاطقة القدسيَّة لها خمس قوى : فكر ، وذكر ، وعلم ، وحلم ، ونباهة ، وليس لها انبعاث ، وهي أشبه الأشياء بالنُّفوس الملكيَّة ، ولها خاصيتان : النَّزاهة والحكمة . والكلّية الإلهيَّة لها خمس قوى : بقاء في فناء ، وسقم في شفاء وعزّ في ذلّ ، وفقر في غناء ، وصبر في بلاء ، ولها خاصيّتان : الرِّضا والتَّسليم ، وهذه التي مَبْدَؤُها من الله وإليه تعود ، قال الله تعالى : ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ وقال : ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ ﴾ والعقل وسط الكلّ) ١٩١
- (يا من دلَّ على ذاته بذاته) .... ٢١٤ ، ٢٩٦
- (يردّد طرفه في وجوههم) ٣٦١
- (يرى حركات ألسنتهم ولا يسمع كلامهم ، ثمَّ ازداد الموت انبساطاً به) ٢٦١
- (يعني في غيبتك وفي حضرتك) ٢٨٤
- (يمسك الأشياء بأظلّتها) ١٠٠

الفهرس الموضوعي

الموضوع | الصفحة

أدلة التوحيد

معاني حديث : يا مَن دلَّ على ذاتِهِ بِذَاتِه ٢٩٦

حقيقة التوحيد

بيان حقيقة الوجود المقدس ٣١٩

غنى الله تعالى

في كيفية ترقي الوجود ٣٤٥
رجوع كل شيء إلى الواجب تعالى ٢٦٧
هل الغاية في فعله تعالى هي ذاته تعالى ؟ ٢٦٨
جواز إطلاقها الغاية على الواجب تعالى ٢٧٢

الطرق إلى الله تعالى

في بيان الطرق إلى الله تعالى ٢٧٥

طريق العرفاء ٢٨٥
طريق الأنبياء والأوصياء عليهم السلام ٢٨٦
طريق غير الأنبياء والأوصياء عليهم السلام ٣٠٢
طريق الحكماء والطّبيعيِّين والمتكلِّمين ٣٠٥
طريق الربانيين إلى الله تعالى ٣١٣

علم الله تعالى

كيفيّة علم الله تعالى بكلِّ شيء ٥
كيفية حَرق النُّور الإلهي للعدم الإمكاني ٩
بيان المشيئة التكوينية والإمكانية ١٤
بيان خلق المشيئة ٣٣٤
في أن علم الله حقيقة واحدة ١٧
ردّ الشيخ الأوحد على المصنف في علم الله ١٩
عِلمُ الله لا يشوبه عيبٌ أو نقصٌ ٢٥
تعليق الشيخ الأوحد على رأي المصنف في علم الله ٢٩
في بيان أن علم الله محيط بكل شيء إمكانيّ وكونيّ ٥٢

حقيقة العلم

حقيقة العلم ١٧

صفات الله تعالى

في الصفات الكمالية ٣١

في بيان الجمال والجلال ١٥٩

صفة الإرادة

الكلام في الإرادة وحدوثها وأنها غير قديمة ٣٢
أدلة حدوث الإرادة ٣٤
دليل المجاهدة على قِدَم الإرادة والمشيئة ٣٨
ردّ الشيخ الأوحد على المصنف في المسألة ٣٩
هل الإرادة غير الأمر وغير الفعل؟ ٥٠

صفة الحياة والسمع والبصر

الكلام في الحياة والسمع والبصر ٤١

كلام الله تعالى

بيان كلام الله تعالى وكتابه ٤٧
الفرق بين الكلام والكتاب ٦٣
الفرق بين المتكلم والكاتب ٦٤
بيان منازل ومراتب المتكلم والكاتب ٦٦
معنى الكلام والقرآن والفرقان ٧١
إطلاق عالم الأمر على الكلام ٧٤
بيان معنى عالم الأمر ٣٣٩
كون الكتاب منزلة الألواح القدريَّة ٧٧

في الكلام على صنع الله وإبداعه ٧٩

فعل الله وصنعه وإبداعه

في بيان أمر الله تعالى ١٦١
في بيان حكمة المبدع البديع ٣٤٩

بيان أقسام الفاعل

١ ـ الفاعل بالطبع ٨١
٢ ـ الفاعل بالقسر ٨٢
٣ ـ الفاعل بالتسخير ٨٢
٤ ـ الفاعل بالجبر ٨٢
٥ ـ الفاعل بالقصد ٨٢
٦ ـ الفاعل بالرضا ٨٢
٧ ـ الفاعل بالعناية ٨٣
٨ ـ الفاعل بالتجلّي ٨٣
هل الله تعالى فاعل بالتجلّي ٩١
في بيان فعل الله تعالى ٩٣
بطلان إطلاق العلّة على الله تعالى على نحو الحقيقة ١٠١

بيان حقيقة النفوس

بيان النفوس والأرواح ١٠٥

بيان المراد من النُّفوس الأُولى ١٠٨

بيان حقيقة الأرواح

بيان معنى غرابة الأرواح في الدُّنيا ١١٧
أقسام الروح ١٢٧
إطلاقات الروح على الملائكة ١٢٨
إثبات عالم الأرواح ١٤٩
في بيان حقيقة الروح ١٥٤
الفرق بين روح الإيمان والعقل ١٨٤

بيان الأرواح الخمسة في الأنبياء عليهم السلام

١ ـ روح القدس ١٦٤
بيان روح القدس ٣٤٠
٢ ـ روح الإيمان ١٦٦
٣ ـ روح القوَّة ١٦٦
٤ ـ روح الشَّهوة ١٦٦
٥ ـ روح المدرج ١٦٦
بيان حقيقة الروح الأمرية ١٦٨
بيان المراد من الملكوت ١٦٨
في بيان روح القدس ١٧٢
أنوار الأرواح الخمسة ١٩١

بيان أن أول الخلق آل محمد صلوات الله عليهم أجمعين

آل محمد صلوات الله عليهم أجمعين أول الخلق ١٣١
في بيان الصادر الأول ٣٣١
زمان وكيفية خلق آل محمد صلوات الله عليهم ١٣٩
خلق نور النبي وعلي صلوات الله عليهما ١٤٤
التفاضل بين محمد وآل محمد صلوات الله عليهم أجمعين ١٤٦

العرش ومعانيه

إطلاقات العرش ومعانيه ١٣٧

العقل وأقسامه

معاني العقل وأقسامه ١٧٧
١ ـ العقل هو التَّكليف الشَّرعيّ ١٧٧
٢ ـ العقل هو العلم التّامّ ١٧٨
٣ ـ العقل هو التَّأدّب بالآداب الحسنة ١٧٨
٤ ـ العقل هو التَّأدُّب بالآداب المستفادة ١٧٨
٥ ـ العقل هو جودة الذّهن ١٧٩
٦ ـ العقل هو ميل النَّفس إلى الأفعال الحسنة ١٧٩
٧ ـ العقل هو النَّفس النَّاطقة الإنسانيَّة ١٨٠
مراتب العقل النَّظريّ ١٨١

ما يطلق عليه اسم العقل ١٨٢
الفرق بين روح الإيمان والعقل ١٨٤
بيان الحصول الدهريّ والحصول الزمانيّ ١٨٦

النفس وقواها

أقسام النفس وقواها ١٩٥
١ ـ النَّفس النَّامية النَّباتية ١٩٥
أ ـ قوة النفس الجاذبة ١٩٥
ب ـ القوة الماسكة ١٩٦
ت ـ القوة الهاضمة ١٩٦
ث ـ القوة الدافعة ١٩٦
د ـ القوة المربّية ١٩٧
٢ ـ النَّفس الحسِّيَّة الحيوانية ١٩٧
أ ـ قوة السمع ١٩٨
ب ـ قوة البصر ١٩٩
ت ـ قوة الشم ١٩٩
ث ـ قوة الذوق ١٩٩
د ـ قوة اللمس ١٩٩
٣ ـ والنَّفس النَّاطقة القدسيَّة ٢٠٠
أ ـ قوة الفكر ٢٠٠
ب ـ قوة الذكر ٢٠٠

ت ـ قوة العلم ٢٠٠
ث ـ قوة الحلم ٢٠٠
د ـ قوة النباهة ٢٠١
٤ ـ والرَّابعة النَّفس الكليَّة الإلهيَّة ٢٠٢
أ ـ قوة البقاء ٢٠٣
ب ـ قوة السقم ٢٠٣
ت ـ قوة العزّ ٢٠٣
ث ـ قوة الفقر ٢٠٣
د ـ قوة الصبر ٢٠٣
في حدوث العالم ٢١٨

أدلة حدوث العالم

برهان تجدد الطبيعة على حدوث الأجسام ٢٣٥
هل الحركة أمر عقليّ إضافيّ ؟ ٢٤٧
بيان دثور العالم وزواله من جهة إثبات الغاية والرُّجوع إلى البداية ٢٥٨

فهرس المحتويات

الموضوع الصفحة

كيفيّة علم الله تعالى بكلِّ شيء ٥
كيفية حَرق النُّور الإلهي للعدم الإمكاني ٩
بيان المشيئة التكوينية والإمكانية ١٤
في أن علم الله حقيقة واحدة ١٧
ردّ الشيخ الأوحد على المصنف في علم الله ١٩
عِلمُ الله لا يشوبه عيبٌ أو نقصٌ ٢٥
تعليق الشيخ الأوحد على رأي المصنف في علم الله ٢٩
في الصفات الكمالية ٣١
الكلام في الإرادة وحدوثها وأنها غير قديمة ٣٢
أدلة حدوث الإرادة ٣٤
دليل المجاهدة على قِدَم الإرادة والمشيئة ٣٨
ردّ الشيخ الأوحد على المصنف في المسألة ٣٩
الكلام في الحياة والسمع والبصر ٤١
بيان كلام الله تعالى وكتابه ٤٧
هل الإرادة غير الأمر وغير الفعل؟ ٥٠
في بيان أن علم الله محيط بكل شيء إمكانيّ وكونيّ ٥٢

الفرق بين الكلام والكتاب ٦٣
الفرق بين المتكلم والكاتب ٦٤
بيان منازل ومراتب المتكلم والكاتب ٦٦
معنى الكلام والقرآن والفرقان ٧١
إطلاق عالم الأمر على الكلام ٧٤
كون الكتاب منزلة الألواح القدريَّة ٧٧
في الكلام على صنع الله وإبداعه ٧٩
بيان أقسام الفاعل ٨١
١ ـ الفاعل بالطبع ٨١
٢ ـ الفاعل بالقسر ٨٢
٣ ـ الفاعل بالتسخير ٨٢
٤ ـ الفاعل بالجبر ٨٢
٥ ـ الفاعل بالقصد ٨٢
٦ ـ الفاعل بالرضا ٨٢
٧ ـ الفاعل بالعناية ٨٣
٨ ـ الفاعل بالتجلّي ٨٣
هل الله تعالى فاعل بالتجلّي ٩١
في بيان فعل الله تعالى ٩٣
بطلان إطلاق العلَّة على الله تعالى على نحو الحقيقة ١٠١
بيان النفوس والأرواح ١٠٥
بيان المراد من النُّفوس الأُولى ١٠٨

بيان معنى غرابة الأرواح في الدُّنيا ١١٧
أقسام الروح ١٢٧
إطلاقات الروح على الملائكة ١٢٨
آل محمد صلوات الله عليهم أجمعين أول الخلق ١٣١
إطلاقات العرش ومعانيه ١٣٧
زمان وكيفية خلق آل محمد صلوات الله عليهم ١٣٩
خلق نور النبي وعلي صلوات الله عليهما ١٤٤
التفاضل بين محمد وآل محمد صلوات الله عليهم أجمعين ١٤٦
إثبات عالم الأرواح ١٤٩
في بيان حقيقة الروح ١٥٤
في بيان الجمال والجلال ١٥٩
في بيان أمر الله تعالى ١٦١
بيان الأرواح الخمسة في الأنبياء عليهم السلام ١٦٣
١ ـ روح القدس ١٦٤
٢ ـ روح الإيمان ١٦٦
٣ ـ روح القوَّة ١٦٦
٤ ـ روح الشَّهوة ١٦٦
٥ ـ روح المدرج ١٦٦
بيان حقيقة الروح الأمرية ١٦٨
بيان المراد من الملكوت ١٧١
في بيان روح القدس ١٧٢

معاني العقل وأقسامه ١٧٧
١ ـ العقل هو التَّكليف الشَّرعيّ ١٧٧
٢ ـ العقل هو العلم التَّامّ ١٧٨
٣ ـ العقل هو التَّأدّب بالآداب الحسنة ١٧٨
٤ ـ العقل هو التَّأدُّب بالآداب المستفادة ١٧٨
٥ ـ العقل هو جودة الذّهن ١٧٩
٦ ـ العقل هو ميل النَّفس إلى الأفعال الحسنة ١٧٩
٧ ـ العقل هو النَّفس النَّاطقة الإنسانيَّة ١٨٠
مراتب العقل النَّظريّ ١٨١
ما يطلق عليه اسم العقل ١٨٢
الفرق بين روح الإيمان والعقل ١٨٤
بيان الحصول الدهريّ والحصول الزمانيّ ١٨٦
أنوار الأرواح الخمسة ١٩١
أقسام النفس وقواها ١٩٥
١ ـ النَّفس النَّامية النَّباتية ١٩٥
أ ـ قوة النفس الجاذبة ١٩٥
ب ـ القوة الماسكة ١٩٦
ت ـ القوة الهاضمة ١٩٦
ث ـ القوة الدافعة ١٩٦
د ـ القوة المربّية ١٩٧
٢ ـ النَّفس الحسِّيَّة الحيوانية ١٩٧

أ ـ قوة السمع ١٩٨
ب ـ قوة البصر ١٩٩
ج ـ قوة الشم ١٩٩
د ـ قوة الذوق ١٩٩
هـ ـ قوة اللمس ١٩٩
٣ ـ والنَّفس النَّاطقة القدسيَّة ٢٠٠
أ ـ قوة الفكر ٢٠٠
ب ـ قوة الذكر ٢٠٠
ج ـ قوة العلم ٢٠٠
د ـ قوة الحلم ٢٠٠
هـ ـ قوة النباهة ٢٠٠
٤ ـ والرَّابعة النَّفس الكليَّة الإلهيَّة ٢٠٢
أ ـ قوة البقاء ٢٠٣
ب ـ قوة السقم ٢٠٣
ج ـ قوة العزّ ٢٠٣
د ـ قوة الفقر ٢٠٣
هـ ـ قوة الصبر ٢٠٣
في حدوث العالم ٢١٨
برهان تجدد الطبيعة على حدوث الأجسام ٢٣٥
هل الحركة أمر عقليّ إضافيّ ؟ ٢٤٧
بيان دثور العالم وزواله من جهة إثبات الغاية والرُّجوع إلى البداية ٢٥٨
رجوع كل شيء إلى الواجب تعالى ٢٦٧

هل الغاية في فعله تعالى هي ذاته تعالى ؟ ٢٦٨
جواز إطلاقها الغاية على الواجب تعالى ٢٧٢
في بيان الطرق إلى الله تعالى ٢٧٥
طريق العرفاء ٢٨٥
طريق الأنبياء والأوصياء عليهم السلام ٢٨٦
معاني حديث : يا مَن دلَّ على ذاتِهِ بِذَاتِهِ ٢٩٦
طريق غير الأنبياء والأوصياء عليهم السلام ٣٠٢
طريق الحكماء والطَّبيعيِّين والمتكلِّمين ٣٠٥
طريق الربانيين إلى الله تعالى ٣١٣
بيان حقيقة الوجود المقدس ٣١٩
في بيان الصادر الأول ٣٣١
بيان خلق المشيئة ٣٣٤
بيان معنى عالم الأمر ٣٣٩
بيان روح القدس ٣٤٠
في كيفية ترقي الوجود ٣٤٥
في بيان حكمة المبدع البديع ٣٤٩

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية ٣٧١
فهرس الأحاديث ٣٨٩
الفهرس الموضوعي ٤١١
فهرس المحتويات ٤١٩